مقامات الحريرى، تأليف الحريرى، القاسم بن علي
ـ ٥١٦هـ. خط القرن الثامن الهجرى تقديرا.
١٧٥ ق ١٣ س ٢٩x١٩ سم
نسخة نفيسة، خطها نسخ نفيس. طبع.

الاعلام ٦ :١٢٠، هدية العارفين ١ : ٨٣٧
١ـ المقامات، أدب اللغة العربية أ ـ المؤلف
ب ـ تاريخ النسخ.

بسم الله الرحمن الرحيم ثقتي بالله وحده

اللهم إنا نحمدك على ما علمت من البيان وألهمت من التبيان
كما نحمدك على ما أسبغت من العطاء وأسبلت من الغطاء ونعوذ
بك من شرة اللسن وفضول الهذر كما نعوذ بك من معرة اللكن
وفضوح الحصر ونستكفي بك الافتتان بإطراء المادح وإغضاء
المسامح كما نستكفي بك الانتصاب لإزراء القادح وهتك
الفاضح ونستغفرك من سوق الشهوات إلى سوق الشبهات كما
نستغفرك من نقل الخطوات إلى خطط الخطيئات ونستوهب
منك توفيقا قائدا إلى الرشد وقلبا متقلبا مع الحق ولسانا
متحليا بالصدق ونطقا مؤيدا بالحجة وإصابة ذائدة عن الزيغ

وعزيمة قاهرة هوى النفس وبصيرة ندرك بها عرفان القدر
وأن تسعدنا بالهداية إلى الدراية وتعضدنا بالإعانة على الإبانة
وتعصمنا من الغواية في الرواية وتصرفنا عن السفاهة في الفكاهة
حتى نأمن حصائد الألسنة ونكفى غوائل الزخرفة فلا نرد مورد
مأثمة ولا نقف موقف مندمة ولا نرهق بتبعة ولا معتبة ولا نلجأ
إلى معذرة عن بادرة اللهم فحقق لنا هذه المنية
وأنلنا هذه البغية ولا تضحنا عن ظلك السابغ ولا تجعلنا مضغة
للماضغ فقد مددنا إليك يد المسألة وبخعنا بالاستكانة لك
والمسكنة واستنزلنا كرمك الجم ومنك الذي عم بضراعة
الطلب وبضاعة الأمل ثم بالتوسل بمحمد سيد البشر والشفيع
المشفع في المحشر الذي ختمت به النبيين وأعليت درجته في
عليين ووصفته في كتابك المبين فقلت وأنت أصدق القائلين
إنه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم

آمين. اللهم فصل عليه وعلى آله الهادين وأصحابه الذين شادوا
الدين واجعلنا لهديه وهديهم متبعين وانفعنا بمحبته ومحبتهم أجمعين
إنك على كل شيء قدير وبالإجابة جدير ٥ وبعد فإنه
جرى ببعض أندية الأدب الذي ركدت في هذا العصر ريحه
وخبت مصابيحه ذكر المقامات التي ابتدعها بديع الزمان وعلامة
همذان رحمه الله وعزا إلى أبي الفتح الإسكندري نشأتها
وإلى عيسى بن هشام روايتها وكلاهما مجهول لا يعرف ونكرة لا
تتعرف فأشار من إشارته حكم وطاعته غنم إلى أن أنشئ
مقامات أتلو فيها تلو البديع وإن لم يدرك الظالع شأو الضليع
فذاكرته بما قيل فيمن ألف بين كلمتين ونظم بيتا أو بيتين واستقلت
من هذا المقام الذي يحار فيه الفهم ويفرط الوهم ويسبر غور العقل
وتبين قيمة المرء ويضطر صاحبه إلى أن يكون كحاطب ليل أو جالب
رجل وخيل وقلما سلم مكثار أو أقيل له عثار فلما لم يسعف

[illegible]

بالإقالة ولا أعفى من المقالة لبيت دعوته تلبية المطيع وبذلت
في مطاوعته جهد المستطيع وأنشأت على ما أعانيه من قريحة
جامدة وفطنة خامدة وروية ناضبة وهموم ناصبة خمسين مقامة
تحتوي على جد القول وهزله ورقيق اللفظ وجزله وغرر البيان
ودرره وملح الأدب ونوادره إلى ما وشحتها به من الآيات ومحاسن
الكنايات ورصعته فيها من الأمثال العربية واللطائف الأدبية
والأحاجي النحوية والفتاوى اللغوية والرسائل المبتكرة والخطب المحبرة
والمواعظ المبكية والأضاحيك الملهية مما أمليت جميعه على لسان
أبي زيد السروجي وأسندت روايته إلى الحارث بن همام البصري
وما قصدت بالإحماض فيه إلا تنشيط قارئيه وتكثير سواد طالبيه
ولم أودعه من الأشعار الأجنبية إلا بيتين فذين أسست عليهما
بنية المقامة الحلوانية وآخرين توأمين ضمنتهما خواتم المقامة
الكرجية وما عدا ذلك فخاطري أبو عذره ومقتضب حلوه ومره

على

هذا مع اعترافي بأن البديع رحمه الله سبّاق غايات وصاحب
آيات وأن المتصدي بعده لإنشاء مقامة ولو أوتي بلاغة قدامة
لا يغترف إلا من فضالته ولا يسري ذلك المسرى إلا بدلالته

قدامة بن جعفر قدامة الكاتب البغدادي

ولله القائل ٥ وهو عدي بن الرقاع ٥

فلو قبل مبكاها بكيت صبابة بسعدى شفيت النفس قبل التندم
ولكن بكت قبلي فهاج لي البكا بكاها فقلت الفضل للمتقدم

صح

وأرجو ألا أكون في الهذر الذي أوردته والمورد الذي توردته
كالباحث عن حتفه بظلفه والجادع مارن أنفه بكفه فألحق بالأخسرين
أعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون
صنعا على أني وإن أغمض لي الفطن المتغابي ونضح عني المحب
المحابي لا أكاد أخلص من غمر جاهل أو ذي غمر متجاهل يضع
مني لهذا الوضع ويندد بأنه من مناهي الشرع ومن نقد الأشياء بعين
المعقول وأنعم النظر في مباني الأصول نظم هذه المقامات في

سلك الإفادات وسلكها مسلك الموضوعات عن العجماوات والجمادات
ولم يسمع بمن نبا سمعه عن تلك الحكايات أو أثّم رواتها في وقت من الأوقات
ثم إذا كانت الأعمال بالنيات وبها انعقاد العقود الدينيات
فأي حرج على من أنشأ ملحا للتنبيه لا للتمويه ونحا بها منحى التهذيب
لا الأكاذيب وهل هو في ذلك إلا بمنزلة من انتدب لتعليم أو هدى إلى
صراط مستقيم ٥

على أنني راض بأن أحمل الهوى وأخلص منه لا علي ولا ليا

وبالله أعتضد فيما أعتمد وأعتصم مما يصم وأسترشد إلى ما يرشد
فما المفزع إلا إليه ولا الاستعانة إلا به ولا التوفيق إلا منه ولا الموئل
إلا هو عليه توكلت وإليه أنيب ٥

المقامة الأولى

حدّث الحارث بن همّام قال لما اقتعدت غارب الاغتراب وأنأتني

المتربة عن الأتراب طوحت بي طوائح الزمن إلى صنعاء اليمن
فدخلتها خاوي الوفاض بادي الإنفاض لا أملك بلغة ولا أجد في
جرابي مضغة فطفقت أجوب طرقاتها مثل الهائم وأجول في حوماتها
جولان الحائم وأرود في مسارح لمحاتي ومسايح غدواتي وروحاتي
كريماً أخلق له ديباجتي وأبوح إليه بحاجتي أو أديباً تفرج رؤيته غمتي
وتروي روايته غلتي حتى أدتني خاتمة المطاف وهدتني فاتحة الألطاف
إلى ناد رحيب محتو على زحام ونحيب فولجت غابة الجمع لأسبر مجلبة
الدمع فرأيت في بهرة الحلقة شخصاً شخت الخلقة عليه أهبة السياحة
وله رنة النياحة وهو يطبع الأسجاع بجواهر لفظه ويقرع الأسماع
بزواجر وعظه وقد أحاطت به أخلاط الزمر إحاطة الهالة بالقمر
والأكمام بالثمر فدلفت إليه لأقتبس من فوائده وألتقط بعض فرائده
فسمعته يقول حين خب في مجاله وهدرت شقاشق ارتجاله
أيها السادر في غلوائه السادل ثوب خيلائه الجامح في جهالاته

الجانح إلى خزعبلاته إلام تستمر على غيك وتستمرئ مرعى بغيك
وحتام تتناهى في زهوك ولا تنتهي عن لهوك تبارز بمعصيتك مالك
ناصيتك وتجترئ بقبح سيرتك على عالم سريرتك وتتوارى عن
قريبك وأنت بمرأى رقيبك وتستخفي من مملوكك وما تخفى خافية
على مليكك أتظن أن ستنفعك حالك إذا آن ارتحالك أو ينقذك
مالك حين توبقك أعمالك أو يغني عنك ندمك إذا زلت قدمك
أو يعطف عليك معشرك يوم يضمك محشرك هلا انتهجت محجة اهتدائك
وعجلت معالجة دائك وفللت شباة اعتدائك وقدعت نفسك فهي
أكبر أعدائك أما الحمام ميعادك فما إعدادك وبالمشيب
إنذارك فما إعذارك وفي اللحد مقيلك فما قيلك وإلى الله مصيرك
فمن نصيرك طالما أيقظك الدهر فتناعست وجذبك الوعظ فتقاعست
وتجلت لك العبر فتعاميت وحصحص لك الحق فتماريت وأذكرك الموت
فتناسيت وأمكنك أن تؤاسي فما آسيت تؤثر فلساً توعيه على ذكر تعيه

وتختار قصراً تعليه على برٍّ توليه وترغب عن هادٍ تستهديه إلى زادٍ
تستهديه وتغلّب حبّ ثوبٍ تشتهيه على ثوابٍ تشتريه يواقيت الصِّلات
أعلق بقلبك من مواقيت الصلاة ومغالاة الصَّدُقات آثر عندك من
موالاة الصَّدَقات وصحاف الألوان أشهى إليك من صحائف الأديان
ودعابة الأقران آنس لك من تلاوة القرآن تأمر بالعرف وتنتهك
حماه وتحمي عن النكر ولا تتحاماه وتزحزح عن الظلم ثم تغشاه وتخشى
الناس والله أحق أن تخشاه ثم أنشد ٥

تبّاً لطالب دنيا ثنى إليها انصبابه
ما يستفيق غراماً بها وفرط صبابه
ولو درى لكفاه مما يروم صبابه

ثم إنه لبّد عجاجته وغيّض مجاجته واعتضد شكوته وتأبّط هراوته
فلما رنت الجماعة إلى تحفّزه ورأت تأهّبه لمزايلة مركزه أدخل كلٌّ
منهم يده في جيبه فأفعم له سجلاً من سيبه وقال اصرف هذا

في نفقتك أو فرّقه على رفقتك فقبله منهم مغضياً وانثنى عنهم مثنياً وجعل
يودّع من يشيّعه ليخفى عليهم مهيعه ويسرّب من يتبعه لكي يجهل
مربعه قال الحارث بن همام فاتّبعته موارياً عنه عياني وقفوت أثره
من حيث لا يراني حتى انتهى إلى مغارة فانساب فيها على غرارة فأمهلته
ريثما خلع نعليه وغسل رجليه ثم هجمت عليه فوجدته محاذياً لتلميذ
على خبز سميذ وجدي حنيذ وقبالتهما خابية نبيذ فقلت له
يا هذا أيكون ذاك خبرك وهذا مخبرك فزفر زفرة القيظ وكاد
يتميّز من الغيظ ولم يزل يحملق إليّ حتى خفت أن يسطو عليّ فلما أن خبت
ناره وتوارى أواره أنشد ٥

لبست الخميصة أبغي الخبيصه وأنشبت شصّي في كل شيصه
وصيّرت وعظي أحبولة أريغ القنيص به والقنيصه
وألجأني الدهر حتى ولجت بلطف احتيالي على الليث عيصه
على أنني لم أهب صرفه ولا نبضت لي منه فريصه

ولا شرعت بي على موردٍ ... يدنّس عرضي نفسٌ حريصه

ولو أنصف الدهر في حكمه ... لما ملّك الحكم أهل النقيصه

ثم قال لي ادنُ فكُل وإن شئت فقم وقل فالتفتّ إلى تلميذه وقلت عزمت عليك بمن تستدفع به الأذى لتخبرني من ذا فقال هذا أبو زيد السروجي سراج الغرباء وتاج الأدباء فانصرفت من حيث أتيت وقضيت العجب مما رأيت ٥

المقامة الثانية وتعرف بالحلوانية

حكى الحرث بن همام قال كلفت مذ ميطت عني التمائم ونيطت بي العمائم بأن أغشى معان الأدب وأنضي إليه ركاب الطلب لأعلق منه بما يكون لي زينة بين الأنام ومزنة عند الأوام وكنت لفرط اللهج باقتباسه والطمع في تقمص لباسه أباحث كل من جلّ وقلّ وأستسقي الوبل والطل وأتعلل بعسى ولعل فلما حللت حلوان

وقد بلوت الإخوان وسبرت الأوزان وخبرت ما شان وزان ألفيت بها أبا زيد السروجي يتقلب في قوالب الانتساب ويخبط في أساليب الاكتساب فيدّعي تارة أنه من آل ساسان ويعتزي مرة إلى أقيال غسان ويبرز طورًا في شعار الشعراء ويلبس أحيانًا كبر الكبراء بيد أنه مع تلون حاله وتبين محاله يتحلى برواء وراوية ومداراة ودراية وبلاغة رائعة وبديهة مطاوعة وآداب بارعة وقدم لأعلام العلوم فارعة فكان لمحاسن آلاته يلبس على علاته ولسعة روايته يُصبى إلى رؤيته ولخلابة عارضته يرغب عن معارضته ولعذوبة إيراده يسعف بمراده فتعلقت بأهدابه لخصائص آدابه ونافست في مصافاته لنفائس صفاته ٥

فكنت به أجلو همومي وأجتلي ... زمانًا طليق الوجه ملتمع الضيا

أرى قربه قربى ومغناه غنية ... ورؤيته ريًّا ومحياه لي حيا

ولبثنا على ذلك برهة ينشئ لي كل يوم نزهة ويذرأ عن قلبي شبهة

إلى أن جنحت له يد الإملاق كأس الفراق وأغراه عدم العراق
بتطليق العراق ولفظته معاوز الإرفاق إلى مفاوز الآفاق ونظمه
في سلك الرفاق خفوق راية الإخفاق فشحذ للرحلة غرار عزمته
وظعن يقتاد القلب بأزمته ۝

فما لاقني من لاقني بعد بعده ولا شاقني من ساقني لوصاله
ولا لاح لي مذ ند ند لفضله ولا ذو خلال حاز مثل خلاله

واستسر عني حينا لا أعرف له عرينا ولا أجد عنه مبينا فلما أبت من
غربتي إلى منبت شعبتي حضرت دار كتبها التي هي منتدى المتأدبين
وملتقى القاطنين منهم والمتغربين فدخل ذو لحية كثة وهيئة رثة
فسلم على الجلاس وجلس في أخريات الناس ثم أخذ يبدي ما في
وطابه ويعجب الحاضرين بفصل خطابه فقال لمن يليه ما الكتاب الذي
تنظر فيه قال ديوان أبي عبادة المشهود له بالإجادة فقال هل
عثرت له فيما لمحته على بديع استملحته فقال نعم قوله

كأنما يبسم عن لؤلؤ منضد أو برد أو أقاح

فإنه أبدع في التشبيه المودع فيه فقال له يا للعجب ولضيعة الأدب
لقد استسمنت يا هذا ذا ورم ونفخت في غير ضرم أين أنت عن البيت
النادر الجامع مشبهات الثغر ۝ وأنشد

نفسي الفداء لثغر راق مبسمه وزانه شنب ناهيك من شنب
يفتر عن لؤلؤ رطب وعن برد وعن أقاح وعن طلع وعن حبب

فاستجاده من حضر واستحلاه واستعاده منه واستملاه وسئل
لمن هذا البيت وهل حي قائله أم ميت فقال وايم الله للحق أحق أن
يتبع وللصدق حقيق بأن يستمع إنه يا قوم لنجيكم منذ اليوم
قال فكأن الجماعة ارتابت بعزوته وأبت تصديق دعوته فتوجس ما
هجس في أفكارهم وفطن لما بطن من استنكارهم وحاذر أن يفرط
إليه ذم فقرأ إن بعض الظن إثم ثم قال يا رواة القريض وأساة
القول المريض إن خلاصة الجوهر تظهر بالسبك ويد الحق تصدع

بدا الشك وقد قيل فيما غبر من الزمان عند الامتحان يكرم الرجل أو يهان وها أنا قد عرضت خبيئتي للاختبار وعرضت حقيبتي على الاعتبار فابتدر أحد من حضر وقال أعرف بيتا لم ينسج على منواله ولا سمحت قريحة بمثاله فإن آثرت اختلاب القلوب فانظم على هذا الأسلوب وأنشد

فأمطرت لؤلؤا من نرجس وسقت ... وردا وعضت على العناب بالبرد

فلم يكن إلا كلمح البصر أو هو أقرب حتى أنشد فأغرب

سألتها حين زارت نضو برقعها القاني ... وإيداع سمعي أطيب الخبر
فزحزحت شفقا غشى سنا قمر ... وساقطت لؤلؤا من خاتم عطر

فحار الحاضرون لبداهته واعترفوا بنزاهته فلما آنس استئناسهم بكلامه وانصبابهم إلى شعب إكرامه أطرق كطرفة العين ثم قال ودونكم بيتين آخرين وأنشد

وأقبلت يوم جد البين في حلل ... سود تعض بنان النادم الحصر

فلاح ليل على صبح أقلهما ... غصن وضرست البلور بالدرر

فحينئذ استنبل القوم قيمته واستغزروا ديمته وأجملوا عشرته وجملوا قشرته قال الراوي فلما رأيت تلهب جذوته وتألق جلوته أمعنت في توسمه وسرحت الطرف في ميسمه فإذا هو شيخنا السروجي وقد أقمر ليله الدجوجي فهنأت نفسي بمورده وابتدرت استلام يده وقلت له ما الذي أحال صفتك حتى جهلت معرفتك وأي شيء شيب لحيتك حتى أنكرت حليتك فأنشأ يقول

وقع الشوائب شيب ... والدهر بالناس قلب
إن دان يوما لشخص ... ففي غد يتغلب
فلا تثق بوميض ... من برقه فهو خلب
واصبر إذا هو أضرى ... بك الخطوب وألب
فما على التبر عار ... في النار حين يقلب

ثم نهض مفارقا موضعه ومستصحبا القلوب معه

المقامة الثالثة

روى الحرث بن همام قال نظمني وأخدانا لي نادٍ لم يخب فيه منادٍ ولا كبا قدح زنادٍ ولا ذكت نار عنادٍ فبينا نحن نتجاذب أطراف الأناشيد ونتوارد طرف الأسانيد إذ وقف بنا شخص عليه سمل وفي مشيته قزل فقال يا أخاير الذخاير وبشاير العشاير عموا صباحا وأنعموا اصطباحا وانظروا إلى من كان ذا ندي وندى وجدة وجدى وعقار وقرى ومقار وقرى فما زال به قطوب الخطوب وحروب الكروب وشر شر الحسود وانتياب النوب السود حتى صفرت الراحة وقرعت الساحة وغار المنبع ونبا المربع وأقوى الجمع وأقض المضجع واستحالت الحال وأعول العيال وخلت المرابط ورحم الغابط وأودى الناطق والصامت ورثى لنا الحاسد والشامت وآل بنا الدهر الموقع والفقر المدقع إلى أن احتذينا

الوجى واغتذينا الشجى واستبطنا الجوى وطوينا الأحشاء على الطوى واكتحلنا السهاد واستوطنا الوهاد واستوطأنا القتاد وتناسينا الأقتاد واستطبنا الحين المجتاح واستبطأنا اليوم المتاح فهل من حر آس أو سمح مواس فوالذي استخرجني من قيلة لقد أمسيت أخا عيلة لا أملك بيت ليلة قال الحرث بن همام فأويت لمفاقره ولويت إلى استنباط فقره فأبرزت له دينارا وقلت له اختبارا إن مدحته نظما فهو لك حتما فانبرى ينشد في الحال من غير انتحال ٥

أكرم به أصفر راقت صفرته	جواب آفاق ترامت سفرته
مأثورة سمعته وشهرته	قد أودعت سر الغنى أسرته
وقارنت نجح المساعي خطرته	وحببت إلى الأنام غرته
كأنما من القلوب نقرته	به يصول من حوته صرته
وإن تفانت أو توانت عترته	يا حبذا نضاره ونضرته

وحبذا مغناته ونصرته … كم آمرٍ به استتبّت إمرته
ومترفٍ لولاه دامت حسرته … وجيش همٍّ هزمته كرّته
وبدرِ تمٍّ أنزلته بدرته … ومستشيطٍ تتلظّى جمرته
أسرّ نجواه فلانت شرّته … وكم أسيرٍ أسلمته أسرته
أنقذه حتى صفت مسرّته … وحقّ مولًى أبدعته فطرته

لولا التقى لقلت جلّت قدرته

ثم بسط يده بعد ما أنشده وقال أنجز حرٌّ ما وعد وسحّ خالٌ إذ رعد فنبذت الدينار إليه وقلت خذه غير مأسوفٍ عليه فوضعه في فيه وقال بارك اللهم فيه ثم شمّر للانثناء بعد توفية الثنا فنشأت لي من فكاهته نشوة غرامٍ سهّلت عليّ ائتناف اغترامٍ فجرّدت له دينارًا آخر وقلت هل لك في أن تذمّه ثم تضمّه فأنشد مرتجلًا وشدا عجلا ٥

تبًّا له من خادعٍ مماذقِ … أصفر ذي وجهين كالمنافقِ

يبدو بوصفين لعين الرامقِ … زينة معشوقٍ ولون عاشقِ
وحبّه عند ذوي الحقائقِ … يدعو إلى ارتكاب سخط الخالقِ
لولاه لم تقطع يمين سارقِ … ولا بدت مظلمةٌ من فاسقِ
ولا اشمأزّ باخلٌ من طارقِ … ولا شكا الممطول مطل العائقِ
ولا استعيذ من حسودٍ راشقِ … وشرّ ما فيه من الخلائقِ
أن ليس يغني عنك في المضائقِ … إلا إذا فرّ فرار الآبقِ
واهًا لمن يقذفه من حالقِ … ومن إذا ناجاه نجوى الوامقِ
قال له قول المحقّ الصادقِ … لا رأي في وصلك لي ففارقِ

فقلت له ما أغزر وبلك فقال والشرط أملك فنفحته بالدينار الثاني وقلت له عوّذهما بالمثاني فألقاه في فمه وقرنه بتوأمه وانكفأ يحمد مغداه ويمدح النادي ونداه قال الحرث بن همام فناجاني قلبي بأنه أبو زيد وأن تعارجه لكيد فاستعدته وقلت له قد عرفت بوشيك فاستقم في مشيك فقال إن كنت ابن همام

فحييت بإكرام وحييت بين كرام فقلت أنا الحارث فكيف حالك والحوادث
فقال أتقلب في الحالين بؤس ورخاء وأنقلب مع الريحين زعزع ورخاء
فقلت كيف ادعيت القزل وما مثلك من هزل فاستتر بشره الذي
كان تجلى ثم أنشد حين ولى

تعارجت لا رغبة في العرج ... ولكن لأقرع باب الفرج
وألقي حبلي على غاربي ... وأسلك مسلك من قد مرج
فإن لامني الناس قلت اعذروا ... فليس على أعرج من حرج

المقامة الرابعة الدمياطية بلد بمصر

أخبر الحارث بن همام قال ظعنت إلى دمياط عام هياط ومياط وأنا
يومئذ مرموق الرخاء موموق الإخاء أسحب مطارف الثراء وأجتلي
عوارف السراء فرافقت صحبا قد شقوا عصا الشقاق وارتضعوا أفاويق
الوفاق حتى لاحوا كأسنان المشط في الاستواء وكالنفس الواحدة

في التئام الأهواء وكنا مع ذلك نسير النجاء ولا نرحل إلا كل هوجاء
وإذا نزلنا منزلا أو وردنا منهلا اختلسنا اللبث ولم نطل المكث فعن
لنا إعمال الركاب في ليلة فتية الشباب غدافية الإهاب فأسرينا إلى
أن نضا الليل شبابه وسلت الصبح خضابه فحين مللنا السرى وملنا
إلى الكرى صادفنا أرضا مخضلة الربى معتلة الصبا فتخيرناها مناخا
للعيس ومحطا للتعريس فلما حلها الخليط وهدأ بها الأطيط والغطيط
سمعت صيتا من الرجال يقول لسميره في الرحال كيف حكم سيرتك مع
جيلك وجيرتك فقال أرعى الجار ولو جار وأبذل الوصال
لمن صال وأحتمل الخليط ولو أبدى التخليط وأود الحميم ولو
جرعني الحميم وأفضل الشفيق على الشقيق وأفي للعشير وإن لم يكافئ
بالعشير وأستقل الجزيل للنزيل وأغمر الزميل بالجميل وأنزل
سميري منزلة أميري وأحل أنيسي محل رئيسي وأودع معارفي عوارفي
وأولي مرافقي مرافقي وألين مقالي للقالي وأديم تسآلي عن السالي

وأرضى من الوفاء باللفاء وأقنع من الجزاء بأقل الأجزاء ولا أظلم حين أظلم
ولا أنقم ولو لدغني الأرقم فقال له صاحبه ويك يا بني إنما يضن
بالضنين وينافس في الثمين لكن أنا لا آتي غير المواتي ولا أسم العاتي
بمراعاتي ولا أصافي من يأبى إنصافي ولا أواخي من يلغي الأواخي ولا
أمالي من يخيب آمالي ولا أبالي بمن صرم حبالي ولا أداري من جهل
مقداري ولا أعطي زمامي من يخفر ذمامي ولا أبذل ودادي لأضدادي
ولا أدع إيعادي للمعادي ولا أغرس الأيادي في أرض الأعادي ولا
أسمح بمواساتي لمن يفرح بمساءتي ولا أرى التفاتي إلى من يشمت
بوفاتي ولا أخص بحبائي إلا أحبائي ولا أستطب لدائي غير
أودائي ولا أملك خلتي من لا يسد خلتي ولا أصفي نيتي لمن يتمنى منيتي
ولا أخلص دعائي إلا لمن يفعم وعائي ولا أفرغ ثنائي على من يفرغ إنائي
ومن حكم بأن أبذل وتخزن وألين وتخشن وأذوب وتجمد وأذكو
وتخمد لا والله بل نتوازن في المقال وزن المثقال ونتحاذى في الفعال

حذو النعال حتى نأمن التغابن وننفي التضاغن وإلا فلم أعلك وتعلني
وأقلك وتستقلني وأجترح لك وتجرحني وأسرح إليك وتسرحني
وكيف تجتلب إنصافا بضيم وأي شرق شمس مع غيم ومتى أصحب ود
بعسف وأي حر رضي بخطة خسف ولله أبوك حيث يقول ٥

جزيت من أعلق بي وده جزاء من يبني على أسه
وكلت للخل كما كال لي على وفاء الكيل أو بخسه
ولم أخسره وشر الورى من يومه أخسر من أمسه
وكل من يطلب عندي جنى فما له إلا جنى غرسه
لا أبتغي الغبن ولا أنثني بصفقة المغبون في حسه
ولست بالموجب حقا لمن لا يوجب الحق على نفسه
ورب مذاق الهوى خالني أصدقه الود على لبسه
وما درى من جهله أنني أقضي غريمي الدين من جنسه
فاهجر من استغباك هجر القلى وهبه كالملحود في رمسه

والبس لمن في وصله لبسة لباس من رغب عن انسه
ولا ترج الود ممن يرى أنك محتاج الى فلسه

قال الحرث بن همام فلما وعيت ما دار بينهما تقت الى أن أعرف عينهما
فلما لاح ابن ذكا والحف الجو الضيا غدوت قبل استقلال الركاب
ولا اغتدا الغراب وجعلت استقري صوب الصوت الليلي واتوسم
الوجوه بالنظر الجلي الى ان لمحت أبا زيد وابنه يتحادثان وعليهما بردان
رثان فعلمت أنهما نجيا ليلتي وصاحبا روايتي فقصدتهما قصد كلف
بمأتيهما راث لرثاثتهما وأبحتهما التحول الى حلي والتحكم في
كثري وقلي وطفقت أشيد بين السيارة بفضلهما وأهز الأعواد
المثمرة لهما حتى غمرا بالنحلان واتخذا من الخلان وكنا بمعرس تتبين
منه بنيان القرى وتستبين نيران القرى فلما رأى أبو زيد امتلا الأكياس
وانجلا البؤس قال لي ان بدني قد اتسخ ودرني قد رسخ أفتأذن في
قصد قرية لأستحم وأقضي هذا المهم فقلت اذا شئت فالسرعة

السرعة والرجعة الرجعة فقال ستجد مطلعي عليك أسرع من ارتداد
طرفك اليك ثم استن استنان الجواد في المضمار وقال لابنه بدار
بدار ولم نخل أنه غر وطلب المفر فلبثنا نرقبه رقبة أهلة الأعياد
ونستطلعه بعيون الطلايع والرواد الى أن هرم النهار وكاد جرف
اليوم ينهار فلما طال أمد الانتظار ولاحت الشمس في الأطمار قلت
لأصحابي قد تناهينا في المهلة وتمادينا في الرحلة الى أن أضعنا
الزمان وبان أن الرجل مان فتأهبوا للظعن ولا تلووا على خضرا الدمن
ونهضت لأحدج راحلتي وأتحمل لرحلتي فوجدت أبا زيد قد كتب على القتب

يا من غدا لي ساعدا ومساعدا دون البشر
لا تحسبن أني نأيتك عن ملال أو أشر
لكنني مذ لم أزل ممن اذا طعم انتشر

قال فأقرأت الجماعة القتب ليعذره من كان عتب فأعجبوا
بخرافته وتعوذوا من آفته ثم انا ظعنا ولم ندر من اعتاض عناه

المقامة الخامسة

حكى الحارث بن همام قال سمرت بالكوفة في ليلة أديمها ذو لونين وقمرها كتعويذ من لجين مع رفقة غذوا بلبان البيان وسحبوا على سحبان ذيل النسيان ما فيهم إلا من يحفظ عنه ولا يتحفظ منه ويميل الرفيق إليه ولا يميل عنه فاستهوانا السمر إلى أن غرب القمر وغلب السهر فلما روق الليل البهيم ولم يبق إلا التهويم سمعنا من الباب نبأة مستنبح ثم تلتها صكة مستفتح فقلنا من الملم في الليل المدلهم فقال

يا أهل ذا المغنى وقيتم شرا ... ولا لقيتم ما بقيتم ضرا

قد دفع الليل الذي اكفهرا ... إلى ذراكم شعثا مغبرا

أخا سفار طال واسبطرا ... حتى انثنى محقوقفا مصفرا

مثل هلال الأفق حين افترا ... وقد عرا فناءكم معترا

وأمكم دون الأنام طرا ... يبغي قرى منكم ومستقرا

فدونكم ضيفا قنوعا حرا ... يرضى بما احلولى وما أمرا

وينثني عنكم ينث البرا

قال الحارث بن همام فلما خلبنا بعذوبة نطقه وعلمنا ما وراء برقه ابتدرنا فتح الباب وتلقيناه بالترحاب وقلنا للغلام هيا هيا وهلم ما تهيا فقال الضيف والذي أحلني ذراكم لا تلمظت بقراكم أو تضمنوا لي ألا تتخذوني كلا ولا تجشموا لأجلي أكلا فرب أكلة هاضت الآكل وحرمته مآكل وشر الأضياف من سام التكليف وآذى المضيف وخصوصا أذى يعتلق بالأجسام ويفضي إلى الأسقام وما قيل في المثل الذي سار سائره خير العشاء سوافره إلا ليعجل التعشي ويجتنب أكل الليل الذي يعشي اللهم إلا أن تقد نار الجوع وتحول دون الهجوع قال فكأنه اطلع على إرادتنا فرمى عن قوس عقيدتنا لا جرم أنا آنسناه بالتزام الشرط وأثنينا على خلقه السبط ولما أحضر الغلام ما راج وأذكى بيننا السراج تأملته فإذا هو أبو زيد فقلت لصحبي ليهنكم الضيف الوارد بل المغنم البارد فإن يكن أفل قمر الشعرى

فقد طلع قمر الشعر أو استسر بدر النثر فقد تبلج بدر النثر فسرت حميا
المسرة فيهم وطارت السنة عن مآقيهم ورفضوا الدعة التي كانوا نووها
وثابوا إلى نشر الفكاهة بعدما طووها وأبو زيد مكب على إعمال يديه
حتى إذا استرفع ما لديه قلت له أطرفنا بغريبة من غرائب أسمارك
أو عجيبة من عجائب أسفارك فقال لقد بلوت من العجائب ما لم يره الراؤون
ولا رواه الراوون وإن من أعجبها ما عاينته الليلة قبيل انتيابكم
ومصيري إلى بابكم فاستخبرناه عن طرفة مرآه في مسرح مسراه
فقال إن مرامي الغربة لفظتني إلى هذه التربة وأنا ذو مجاعة وبوسى
وجراب كفؤاد أم موسى فنهضت حين سجا الدجى على ما بي من الوجى
لأرتاد مضيفا أو أقتاد رغيفا فساقني حادي السغب والقضاء المكنى
أبا العجب إلى أن وقفت على باب دار فقلت ٥

حييتم يا أهل هذا المنزل	وعشتم في خفض عيش خضل
ما عندكم لابن سبيل مرمل	نضو سرى خابط ليل أليل

طوى الحشى على الطوى مشتمل	ما ذاق مذ يومان طعم مأكل
ولا له في أرضكم من موئل	وقد دجا جنح الظلام المسبل
وهو من الحيرة في تململ	فهل بهذا الربع عذب المنهل
يقول لي ألق عصاك وادخل	وابشر ببشر وقرى معجل

قال فبرز إلي جوذر عليه شوذر وقال ٥

وحرمة الشيخ الذي سن القرى	وأسس المحجوج في أم القرى
ما عندنا لطارق إذا عرا	سوى الحديث والمناخ في الذرى
وكيف يقري من نفى عنه الكرى	طوى برى أعظمه لما انبرى

فما ترى فيما ذكرت ما ترى ٥

فقلت له ما أصنع بمنزل قفر ومنزل حليف فقر ولكن يا فتى ما اسمك
فقد فتنني فهمك فقال اسمي زيد ومنشأي فيد ووردت هذه المدرة
أمس مع أخوالي من بني عبس فقلت له زدني إيضاحا عشت ونعشت فقال
أخبرتني أمي برة وهي كاسمها برة أنها نكحت عام الغارة بماوان

نجلا من سراة سروج وغسان فلما آنس منها الإثقال وكان بأفعة
على ما يقال ظعن عنها سرا وهلم جرا فما يعرف أحي هو فيتوقع أم
أودع اللحد البلقع قال أبو زيد فعلمت بصحة العلامات أنه ولدي
وصدفني عن التعرف إليه صفر يدي ففصلت عنه بكبد مرضوضة
ودموع مفضوضة فهل سمعتم يا أولي الألباب بأعجب من هذا العجاب
فقلنا لا ومن عنده علم الكتاب فقال أثبتوا هذه الطرفة في عجائب
الاتفاق وخلدوها بطون الأوراق فما سير مثلها في الآفاق فأحضرنا
الدواة وأساودها ورقشنا الحكاية على ما سردها ثم استنبطناه
عن مرتآه في استضمام فتاه فقال إذا ثقل ردني خف علي أن أكفل
ابني فقلنا إن كان يكفيك نصاب من المال ألفناه لك في الحال فقال
وكيف لا يقنعني نصاب وهل يحتقر قدره إلا مصاب قال الراوي
فالتزم منه كل منا قسطا وكتب له به قطا فشكر عند ذلك الصنع
واستنفد في الثناء الوسع حتى أنا استطلنا القول واستقللنا

الطول ثم إنه نشر من وشي السمر ما أزرى بالحبر إلى أن أظل النوم
وجشر الصبح المنير فقضيناها ليلة غابت شوائبها إلى أن شابت
ذوائبها وكمل سعودها إلى أن انفطر عودها ولما ذر قرن الغزالة
طمر طمور الغزالة وقال انهض بنا لنقبض الصلات ونستنض الإحالات
فقد استطارت صدوع كبدي من الحنين إلى ولدي فوصلت جناحه
حتى سنيت نجاحه فحين أحرز العين في صرته برقت أسارير مسرته
وقال لي جزيت خيرا عن خطا قدميك والله خليفتي عليك فقلت أريد
أن أتبعك لأشاهد ولدك النجيب وأنافثه لكي يجيب فنظر إلي نظرة
الخادع إلى المخدوع وضحك حتى تغرغرت مقلتاه بالدموع وأنشد

يا من تظنى السراب ما لما رويت الذي رويت
ما خلت أن يستسر مكري وأن يخيل الذي عنيت
والله ما برة بعرسي ولا لي ابن به اكتنيت
وإنما لي فنون سحر أبدعت فيها وما اقتديت

لم يحكها الأصمعي فيما حكى ولا حاكها الكميت
تخذتها وصلة إلى ما تجتنيه كفي متى اشتهيت
ولو تعافيتها لحالت حالي ولم أحو ما حويت
فمهد العذر أو فسامح إن كنت أجرمت أو جنيت
ثم إنه ودعني ومضى وأودع القلب جمر الغضا ٥ ح

المقامة السادسة وتعرف بالحيفا

روى الحرث بن همام قال حضرت ديوان النظر بالمراغة وقد جرى به
ذكر البلاغة فأجمع من حضر من فرسان اليراعة وأرباب البراعة على
أنه لم يبق من ينقح الإنشاء ويتصرف فيه كيف شاء ولا خلف بعد السلف
من يبتدع طريقة غراء أو يفترع رسالة عذراء وأن المفلق من
كتاب هذا الزمان المتمكن من أزمة البيان كالعيال على الأوائل ولو
ملك فصاحة سحبان وائل وكان بالمجلس كهل جالس في الحاشية

وعند مواقف الحاشية فكان كلما نشط القوم في شوطهم ونشروا العجوة
والبجرة من نوطهم ينبي تخازر طرفه وتشامخ أنفه أنه مخرنبق لينباع
ومجرمز سيمد الباع ونابض يبري النبال ورابض يبغي النضال
فلما نثلت الكناين وفاءت السكاين وركدت الزعازع وكف المنازع
أقبل على الجماعة وقال لقد جئتم شيئا إدا وجرتم عن القصد جدا
وعظمتم العظام الرفات وأفرطتم في الميل إلى من فات وغمصتم جيلكم
الذين لكم فيهم اللدات ومعهم انعقدت المودات أنسيتم يا جهابذة
النقد وموابذة الحل والعقد ما أبرزته طوارف القرايح وبرز
فيه الجذع على القارح من العبارات المهذبة والاستعارات
المستعذبة والرسائل الموشحة والأساجيع المستملحة وهل
للقدماء إذا أنعم النظر من حضر غير المعاني المطروقة الموارد
المعقولة الشوارد المأثورة عنهم لتقادم المولد لا لتقدم الصادر
على الوارد وإني لأعرف الآن من إذا أنشأ وشى وإذا عبر حبر

وإذا أوجزت أعجزت وإن أسهبت أذهبت ومتى اخترعت خرعت وإن بدهت شدهت
فقال له ناظورة الديوان وعين أولئك الأعيان من قارع هذه
الصفاة وقريع هذه الصفات فقال إنه قرن مجالدك وقرين جدالك
وإذا شئت فرض نجيبا وادع مجيبا لترى عجبا عجيبا فقال له يا هذا
إن البغاث بأرضنا لا يستنسر والتمييز عندنا بين الفضة والقضة
متيسر وقل من استهدف للنضال فخلص من الداء العضال أو
استثار نقع الامتحان فلم يقذ بالامتهان فلا تعرض عرضك للمفاضح
ولا تعرض عن نصاحة الناصح فقال كل امرئ أعرف بوسم قدحه
وسيتفرى الليل عن صبحه فتناجت الجماعة فيما يسبر به قليبه
ويعجم فيه تقليبه فقال أحدهم ذروه في حصتي لأرميه بحجر قصتي
فإنها عضلة العقد ومحك المنتقد فقلدوه في هذا الأمر الزعامة
تقليد الخوارج أبا نعامة فأقبل على الكهل وقال اعلم أني
أوالي هذا الوالي وأرقح حالي بالبيان الحالي وكنت أستعين على

تقويم أودي في بلدي بسعة ذات يدي مع قلة عددي فلما ثقل حاذي
ونفد رذاذي أممته من أرجائي برجائي ودعوته لإعادة روائي
وإروائي فهش للوفادة وراح وغدا بالإفادة وراح فلما استأذنته
في المراح إلى المراح على كاهل المزاح قال قد أزمعت ألا أزودك
بتاتا ولا أجمع لك شتاتا أو تنشئ أمام ارتحالك رسالة تودعها
شرح حالك حروف إحدى كلمتيها يعمها النقط وحروف الأخرى لم
يعجمن قط وقد استأنيت ببادي حولا فما أحار قولا ونبهت فكري
سنة فما ازداد إلا سنة واستعنت بقاطبة الكتاب فكل منهم
قطب وتاب فإن كنت صدعت عن وصفك باليقين فأت بآية إن
كنت من الصادقين فقال له لقد استسعيت يعبوبا واستسقيت
أسكوبا وأعطيت القوس باريها وأنزلت الدار بانيها ثم فكر ريثما
استجم قريحته واستدر لقحته وقال له ألق دواتك وخذ أداتك
واكتب ٥ الكرم ثبت الله جيش سعودك يزين

واللؤم غض الدهر جفن حسودك يشين والأروع يثيب
والمعور يخيب والحلاحل يضيف والماحل يخيف والسمح
يغذي والمحك يقذي والعطاء ينجي والمطال يشجي والدعاء
يقي والمدح ينقي والحر يجزي والإلطاط يخزي واطراح
ذي الحرمة غي ومحرمة بني الآمال بغي وما ضن الا غبين
ولا غبن الا ضنين ولا خزن الا شقي ولا قبض راحة تقي وما
فتئ وعدك يفي وآراؤك تشفي وهلالك يضي وحلمك يغضي
وآلاؤك تغني وأعداؤك تثني وسؤددك يبني وحسامك يفني
ومواصلك يجتني ومادحك يقتني وسماؤك تغيث وسماحك يغيث
ودرك يفيض ورداك يغيض ومؤملك شيخ حكاه فيء ولم يبق
له شيء أملك بظن حرصه يثب ومدحك بخبء مهورها تجب
ومرامه يخف وأواصره تشف وإطراؤه يجتذب وملامه
يجتنب ووراءه ضفف مسهم شظف وحصهم جنف

وعمهم قشف وهو في دمع يجيب وولهٍ يذيب وهم تضيف
وكمد نيف لمأمول خيب وإهمال شيب وعدو نيب
وهدو تغيب ولم يزغ وده فيغضب ولا خبث عوده فيقضب
ولا نفث صدره فينفض ولا نشز وصله فيبغض وما يقتضي كرمك
نبذ حرمه فبض أمله بتخفيف ألمه ينثن حمدك بين عالمه
بقيت لإماطة شجب وإعطاء نشب ومداواة شجن ومراعاة
يفن موصولا بخفض وسرور وغض ما غشي معهد غني أو
خشي وهم غبي والسلام ه فلما فرغ
من إملاء رسالته وجلى في هيجاء البلاغة عن بسالته أرضته
الجماعة فعلا وقولا وأوسعته حفاوة وطولا ثم سئل من أي
الشعوب نجاره وفي أي الشعاب وجاره فقال

غسان أسرتي الصميمة وسروج تربتي القديمة
فالبيت مثل الشمس إشراقا ومنزلة جسيمة

والربع كالفردوس مطيبة ومنزهة وقيمة

واها لعيش كان لي فيها ولذات عميمة

أيام أسحب مطرفي في روضها ماضي العزيمة

أختال في برد الشباب وأجتلي النعم الوسيمة

لا أتقي نوب الزمان ولا حوادثه الملمة

فلو أن كربا متلف لتلفت من كربي المقيمة

أو يفتدى عيش مضى لفدته مهجتي الكريمة

فالموت خير للفتى من عيشه عيش البهيمة

تقتاده برة الصغار إلى العظيمة والهضيمة

ويرى السباع تنوشها أيدي الضباع المستضيمة

والذنب للأيام لولا شؤمها لم تنب شيمة

ولو استقامت كانت الأحوال فيها مستقيمة

ثم إن خبره نمي إلى الوالي فملأ فاه باللآلي وسامه أن ينضوي إلى

أحشائه ويلي ديوان إنشائه فأحسبه الحباء وظلفه عن الولاية الإباء قال الراوي وكنت عرفت عود شجرته قبل إيناع ثمرته وكدت أنبه على قدره قبل استنارة بدره فأوحى إلي بإيماض جفنه ألا أجرد عضبه من جفنه فلما خرج بطين الخرج وفصل فائزا بالفلج شيعته قاضيا حق الرعاية ولاحيا له على رفض الولاية فأعرض متبسما وأنشد مترنما ٥

لجوب البلاد مع المتربة أحب إلي من المرتبة

لأن الولاة لهم نبوة ومعتبة يا لها معتبة

وما فيهم من يرب الصنيع ولا من يشيد ما رتبه

فلا يخدعنك لموع السراب ولا تأت أمرا إذا ما اشتبه

فكم حالم سره حلمه وأدركه الروع لما انتبه

المقامة السابعة

حكى الحرث بن همام قال أزمعت الشخوص من برقعيد وقد شمت

برق عيد فكرهت الرحلة عن تلك المدينة أو أشهد بها يوم الزينة
فلما أظل بفرضه ونفله وأجلب بخيله ورجله اتبعت السنة في
لبس الجديد وبرزت مع من برز للتعييد وحين التأم جمع المصلى
وانتظم وأخذ الزحام بالكظم طلع شيخ في شملتين محجوب المقلتين
وقد اعتضد شبه المخلاة واستقاد لعجوز كالسعلاة فوقف وقفة
متهافت وحيا تحية خافت ولما فرغ من دعائه أجال خمسه في وعائه
فأبرز منه رقاعا قد كتبن بألوان الأصباغ في أوان الفراغ فناولهن
عجوزه الحيزبون وأمرها بأن تتوسم الزبون فمن آنست ندى يديه
ألقت ورقة منهن لديه قال فأتاح لي القدر المعتوب رقعة فيها مكتوب

لقد أصبحت موقوذا بأوجاع وأوجال
وممنوا بمحتال ومحتال ومغتال
وخوان من الإخوان قالٍ لي لإقلالي
وإعمال من العمال في تضليع أعمالي
فكم أصلى بأنكال وأهوال وترحال
وكم أخطر في بال ولا أخطر في بال
فليت الدهر لما جار أطفا لي أطفالي
فلولا أن أشبالي أغلالي وأغلالي
لما جهزت آمالي إلى آل ولا آل
ولا جررت أذيالي على منحب إذلالي
فمحرابي أحرى بي وأسمالي أسمى لي
فهل حر يرى تخفيف أثقالي بمثقال
ويطفي حر بلبالي بسربال وسربال

قال الحارث بن همام فلما استعرضت حلة الأبيات تقت إلى معرفة
ملحمها وراقم علمها فناجاني الفكر بأن الوصلة إليه العجوز وأفتاني
بأن حلوان المعرف يجوز فرصدتها وهي تستقري الصفوف صفا صفا
وتستوكف الأكف كفا فكفا وما إن نجح لها عنا ولا رشح على يدها

إنا فلما أكدى استعطافها وكبت مطافها عاذت بالاسترجاع
ومالت إلى ارتجاع الرقاع وأنساها الشيطان ذكر رقعتي فلم تعج
إلى بقعتي وآبت إلى الشيخ باكية للحرمان شاكية تحامل الزمان
فقال إنا لله وأفوض أمري إلى الله ولا حول ولا قوة إلا بالله

لم يبق صاف ولا مصاف ولا معين ولا معين
وفي المساوي بدا التساوي فلا أمين ولا ثمين

ثم قال لها منّي النفس وعدها واجمعي الرقاع وعدّيها فقالت لقد
عددتها لما استعدتها فوجدت يد الضياع قد غالت إحدى الرقاع
فقال تعساً لك يا لكاع أنحرم ويحك القنص والحبالة والقبس
والذبالة إنها لضغث على إبالة فانصاعت تقتص مدرجها وتنشد
مدرجها فلما دانتني قرنت بالرقعة درهما وقطعة وقلت لها إن رغبت
في المشوف المعلم وأشرت إلى الدرهم فبوحي بالسر المبهم وإن أبيت
أن تشرحي فخذي القطعة واسرحي فمالت إلى استخلاص البدر التم

والأبلج المهم فقالت دع جدالك وسل عما بدا لك فاستطلعتها
طلع الشيخ وبلدته والشعر وناسج بردته فقالت إن الشيخ من أهل
سروج وهو الذي وشى الشعر المنسوج ثم خطفت الدرهم خطفة
الباشق ومرقت مروق السهم الراشق فخالج قلبي أن أبا زيد هو المشار إليه
وتأجج كربي لمصابه بناظريه وآثرت أن أفاجيه وأناجيه لأعجم
عوده في فراستي فيه وما كنت لأصل إليه إلا بتخطي رقاب الجمع المنهي
عنه في الشرع وعفت أن يتأذى بي قوم أو يسري إلي لوم فسكنت
بمكاني وجعلت شخصه قيد عياني إلى أن انقضت الخطبة وحقت الوثبة
فخففت إليه وتوسمته على التحام جفنيه فإذا ألمعيتي ألمعية ابن عباس
وفراستي فراسة إياس فعرفته حينئذ شخصي وآثرته بأحد قمصي
وأهبت به إلى قرصي فهش لعارفتي وعرفاني ولبى دعوة رغفاني
وانطلق ويدي زمامه وظلي أمامه والعجوز ثالثة الأثافي والرقيب
الذي لا يخفى عنه خاف ولما استحلس وكني وأحضرته عجالة مكنتي

قال يا حارث أمعنا ثالث فقلت ليس إلا العجوز فقال ما دونها سر محجوز

ثم فتح كريمتيه ورأرأ بتوأمتيه فإذا سراجا وجهه يتقدان كأنهما الفرقدان

فابتهجت بسلامة بصره وعجبت من غرائب سيره ولم يلقني قرار ولا طاوعني

اصطبار حتى سألته ما دعاك إلى التعامي مع سيرك في المعامي وجوبك

الموامي وإيغالك في المرامي فتظاهر باللكنة وتشاغل باللهنة حتى

إذا قضى وطره أتأر إلي نظره وأنشد

ولما تعامى الدهر وهو أبو الورى عن الرشد في أنحائه ومقاصده

تعاميت حتى قيل إني أخو عمى ولا غرو أن يحذو الفتى حذو والده

ثم قال لي انهض إلى المخدع فأتني بغسول يروق الطرف وينقي الكف

وينعم البشرة ويعطر النكهة ويشد اللثة ويقوي المعدة وليكن

نظيف الظرف أريج العرف فتي الدق ناعم السحق يحسبه اللامس

ذرورا ويخاله الناشق كافورا واقرن به خلالة نقية الأصل محبوبة

الوصل أنيقة الشكل مدعاة إلى الأكل لها نحافة الصب وصقال

العضب وآلة الحرب ولدونة الغصن الرطب قال فنهضت فيما أمر

لأدرأ عنه الغمر ولم أهم إلى أنه قصد أن يخدع بإدخالي المخدع ولا

تظنيت أنه سخر من الرسول في استدعاء الخلالة والغسول فلما

عدت بالملتمس في أقرب من رجع النفس وجدت الجو قد خلا والشيخ

والشيخة قد أجفلا فاستشطت من مكره غضبا وأوغلت في

إثره طلبا فكان كمن قمس في الماء أو عرج به إلى عنان السماء

بلغ [illegible] أيده الله

المقامة الثامنة

أخبر الحارث بن همام قال رأيت من أعاجيب الزمان أن تقدم خصمان

إلى قاضي معرة النعمان أحدهما قد ذهب منه الأطيبان والآخر

كأنه قضيب البان فقال الشيخ أيد الله القاضي كما أيد به المتقاضي

إنه كانت لي مملوكة رشيقة القد أسيلة الخد صبور على الكد

تخب أحيانا كالنهد وترقد أطوارا في المهد وتجد في تموز مس البرد

ذات عقل وعنان وحد وسنان وكف ببنان وفم بلا أسنان تلدغ
بلسان نضناض وترفل في ذيل فضفاض وتجلى في سواد وبياض وتسقى
ولكن من غير حياض ناصحة خدعة خباءة طلعة مطبوعة على المنفعة
ومطواعة في الضيق والسعة إذا قطعت وصلت ومتى فصلتها
عنك انفصلت وطالما أخذ منك فجملت ولربما جنت عليك فآلمت وململت
وإن هذا الفتى استخدمنيها لغرض فأخدمته إياها بلا عوض على أن
يجتني نفعها ولا يكلفها إلا وسعها فأولج فيها متاعه وأطال بها
استمتاعه ثم أعادها وقد أفضاها وبذل عنها قيمة لا أرضاها
فقال الحدث أما الشيخ فأصدق من القطا وأما الإفضا ففرط عن
خطا وقد رهنته على أرش ما أوهنته مملوكا لي متناسب الطرفين
منتسبا إلى القين نقيا من الدرن والشين يقارن محله سواد العين
يفشي الإحسان وينشي الاستحسان ويغذي الإنسان ويتحامى
اللسان إن سود جاد أو وسم أجاد وإذا زود وهب الزاد

ومتى استزيد زاد لا يستقر بمغنى وقلما ينكح إلا مثنى يسخو بموجوده
ويسمو عند جوده وينقاد مع قرينته وإن لم تكن من طينته ويستمتع
بزينته وإن لم يطمع في لينته فقال لهما القاضي أما أن تبينا وإلا
فبينا فابتدر الغلام وقال

أعارني إبرة لأرفو أطما ... را عفاها البلى وسودها
فانخرمت في يدي على خطإ ... مني لما جذبت مقودها
فلم ير الشيخ أن يسامحني ... بأرشها إذ رأى تأودها
بل قال هات إبرة تماثلها ... أو قيمة بعد أن تجودها
واعتاق ميلي رهنا لديه وناهيك بها سبة تزودها
فالعين مرهى لرهنه ويدي ... تقصر عن أن تفك مرودها
فاسبر بذا الشرح غور مسكنتي ... وارث لمن لم يكن تعودها

فأقبل القاضي على الشيخ وقال إيه بغير تمويه فقال

أقسمت بالمشعر الحرام ومن ضم من الناسكين خيف منا

أقسم

لو ساعفتني الأيام لم ترني   مرتهناً مثله الذي رهنا
ولا تصدّيت أبتغي بدلاً   من إبرةٍ غالها ولا ثمنا
لكن قوس الخطوب ترشقني   بمصمياتٍ من ها هنا وهنا
وخبر حالي كخبر حالته   ضرّاً وبؤساً وغربةً وضنا
قد عدل الدهر بيننا فأنا   نظيره في الشقاء وهو أنا
لا هو يستطيع فكّ مرودِه   لمّا غدا في يديّ مرتهنا
ولا مجالٌ لدى الضيق ذات يدي   فيه اتّساعٌ للعفو حين جنا
فهذه قصّتي وقصّته   فانظر إلينا وبيننا ولنا

فلمّا وعى القاضي قصصهما وتبيّن خصاصتهما وخصاصهما أخرج لهما ديناراً من تحت مصلّاه وقال اقطعا به الخصام وافصلاه فتلقّفه الشيخ دون الحدث واستخلصه على وجه الجدّ لا العبث وقال للحدث نصفه لي بسهم مبرّتي وسهمك لي عن أرش إبرتي ولست عن الحقّ أميل فقم وخذ الميل فعرا الحدث لما حدث اكتئاب وجم

له قلب القاضي وهيّج أسفه على الدينار الماضي إلّا أنّه جبر بال الفتى وبلّ له بدريهمات نضح بها له وقال لهما اجتنبا المعاملات وادرءا المخاصمات ولا تحضراني في المحاكمات فما عندي كيس الغرامات فنهضا من عنده فرحين برفده مفصحين بحمده والقاضي ما يخبو ضجره مذ بضّ حجره ولا ينصل كمده مذ نشّ جلمده حتّى إذا أفاق من غشيته أقبل على غاشيته وقال قد أشرب حسّي ونبّأني حدسي أنّهما صاحبا دهاءٍ لا خصما ادّعاءٍ فكيف السبيل إلى سبرهما واستنباط سرّهما فقال له نحرير زمرته وشرارة جمرته إنّه لن يستخرج خبيئهما إلّا بهما فقفّا أثرهما عوناً يرجعهما إليه فلمّا مثلا بين يديه قال لهما اصدقاني سنّ بكركما ولكما الأمان من تبعة مكركما فأحجم الحدث واستقال وأقدم الشيخ وقال ه

أنا السروجيّ وهذا ولدي   والشبل في المخبر مثل الأسد
وما تعدّت يده ولا يدي   في إبرةٍ يوماً ولا في مرودِ

وإنما الدهر المسيء المعتدي ... مال بنا حتى غدونا نجتدي
كل ندي الراحة عذب المورد ... وكل جعد الكف مغلول اليد
بكل فن وبكل مقصد ... بالجد إن أجدى وإلا بالدد
لنجلب الرشح إلى الحظ الصدي ... وننفد العمر بعيش أنكد
والموت من بعد لنا بالمرصد ... إن لم يفاج اليوم فاجا في غد

فقال له القاضي لله درك فما أعذب نفثات فيك وواهاً لك لولا خداع فيك وإني لك لمن المنذرين وعليك من الحذرين فلا تماكر بعدها الحاكمين واتق سطوة المتحكمين فما كل مسيطر يقيل ولا كل أوان يسمع القيل فعاهده الشيخ على اتباع مشورته والارتداع عن تلبيس صورته وفصل عن حضرته والختر يلمع من جبهته ٥

قال الحارث بن همام فلم أر أعجب منها في تصاريف الأسفار ولا قرأت مثلها في تصانيف الأسفار

المقامة التاسعة

قال الحارث بن همام طحا بي مرح الشباب وهوى الاكتساب

إلى أن جبت ما بين فرغانة وغانة أخوض الغمار لأجني الثمار وأقتحم الأخطار لكي أدرك الأوطار وكنت لقفت من أفواه العلماء وثقفت من وصايا الحكماء أنه يلزم الأريب إذا دخل البلد الغريب أن يستميل قاضيه ويستخلص مراضيه ليشتد ظهره عند الخصام ويأمن في الغربة جور الحكام فاتخذت هذا الأدب إماماً وجعلته لمصالحي زماماً فما دخلت مدينة ولا ولجت عرينة إلا وامتزجت بحاكمها امتزاج الماء بالراح وتقويت بعنايته تقوي الأجساد بالأرواح فبينا أنا عند حاكم الإسكندرية في عشية عرية وقد أحضر مال الصدقات ليفضه على ذوي الفاقات إذ دخل شيخ عفرية تعتله امرأة مضبية فقالت أيد الله القاضي وأدام به التراضي إني امرأة من أكرم جرثومة وأطهر أرومة وأشرف خؤولة وعمومة ميسمي الصون وشيمتي الهون وخلقي نعم العون وبيني وبين جاراتي بون وكان أبي إذا خطبني بناة المجد وأرباب الجد سكتهم وبكتهم وعاف

وصلتهم واحتج بأنه عاهد الله تعالى بحلفة الا يصاهر
غير ذي حرفة فقيض القدر لنصبي ووصبي أن أحضر هذا الخدعة
نادي أبي فأقسم بين رهطه أنه وفق شرطه وادعى أنه طالما نظم درة
إلى درة فباعهما ببدرة فاغتر أبي بزخرف محاله وزوجنيه
قبل اختبار حاله فلما استخرجني من كناسي ورحلني عن أناسي ونقلني
إلى كسره وحصلني تحت أسره وجدته قعدة جثمة وألفيته ضجعة
نومة وكنت صحبته برياش وزي وأثاث وري فما برح يبيعه في
سوق الهضم ويتلف ثمنه في الخضم والقضم إلى أن مزق مالي بأسره
وأنفق مالي في عسره فلما أنساني طعم الراحة وغادر بيتي أنقى من
الراحة قلت له يا هذا إنه لا مخبأ بعد بؤس ولا عطر بعد عروس
فانهض للاكتساب بصناعتك واجن ثمرة براعتك فزعم أن صناعته
قد رميت بالكساد لما ظهر في الأرض من الفساد ولي منه سلالة
كأنها خلالة وكلانا ما ينال معه شبعة ولا ترقأ له من الطوى

دمعة وقد قدته إليك وأحضرته لديك لتعجم عود دعواه وتحكم
بيننا بما أراك الله فأقبل القاضي عليه وقال قد وعيت قصص عرسك
فبرهن عن نفسك وإلا كشفت عن لبسك وأمرت بحبسك فأطرق
٥ إطراق الأفعوان ثم شمر للحرب العوان وقال

اسمع حديثي فإنه عجب يضحك من شرحه وينتحب
أنا امرؤ ليس في خصائصه عيب ولا في فخاره ريب
سروج داري التي ولدت بها والأصل غسان حين أنتسب
وشغلي الدرس والتبحر في العلم طلابي وحبذا الطلب
ورأس مالي سحر الكلام الذي منه يصاغ القريض والخطب
أغوص في لجة البيان فأختار اللآلي منها وأنتخب
وأجتني اليانع الجني من القول وغيري للعود محتطب
وآخذ اللفظ فضة فإذا ما صغته قيل إنه ذهب
وكنت من قبل أمتري نشبا بالأدب المقتنى وأحتلب

ويمتطي الأخمصي لحرمته مهرا أبنا ليس فوقها رتب
وطالما زفت الصلات إلى ربعي فلم أرض كل من يهب
فاليوم من يعلق الرجاء به أكسد شيء في سوقه الأدب
لا عرض أبنائه يصان ولا يرقب فيهم إل ولا سبب
كأنهم في عراصهم جيف يبعد من نتنها ويجتنب
فحار لبي لما بليت به من الليالي وصرفها عجب
وضاق ذرعي لضيق ذات يدي وساورتني الهموم والكرب
وقادني دهري الملم إلى سلوك ما يستشينه الحسب
فبعت حتى لم يبق لي لبد ولا بتات إليه أنقلب
وادنت حتى أثقلت ساكني بحمل دين من دونه العطب
ثم طويت الحشى على سغب خمسا فلما أمضني السغب
لم أر إلا جهازها عرضا أجول في بيعه وأضطرب
فجلت فيه والنفس كارهة والعين عبرى والقلب مكتئب

بلغ

وما تجاوزت إذ عبثت به حد التراضي فيجدر الغضب
فإن يكن غاظها توهمها أن بناني بالنظم تكتسب
أو أنني إذ عزمت خطبتها زخرفت قولي لينجح الأرب
فوالذي سارت الرفاق إلى كعبته تستحثها النجب
ما المكر بالمحصنات من خلقي ولا شعاري التمويه والكذب
ولا يدي مذ نشأت يبطها إلا مواضي اليراع والكتب
بل فكرتي تنظم القلائد لا كفي وشعري المنظوم لا السخب
وهذه الحرفة المشار إلى ما كنت أحوي بها وأجتلب
فأذن لشرحي كما أذنت لها ولا تراقب واحكم بما يجب

قال فلما أحكم ما شاده وأكمل إنشاده عطف القاضي على الفتاة
بعد ما شعف بالأبيات وقال أما إنه قد ثبت عند جميع الحكام وولاة
الأحكام انقراض جيل الكرام وميل الأيام إلى اللئام وإني لأخال
بعلك صدوقا في الكلام بريئا من الملام وها هو قد اعترف لك بالقرض

وصرّح عن المحض وبيّن صدق النظم وتبيّن أنه معروق العظم وإعنات
المعتل ملامة وحبس المعسر مأثمة وكتمان الفقر زهادة وانتظار
الفرج بالصبر عبادة فارجعي إلى خدرك واعذري أبا عذرك ونهنهي
من غربك وسلّمي لقضاء ربك ثم إنه فرض لهما في الصدقات حصة
وناولهما من دراهمها قبصة وقال تعللا بهذه العلالة وتنديا
بهذه البلالة واصبرا على كيد الزمان وكنده فعسى الله أن يأتي بالفتح
أو أمر من عنده فنهضا وللشيخ فرحة المطلق من الإسار وهزة
الموسر بعد الإعسار قال الراوي وكنت عرفت أنه أبو زيد ساعة
بزغت شمسه ونزغت عرسه وكدت أفصح عن افتنانه وأثمار أفنانه
ثم أشفقت من عثور القاضي على بهتانه وتزويق لسانه فلا يرى عند
عرفانه أن يرشحه لإحسانه فأحجمت عن وصفه إحجام المرتاب
وطويت ذكره كطي السجل للكتاب إلى أن قلت بعد ما فصل ووصل
إلى ما وصل لو أن لنا من ينطلق في أثره لأتانا بفص خبره وبما

سيبشر من حبره فأتبعه القاضي أحد أمنائه وأمره بالتجسس
على أنبائه فما لبث أن رجع متدهدها وقهقر متقهقها فقال له
القاضي مهيم يا أبا مريم فقال لقد عاينت عجبا وسمعت ما أنشأ لي
طربا فقال له ماذا رأيت وما الذي وعيت قال لم يزل الشيخ
مذ خرج يصفق بيديه ويخالف بين رجليه ويغرد بملء شدقيه ويقول

كدت أصلى ببليه من وقاح شمريه
وأزور السجن لولا حاكم الإسكندريه

فضحك القاضي حتى هوت دنيته وذوت سكينته فلما فاء إلى الوقار
وعقب الاستغراب بالاستغفار قال اللهم بحرمة عبادك المقربين
حرّم حبسي على المتأدبين ثم قال لذلك الأمين علي به فانطلق
مجدا في طلبه ثم عاد بعد لأي مخبرا بنأيه فقال القاضي أما إنه
لو حضر لكفي الحذر ثم لأوليته ما هو به أولى ولأريته أن الآخرة
خير له من الأولى ه قال الحارث بن همام فلما رأيت صغو

القاضي لديه وفوت ثمرة التنبيه عليه غشيتني ندامة الفرزدق
حين أبان النوار أو الكسعي لما استبان النهار

المقامة العاشرة

حكى الحارث بن همام قال هتف بي داعي الشوق إلى رحبة مالك
بن طوق فلبيته ممتطياً عزمة شملة ومنتضياً عزمة مشمعلة فلما
ألقيت بها المراسي وشددت بها أمراسي وبرزت من الحمام بعد سبت
رأسي رأيت غلاماً كأنما أفرغ في قالب الجمال وألبس من الحسن حلة
الكمال وقد اعتلق شيخ بردنه يدعي أنه فتك بابنه والغلام ينكر
عرفته ويكبر قرفته والخصام بينهما متطاير الشرار والزحام
عليهما يجمع بين الأخيار والأشرار إلى أن تراضيا بعد اشتطاط
اللدد بالتنافر إلى والي البلد وكان ممن يزن بالهنات ويغلب حب
البنين على البنات فأسرعا إلى ندوته كالسليك في عدوته

فلما حضرا جدد الشيخ دعواه واستدعى عدواه فاستنطق الغلام
وقد فتنه بمحاسن غرته وطر عقله بتصفيف طرته فقال إنها أفيكة
أفاك على غير سفاك وعضيهة محتال على من ليس بمغتال فقال
الوالي للشيخ إن شهد لك عدلان من المسلمين وإلا فاستوف
منه اليمين فقال الشيخ إنه جدله خالياً وأفاح دمه خالياً
فأنى لي شاهد ولم يكن ثم مشاهد ولكن ولني تلقينه اليمين ليبين لك
أيصدق أم يمين فقال له أنت المالك لذلك مع وجدك المتهالك على
ابنك الهالك فقال الشيخ للغلام قل والذي زين الجباه بالطرر
والعيون بالحور والحواجب بالبلج والمباسم بالفلج والجفون
بالسقم والأنوف بالشمم والخدود باللهب والثغور بالشنب
والبنان بالترف والخصور بالهيف إنني ما قتلت ابنك
سهواً ولا عمداً ولا جعلت هامته لسيفي غمداً وإلا فرماني الله جفني
بالعمش وخدي بالنمش وطرتي بالجلح وطلعي بالبلح

ووردي بالبهار ومسكي بالبخار وبدري بالمحاق وفضتي بالاحتراق
وشعاعي بالإظلام ودواتي بالأقلام فقال الغلام الاصطلاء بالبلية
ولا الإيلاء بهذه الألية والانقياد للقود ولا الحلف بما لم يحلف به
أحد وأبى الشيخ إلا تجريعه اليمين التي اخترعها وأمقر له
جرعها ولم يزل التلاحي بينهما يستعر ومحجة التراضي تعر والغلام
في ضمن تأبيه يخلب الوالي بتلويه ويطمعه في أن يلبيه إلى أن ران هواه
على قلبه وألب بلبه وسول له الوجد الذي تيمه والطمع الذي توهمه
أن يخلص الغلام ويستخلصه وينقذه من حبالة الشيخ ثم يقتنصه
فقال للشيخ هل لك فيما هو أليق بالأقوى وأقرب للتقوى فقال إلام
تشير لأقتفيه ولا أقف فيه قال أرى أن تقصر عن القيل والقال
وتقتصر على مائة مثقال لأتحمل منها بعضا وأجني لك الباقي عرضا
فقال الشيخ ليس مني خلاف فلا يكن لوعدك إخلاف فنقده
الوالي عشرين ووزع على وزعته تكملة خمسين ورق ثوب الأصيل

وانقطع لأجله صوب التحصيل فقال له خذ ما راج ودع اللجاج
وعلي في غد أن أتوصل إلى أن ينض لك الباقي ويتحصل فقال الشيخ
أفعل ذاك على أن ألازمه ليلتي وترعاه إنسان مقلتي حتى إذا أعفى
بعد إسفار الصبح بما بقي من مال الصلح تخلصت قابية من قوب
وبرئ براءة الذيب من دم ابن يعقوب فقال له الوالي ما أراك سمت
شططا ولا رمت فرطا قال الحرث بن همام فلما رأيت
حجج الشيخ كالحجج النيرة علمت أنه علم السروجية فلبثت إلى
أن انتثرت عقود الزحام وزهرت نجوم الظلام ثم قصدت فناء الوالي
فإذا الشيخ للفتى كالي فنشدته الله أهو أبو زيد فقال إي ومحل
الصيد فقلت من هذا الغلام الذي هفت له الأحلام فقال هو في النسب
فرخي وفي المكسب فخي فقلت له هلا اكتفيت بمحاسن فطرته
وكفيت الوالي الافتتان بطرته فقال لو لم تبرز جبهته السين لما
قنفشت الخمسين ثم قال بت عندي الليلة لنطفئ نار الجوى

وتبديل الهوى بالتقوى فقد أجمعت على أن أنسلّ بسحرة وأصلي قلب الوالي
نار حسرة قال فقضيت الليلة معه في سمر آنق من حديقة زهر وخميلة
شجر حتى إذا آلا الأفق ذنب السرحان وآن انبلاج الفجر وحان ركب
متن الطريق وأذاق الوالي عذاب الحريق وسلّم إليّ ساعة الفراق
رقعة محكمة الإلصاق وقال ادفعها إلى الوالي إذا سلب القرار وتحقق
منا الفرار ففضضتها فعل المتلمس من مثل صحيفة المتلمس فإذا فيها مكتوب

قل لوالٍ غادرته بعد بيني نادماً سادماً يعض اليدين
سلب الشيخ ماله وفتاه لبه فاصطلى لظى حسرتين
جاد بالعين حين أعمى هواه عينه فانثنى بلا عينين
خفض الحزن يا معنّى فما يجدي طلاب الآثار من بعد عين
ولئن جلّ ما عراك كما جلّ لدى المسلمين رزء الحسين
فقد اعتضت منه فهماً وحزماً والأريب اللبيب يبغي خزين
فاعص من بعدها المطامع واعلم أن صيد الظباء ليس بهين
لا ولا كل طائر يلج الفخ ولو كان محدقاً باللجين
فلكم من سعى ليصطاد فاصطيد ولم يلق غير خفي حنين
فتبصر ولا تشم كل برق رب برق فيه صواعق حين
واغضض الطرف تسترح من غرام تكتسي فيه ثوب ذل وشين
فبلاء الفتى اتباع هوى النفس وبذر الهوى طموح العين

قال الراوي فمزقت رقعته شذر مذر ولم أبل أعذل أم عذره

المقامة الحادية عشرة

أخبر الحارث بن همام قال آنست من قلبي القساوة حين حللت ساوة
فأخذت بالخبر المأثور في مداواتها بزيارة القبور فلما صرت إلى محلة
الأموات وكفات الرفات رأيت جمعاً على قبر يحفر ومجنوز يقبر
فانحزت إليهم متفكراً في المآل ومتذكراً من درج من الآل فلما ألحدوا
الميت وفات قول ليت أشرف شيخ من رباوة متخصراً بهراوة وقد لفع

وجهه بردائه وتنكّر شخصه لدهائه فقال لمثل هذا فليعمل العاملون
فادّكروا أيها الغافلون وشمّروا أيها المقصّرون وأحسنوا النظر
أيها المتبصرون ما لكم لا يحزنكم دفن الأتراب ولا يهولكم هيل التراب ولا
تعبأون بنوازل الأحداث ولا تستعدّون لنزول الأجداث ولا تستعبرون
لعين تدمع ولا تعتبرون بنعي يسمع ولا ترتاعون لإلف يفقد ولا تلتاعون
لمناحة تعقد يشيّع أحدكم الميت وقلبه تلقاء البيت ويشهد مواراة
نسيبه وفكره في إحراز نصيبه ويخلّي بين وديده ودوده ثم يخلو
بمزماره وعوده طالما أسيتم على انثلام الحبّة وتناسيتم اخترام الأحبّة
واستكنتم لاعتراض العسرة واستهنتم بانقراض الأسرة وضحكتم عند
الدفن ولا ضحككم ساعة الزفن وتبخترتم خلف الجنائز ولا تبختركم يوم
قبض الجوائز وأعرضتم عن تعديد النوادب إلى إعداد المآدب وعن تحرّق
الثواكل إلى التأنّق في المآكل لا تبالون بمن هو بال ولا تخطرون ذكر
الموت ببال حتى كأنكم قد علقتم من الحمام بذمام أو حصّلتم من الزمان على أمان

أو وثقتم بسلامة الذات أو تحققتم مسالمة هادم اللذات كلا ساء ما تتوهمون
ثم كلا سوف تعلمون ثم أنشده

أيا من يدّعي الفهم ... إلى كم يا أخا الوهم ... تعبّي الذنب والذم
وتخطي الخطأ الجمّ
أما بان لك العيب ... أما أنذرك الشيب ... وما في نصحه ريب
ولا سمعك قد صمّ
أما نادى بك الموت ... أما أسمعك الصوت ... أما تخشى من الفوت
فتحتاط وتهتمّ
فكم تسدر في السهو ... وتختال من الزهو ... وتنصبّ إلى اللهو
كأن الموت ما عمّ
وحتّام تجافيك ... وإبطاء تلافيك ... طباعاً جمعت فيك
عيوباً شملها انضمّ
إذا أسخطت مولاك ... فما تقلق من ذاك ... وإن أخفق مسعاك
تلظّيت من الهمّ

وإن لاح لك النقش   من الأصفر تهتش   وإن مر بك النعش
تغاممت ولا غم

تعاصي الناصح البر   وتعتاص وتزور   وتنقاد لمن غر
ومن مان ومن نم

وتسعى في هوى النفس   وتحتال على الفلس   وتنسى ظلمة الرمس
ولا تذكر ما ثم

ولو لاحظك الحظ   لما طاح بك اللحظ   ولا كنت إذا الوعظ
جلا الأحزان تغتم

ستذري الدم لا الدمع   إذا عاينت لا جمع   يقي في عرصة الجمع
ولا خال ولا عم

كأني بك تنحط   إلى اللحد وتنغط   وقد أسلمك الرهط
إلى أضيق من سم

هنالك الجسم ممدود   ليستأكله الدود   إلى أن ينخر العود

ويمسي العظم قد رم

ومن بعد فلا بد   من العرض إذا اعتد   صراط جسره مد
على النار لمن أم

فكم من مرشد ضل   ومن ذي عزة ذل   وكم من عالم زل
وقال الخطب قد طم

فبادر أيها الغمر   لما يحلو به المر   فقد كاد يهي العمر
وما أقلعت عن ذم

ولا تركن إلى الدهر   وإن لان وإن سر   فتلفى كمن اغتر
بأفعى تنفث السم

وخفض من تراقيك   فإن الموت لاقيك   وسار في تراقيك
وما ينكل إن هم

وجانب صعر الخد   إذا ساعدك الجد   وزم اللفظ إن ند
فما أسعد من زم

ونفس عن أخي البث   وصدقه إذا بث   ورم العمل الرث

فقد أفلح من رم

ورش من ريشه انحص   بما عم وما خص   ولا تأس على النقص

ولا تحرص على اللم

وعاد الخلق الرذل   وعود كفك البذل   ولا تستمع العذل

ونزهها عن الضم

وزود نفسك الخير   ودع ما يعقب الضير   وهيئ مركب السير

وخف من لجة اليم

بذا أوصيت يا صاح   وقد بحت كمن باح   فطوبى لفتى راح

بآدابي يأتم

ثم حسر ردنه عن ساعد شديد الأسر قد شد عليه جبائر المكر لا الكسر
متعرضا للاستماحة في معرض الوقاحة فاحتلب به أولئك الملأ حتى
أترع كمه وملا ثم انحدر من الربوة جذلا بالحبوة   قال الراوي
فجاذبته من ورائه على حاشية ردائه فالتفت إلي مستسلما وواجهني
مسلما فإذا هو شيخنا أبو زيد بعينه ومينه   فقلت له

إلى كم يا أبا زيد   أفانينك في الكيد   لينحاش لك الصيد

ولا تعبأ بمن ذم

فأجاب من غير استحياء ولا ارتياء وقال

تبصر ودع اللوم   وقل لي هل ترى اليوم   فتى لا يقمر القوم

متى ما دسته تم

فقلت له تعسا لك يا شيخ النار ونملة العار فما مثلك في طلاوة
علانيتك وخبث نيتك إلا مثل روث مفضض أو كنيف مبيض ثم تفرقنا
فانطلقت ذات اليمين وانطلق ذات الشمال وناحيت مهب الجنوب وناوح مهب الشمال

المقامة الثانية عشرة

حكى الحرث بن همام قال شخصت عن العراق إلى الغوطة وأنا
ذو جرد مربوطة وجدة مغبوطة يلهيني خلو الذرع ويزدهيني حفول الضرع
فلما بلغتها بعد شق النفس وإنضاء العنس ألفيتها كما تصفها الألسن

وفيها ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين فشكرت يد النوى وجريت طلقا
مع الهوى وطفقت أفض بها ختوم الشهوات وأجتني قطوف اللذات
إلى أن شرع سفر في الإعراق وقد استفقت من الإغراق فعادني عيد من
تذكار الوطن والحنين إلى العطن فقوضت خيام الغيبة وأسرجت
جواد الأوبة ولما تأهب الرفاق واستتب الاتفاق أجمعنا من المسير
دون استصحاب الخفير فرديناه من كل قبيلة وأعملنا في تحصيله
الحيلة فأعوز وجدانه في الأحياء حتى خلنا أنه ليس من الأحياء
فحارت لعوزه عزوم السيارة وانتدوا بباب جيرون للاستشارة
وكان حذيهم شخص ميسمه ميسم الشبان ولبوسه لبوس الرهبان
وبيده سبحة النسوان وفي عينه ترجمة النشوان وقد قيد لحظه
بالجمع وأرهف أذنه لاسترقاق السمع فلما رأى انكفاءهم وقد برح
له خفاؤهم قال لهم يا قوم ليفرخ كربكم وليأمن سربكم
فسأخفركم بما يسرو روعكم ويبدو طوعكم قال الراوي

فاستطلعنا منه طلع الخفارة واستنبأناه الجلية عن السفارة
فزعم أنها كلمات لقنها في المنام ليحترس بها من كيد الأنام فجعل
بعضنا يومض إلى بعض ويقلب طرفيه بين الحظ والغض وتبين له أنا
استضعفنا الخبر واستشعرنا الخور فقال ما لكم اتخذتم جدي عبثا
وظلتم تبزي خبثا وايم الله لطالما جبت مخاوف الأقطار وولجت مقاحم
الأخطار فغنيت بها عن مصاحبة خفير واستصحاب جفير ثم إني
سأنفي ما رابكم وأستسل الحذر الذي نابكم بأن أوافقكم في البداوة
وأرافقكم في السماوة فإن صدقكم وعدي فأجدوا سعدي وأسعدوا
جدي وإن كذبكم فمي فمزقوا أدمي وأريقوا دمي قال الحرث
بن همام فألهمنا تصديق رؤياه وتحقيق ما رواه فنزعنا عن مجادلته
واستهمنا على معادلته وفصمنا بقوله عرى التريث وألغينا اتقاء
العائث والعابث ولما عكمت الرحال وأزف الترحال استنزلنا
كلماته الراقية لنجعلها الواقية الباقية فقال ليقرأ كل منكم أم القرآن

كلما أظل الملوان ثم ليقل بلسان خاضع وصوت خاشع اللهم
يا محيي الرفات ويا دافع الآفات ويا واقي المخافات ويا كريم
المكافاة ويا موئل العفاة ويا ولي العفو والمعافاة صل على محمد
خاتم أنبيائك ومبلغ أنبائك وعلى مصابيح أسرته ومفاتيح نصرته
وأعذني من نزغات الشياطين ونزوات السلاطين وإعنات
الباغين ومعاناة الطاغين وعدوان العادين وغلب الغالبين
وسلب السالبين وحيل المحتالين وغيل المغتالين وأجرني اللهم
من جور المجاورين وسطوة الجائرين وكف عني أكف الضايمين وأخرجني
من ظلمات الظالمين وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين ٥
اللهم احفظني في تربتي وغربتي وغيبتي وأوبتي ونجعتي ورجعتي
وتصرفي ومنصرفي وتقلبي ومنقلبي واحفظني في نفسي ونفائسي
وعرضي وعرضي وعددي وعددي وسكني ومسكني وحولي وحالي
ومآلي ومالي ولا تلحقني تغييرا ولا تسلط علي مغيرا واجعل

لي من لدنك سلطانا نصيرا اللهم احرسني بعينك التي لا تنام
وعونك واخصصني بأمنك ومنك وتولني باختيارك وخيرك ولا
تكلني إلى كلاءة غيرك وهب لي عافية غير عافية وارزقني رفاهية
غير واهية واكفني مخاشي اللأواء واكنفني بغواشي الآلاء ولا
تظفر بي أظفار الأعداء إنك سميع الدعاء ثم أطرق لا يدير لحاظا
ولا يحير لفظا حتى قلنا قد أبلسته خشية أو أخرسته غشية
ثم أقنع رأسه وصعد أنفاسه وقال أقسم بالسماء ذات الأبراج
والأرض ذات الفجاج والماء الثجاج والسراج الوهاج والبحر العجاج
والهواء العجاج إنها لمن أيمن العوذ وأغنى عنكم من لابسي الخوذ
من درسها عند ابتسام الفلق لم يشفق من خطب إلى الشفق ومن
سردها عند انتشار الغسق أمن ليلته من السرق قال الراوي
فتلقفناها حتى أتقناها وتدارسناها لكيلا ننساها ثم سرنا نزجي
الحمولات بالدعوات لا بالحداة ونحمي الحمولات بالكلمات لا بالكماة

وصاحبنا يتعهدنا بالعشي والغداة ولا يستخبر منا العداة حتى إذا عاينا
أطلال عانة قال لنا الإعانة الإعانة فأحضرنا المعلوم والمكتوم
وأريناه المعكوم والمختوم وقلنا له اقض ما أنت قاض فما نجد فينا غير
راض فما استخفه سوى الخف ولا حلي بعينه غير العين فاحتمل منهما
وقره وانساب بما يسد فقره ثم خالسنا مخالسة الطرار وانصلت منا
انصلات الفرار فأوحشنا فراقه وأدهشنا امتراقه ولم نزل ننشده
بكل ناد ونستخبر عنه كل غاد وهاد إلى أن قيل إنه منذ دخل عانة
ما زايل الحانة فأغراني خبث هذا القول بسبر كنهه والانسلاك فيما
لست من سلكه فادلجت إلى الدسكرة في هيئة منكرة فإذا الشيخ في حلة
ممصرة بين دنان ومعصرة وحوله سقاة تبهر وشموع تزهر وآس وعبهر
ومزمار ومزهر وهو تارة يستبزل الدنان وطورا يستنطق العيدان
ومرة يستنشق الريحان وأخرى يغازل الغزلان فلما عثرت على لبسه
وتفاوت يومه من أمسه قلت له أولى لك يا ملعون أأنسيت يوم جيرون فضحك

فضحك مستغربا ثم أنشد مطربا

لزمت السفار وجبت القفار وعفت النفار لأجني الفرح
وخضت السيول ورضت الخيول لجر ذيول الصبى والمرح
ومطت الوقار وبعت العقار لحسو العقار ورشف القدح
ولولا الطماح إلى شرب راح لما كان باح فمي بالملح
ولا كان ساق دهاء الرفاق لأرض العراق بحمل السبح
فلا تغضبن ولا تصخبن ولا تعتبن فعذري وضح
ولا تعجبن لشيخ أبن بمغنى أغن ودن طفح
فإن المدام تقوي العظام وتشفي السقام وتنفي الترح
وأصفى السرور إذا ما الوقور أماط ستور الحيا واطرح
وأحلى الغرام إذا المستهام أزال اكتتام الهوى وافتضح
فبح بهواك وبرد حشاك فزند أساك به قد قدح
وداو الكلوم وسل الهموم ببنت الكروم التي تفترح

وخص الغبوق بساق يتوق بلاء المشوق اذا ما طمح
وشاد يشيد بصوت تميد جبال الحديد له ان صدح
وعاص النصيح الذي لا يبيح وصال المليح اذا ما سمح
وجل في المحال ولو بالمحال ودع ما يقال وخذ ما صلح
وفارق اباك اذا ما اباك ومد الشباك وصد ما سنح
وصاف الخليل وناف البخيل ووال الجميل واول المنح
ولذ بالمتاب امام الذهاب فمن دق باب كريم فتح

فقلت له بخ بخ لرواياتك واف وتف لغواياتك فبالله من اي الاعياص عيصك فقد اعضلني عويصك فقال ما اريد ان افصح عني ولكني ساكني

انا اطروفة الزمان واعجوبة الامم وانا الحول الذي احتال في العرب والعجم
غير اني ابن حاجة هاضه الدهر واهتضم وابو صبية بدوا مثل لحم على وضم
واخو العيلة المعيل اذا احتال لم يلم

قال فعرفت حينئذ انه ابو زيد ذو الترهات والعيب ومسود وجه الشيب وساءني عظم مرزئته وقبح تورطه فقلت له بلسان الانفة وادلال المعرفة ألم يأن لك يا شيخنا ان تقلع عن الخنا فتمجر وزمجر وتنكر وفكر ثم قال انها ليلة مراح لا تلاح ونهزة شرب راح لا كفاح فعد عما بدا الى ان نتلاقى غدا ففارقته فرقا من عربدته لا تعلقا بعدته وبت ليلتي لابسا جلباب الندم على نقلي خطا القدم الى ابنة الكرم لا الكرم وعاهدت الله تعالى الا احضر بعدها حانة نباذ ولو اعطيت ملك بغداذ وان لا اشهد معصرة الشراب ولو رد علي عصر الشباب ثم انا رحلنا العيس وقت التغليس وخلينا بين الشيخين ابي زيد وابليس

المقامة الثالثة عشرة

روى الحرث بن همام قال ندوت بضواحي الزوراء مع مشيخة من الشعراء لا يعلق لهم مبار بغبار ولا يجري معهم ممار في مضمار فافضنا

في حديث يفضح الأزهار إلى أن نصف النهار فلما غاض در الأفكار
وصبت النفوس إلى الأوكار لمحنا عجوزا تقبل من البعد وتحضر إحضار
الجرد وقد استتلت صبية أنحف من المغازل وأضعف من الجوازل
فما كذبت إذ رأتنا أن عرتنا حتى إذا ما حضرتنا قالت حيا الله المعارف
وإن لم يكن معارف ∴ اعلموا يا مآل الآمل وثمال الأرامل
أني من سروات القبائل وسريات العقائل لم يزل أهلي وبعلي يحلون
الصدر ويسيرون القلب ويمطون الظهر ويولون اليد فلما أردى
الدهر الأعضاد وفجع بالجوارح وانقلب ظهرا لبطن نبا الناظر الأكباد
وجفا الحاجب وذهبت العين وفقدت الراحة وصلد الزند ووهت
اليمين وبانت المرافق ولم يبق لنا ثنية ولا ناب فمذ اغبر العيش
الأخضر وازور المحبوب الأصفر اسود يومي الأبيض وابيض فودي
الأسود حتى رثى لي العدو الأزرق فحبذا الموت الأحمر وتلوي
من ترون عينه فراره وترجمانه اصفراره قصوى بغية أحدهم بردة

وقصارى منيته ثردة وكنت آليت ألا أبذل الحر إلا للحر ولو أني
مت من الضر وقد آذنتني فراسة الحوباء بأنكم ينابيع الحباء وناجتني
القرونة بأن توجد عندكم المعونة فنضر الله امرأ أبر قسمي وصدق
توسمي ونظر إلي بعين يقذيها الجمود ويقذيها الجود قال
الحرث بن همام فهمنا ببراعة عبارتها وملح استعارتها وقلنا لها
قد فتن كلامك فكيف إلحامك فقالت تفجر الصخر ولا فخر فقلنا إن
جعلتنا من رواتك لم نبخل بمواساتك فقالت لأرينكم أولا شعاري
ثم لأروينكم أشعاري وأبرزت ردن درع دريس وبرزت برزة
عجوز درد بيس وأنشأت تقول ٥

أشكو إلى الله اشتكاء المريض ... ريب الزمان المتعدي البغيض
يا قوم إني من أناس غنوا ... دهرا وجفن الدهر عنهم غضيض
فخارهم ليس له دافع ... وصيتهم بين الورى مستفيض
كانوا إذا ما نجعة أعوزت ... في السنة الشهباء روضا أريض

تُشَبُّ للسارين نيرانهم ويطعمون الضيف لحمًا غَرِيض

ما بات جارٌ لهم ساغبًا ولا لروعٍ قال حال الجريض

فغيَّضت منهم صروف الردى بحار جودٍ لم أخلها تغيض

وأودعت منهم بطون الثرى أُسْدَ التَّحامي وأُساة المريض

فمَحملي بعد المطايا المطا وموطني بعد اليفاع الحضيض

وأفرُخي ما تأتلي تشتكي بؤسًا له في كل يومٍ وميض

إذا دعا القانت في ليله مولاه نادوه بدمعٍ يفيض

يا رازق النعّاب في عشّه وجابر العظم الكسير المهيض

أتِحْ لنا اللهمّ من عِرضه من دَنَس الذمّ نقيٌّ رحيض

يُطفي نار الجوع عنّا ولو بمذقةٍ من حازرٍ أو مخيض

فهل فتى يكشف ما نابهم ويغنم الشكر الطويل العريض

فوالذي تعنو النواصي له يوم وجوه الجمع سُودٌ وبيض

لولاهم لم تبدُ لي صفحةٌ ولا تصدّيت لنظم القريض

قال الراوي فوالله لقد صدعت بأبياتها أعشار القلوب واستخرجت خبايا الجيوب حتى ماحها من دينه الامتياح وأتاح لرفدها من لم نخله يرتاح فلما افعوعم جيبها تبرًا وأولاها كلٌّ منّا برًّا تولّت يتلوها الأصاغر وفوها بالشكر فاغر فاشرأبّ الجماعة بعد ممرّها إلى سبرها لتبلو مواقع برّها فكفلت لهم باستنباط السرّ المرموز ونهضت أقفو أثر العجوز حتى انتهت إلى سوقٍ مغتصّةٍ بالأنام مختصّةٍ بالزحام فانغمست في الغمار وامّلست من الصبية الأغمار ثم عاجت بخلوّ بالٍ إلى مسجدٍ خالٍ فأماطت الجلباب ونضت النقاب وأنا ألمحها من خصاص الباب وأرقب ما ستبدي من العجاب فلما انسرت أهبة الخفر رأيت محيّا أبي زيدٍ قد سفر فهممت بأن أهجم عليه لأعنّفه على ما أجرى إليه فاستلقى استلقاء المتمرّدين ثم رفع عقيرة المغرّدين واندفع ينشد

يا ليت شعري أدهري أحاط علمًا بقدري

وهل أدري كنه غوري في الخدع أم ليس يدري

كم قد قمرت بنيه بحيلتي وبمكري

وكم برزت بعرف عليهم وبنكر

أصطاد قوما بوعظ وآخرين بشعر

وأستفز بخل عقلا وعقلا بخمر

وتارة أنا صخر وتارة أخت صخر

ولو سلكت سبيلا مألوفة طول عمري

لخاب قدحي وقدري ودام عسري وخسري

فقل لمن لام هذا عذري فدونك عذري

قال الحرث بن همام فلما ظهرت على جلية أمره وبديعة إمره وما زخرف
في شعره من عذره علمت أن شيطانه المريد لا يسمع التفنيد ولا يصنع إلا
ما يريد فثنيت إلى أصحابي عناني وأبثثتهم ما أثبته عياني فوجموا
لضيعة الجوائز وتعاهدوا على محرمة العجائز

المقامة الرابعة عشرة

حكى الحرث بن همام قال نهضت من مدينة السلام لحجة الإسلام
فلما قضيت بعون الله التفث واستبحت الطيب والرفث صادف موسم الخيف
معمعان الصيف فاستظهرت للضرورة بما يقي حر الظهيرة فبينا
أنا تحت طراف مع رفقة ظراف وقد حمي وطيس الحصباء وأعشى الهجير
عين الحرباء هجم علينا شيخ متسعسع يتلوه فتى مترعرع فسلم الشيخ
تسليم أديب أريب وحاور محاورة قريب لا غريب فأعجبنا بما نشر
من سمطه وعجبنا من انبساطه قبل بسطه وقلنا له ما أنت وكيف ولجت
وما استأذنت فقال أما أنا فعاف وطالب إسعاف وسر ضري
غير خاف والنظر إلى شفيع لي كاف وأما الانسياب الذي علق به
الارتياب فما هو بعجاب إذ ما على الكرماء من حجاب فسألناه أنى اهتدى
إلينا وبم استدل علينا فقال إن للكرم نشرا تنم نفحاته وترشد
إلى روضه فوحاته فاستدللت بنا أرج عرفكم على تبلج عرفكم وبشرني

تضوع ندكم بحسن المنقلب من عندكم فاستخبرناه حينئذ عن لبانته لنكفل
بإعانته فقال إن لي مأربا ولفتاي مطلبا فقلنا كلا المرامين سيقضى وكلاكما
سوف يرضى ولكن الكبر الكبر فقال أجل ومن دحا السبع الغبر ثم
وثب للمقال كالمنشط من العقال وأنشد

إني امرؤ أبدع بي بعد الوجى والتعب
وشقة شاسعة يقصر عنها خببي
وما معي خردلة مطبوعة من ذهب
فحيلتي منبتة وحيرتي تلعب بي
إن أنا خلفت رحلا كاسفا ذا لهب
وإن تخلفت عن الرفقة ضاق مذهبي
فرفرفي في صعد وعبرتي في صبب
وأنتم منتجع الراجي ومرمى الطلب
لهاكم منهلة ولا انهلال السحب
وجاركم في حرم وفرقكم في حرب
ما لاذ من تابع ركبكم فخاف نائب النوب
ولا استدر أمل حباكم فما حبي
فانعطفوا في قصتي واحتسبوا منقلبي
فلو بلوتم عيشتي في مطعمي ومشربي
لساءكم ضري الذي أسلمني للكرب
أو لو خبرتم حسبي ونسبي ومذهبي
وما حوت معرفتي من العلوم النخب
لما اعترتكم شبهة في أن دائي أدبي
فليتني لم أكن أرضعت ثدي الأدب
فقد دهاني شومه وعقني فيه أبي

فقلنا له أما أنت فقد صرحت أبياتك بفاقتك وعطب ناقتك وسنمطيك
ما يوصلك إلى بلدك فما مأربة ولدك فقال له قم يا بني كما قام أبوك وفه بما

في نفسك لا فضّ فوك فنهض الفتى نهوض البطل للبراز وأصلت لسانًا كالعضب الجراز

وأنشأ يقول

يا سادة في المعالي لهم مبانٍ مشيدة
ومن إذا ناب خطب قاموا بدفع المكيدة
ومن يهون عليهم بذل الكنوز العتيدة
أريد منكم شواءً وجردقًا وعصيدة
فإن غلا فرقاق به توارى الشهيدة
أو لم يكن ذا ولا ذا فشبعة من ثريدة
وإن تعذّر طرًّا فعجوة ونهيدة
فأحضروا ما تسنّى ولو شظًا من قديدة
وروّجوه فنفسي لما يروج مريدة
والزاد لا بدّ منه لرحلة لي بعيدة
وأنتم خير رهط يدعون عند الشديدة

أيديكم كل يوم لها أيادٍ جديدة
ورفدكم والصلات شمل الصلات المفيدة
وبغيتي في مطاوي ما ترفدون زهيدة
وفي أجر وعقبى تنفيس كربي حميدة
ولي نتائج فكر يفضح كل قصيدة

قال الحرث بن همام فلما رأينا الشبل يشبه الأسد أرحلنا الوالد وزوّدنا الولد فقابلا الصنع بشكر نشرا أرديته وأدّيا بُرديته ولما عزما على الانطلاق وعقدا للرحلة حبك النطاق قلت للشيخ هل ضاهت عدتنا عدة عرقوب أو بقيت حاجة في نفس يعقوب فقال حاشى لله وكلا بل جلّ معروفكم وجلا فقلت له فدناك كما فديناك وأفدنا كما أفدناك أين الدويرة فقد ملكتنا فيك الحيرة فتنفس تنفس من ادّكر أوطانه وأنشد والشهيق يلعثم لسانه

سروج داري ولكن كيف السبيل إليها
وقد أناخ الأعادي بها وأخنوا عليها

فوالتي سرت أبغي حط الذنوب لديها
ما أن لي طرف في شي مذ غبت عن طرفيها

ثم اغرورقت عيناه بالدموع وآذنت مدامعه بالهموع فكره أن يستوكفها
ولم يملك أن يكفكفها فقطع إنشاده المستحلى وأوجز في الوداع وولى

المقامة الخامسة عشرة

أخبر الحارث بن همام قال أرقت ذات ليلة حالكة الجلباب هامية
الرباب ولا أرق صب طرد عن الباب ومني بصد الأحباب فلم تزل الأفكار
يبعثن همي ويحملن في الوساوس وهمي حتى تمنيت لمضض ما عانيت أن أرزق
سميرا من الفضلاء ليقصر طول ليلتي الليلاء فما انقضت منيتي ولا أغمضت
مقلتي حتى قرع الباب قارع له صوت خاشع فقلت في نفسي لعل غرس
التمني قد أثمر وليل الحظ قد أقمر فنهضت إليه عجلان وقلت من الطارق
الآن فقال غريب أجنه الليل وغشيه السيل ويبتغي الإيواء لا غير

وإذا أسحر قدم السير قال فلما جلى شعاعه على شمسه ونم عنوانه بسر
طرسه علمت أن مسامرته غنم ومساهرته نعم ففتحت الباب بابتسام
وقلت ادخلوها بسلام فدخل شخص قد حنى الدهر صعدته وبلل القطر بردته
فحيا بلسان عضب وبيان عذب ثم شكر على تلبية صوته واعتذر من الطروق
في غير وقته فدنيته بالمصباح المتقد وتأملته تأمل المنتقد فألفيته
شيخنا أبا زيد بلا ريب ولا رجم غيب فأحللته محل من أظفرني بقصوى
الطلب ونقلني من وقذ الكرب إلى روح الطرب ثم أخذ يشكو الأين وأخذت
في كيف وأين فقال أبلعني ريقي فقد أتعبني طريقي فظننته مستبطنا
للسغب متكاسلا لهذا السبب فأحضرته ما يحضر للضيف المفاجي
في الليل الداجي فانقبض انقباض المحتشم وأعرض إعراض البشم فسؤت ظنا
بامتناعه وأحفظني حئول طباعه حتى كدت أغلظ له في الكلام وأتبعه
بجمة الملام فتبين من لمحات ناظري ما خامر خاطري وقال يا ضعيف الثقة
بأهل المقة عد عما أخطرته ببالك واستمع إلي لا أبا لك فقلت هات

يا أخا الترهات فقال اعلم أني بت البارحة حليف إملاس ونجي وساوس
فلما قضى الليل نحبه وغور الصبح شهبه غدوت وقت الإشراق إلى بعض
الأسواق متصديا لصيد يسنح أو حر يسمح فلحظت بها تمرا قد أحسن
تصفيفه وأحسن إليه مضيفه فجمع على التحقيق صفاء الرحيق وقنو العقيق
وقبالته لبأ قد برز كالإبريز الأصفر والتحلي في اللون المزعفر فهو
يثني على طاهيه بلسان تناهيه ويصوب رأي مشتريه ولو نقد حبة
القلب فيه فأسرتني الشهوة بأشطانها وأسلمتني العيمة إلى سلطانها
فبقيت أحير من ضب وأذهل من صب لا وجد يوصلني إلى نيل المراد
ولا ثم الازدراد ولا قدم تطاوعني على الذهاب مع حرقة الالتهاب لكن
جذبني القرم وسورته والسغب وفورته على أن أنتجع كل أرض
وأقنع من الورد ببرض فلم أزل سحابة ذلك النهار أجد إلى دلوي
في الأنهار وهي لا ترجع ببلة ولا تجلب نقع غلة إلى أن صغت الشمس
للغروب وضعفت النفس من اللغوب فرحت بكبد حري وانثنيت أقدم

رجلا وأؤخر أخرى وبينما أنا أسعى وأقعد وأهب وأركد إذ قابلني
شيخ يتأوه آهة الثكلان وعيناه تهملان فما شغلني ما أنا فيه من داء الذئب
والخوى المذيب عن تعاطي مداخلته والطمع في مخاتلته فقلت له
يا هذا إن لبكائك سرا ووراء تحرقك لسرا فأطلعني على برحائك
واتخذني من نصحائك فإنك ستجد مني طبا آسيا أو عونا مواسيا
فقال والله ما تأوهي لعيش فات ولا من دهر آفات بل لانقراض العلم
ودروسه وأفول أقماره وشموسه فقلت وأي حادثة نجمت وقضية
استعجمت حتى هاجت لك الأسف على فقد من سلف فأبرز رقعة من كمه
وأقسم بأبيه وأمه لقد أنزلها بأعلام المدارس فما امتازوا عن الأعلام
الدوارس واستنطق لها أحبار المحابر فخرسوا ولا خرس سكان المقابر
فقلت أرنيها فلعلي أغني فيها فقال ما أبعدت في المرام فرب رمية من
غير رام ثم ناولنيها فإذا المكتوب فيها

أيها العالم الفقيه الذي فاق ذكا فما له من شبيه

أفتنا في قضية حاد عنها كل قاض وحار كل فقيه

رجل مات عن أخ مسلم حر تقي من أمه وأبيه

وله زوجة لها أيها الحبر أخ خالص بلا تمويه

فحوت فرضها وحاز أخوها ما تبقى بالإرث دون أخيه

فاشفنا بالجواب عما سألنا فهو نص لا خلف يوجد فيه

قال فلما قرأت شعرها وتلمحت سرها قلت له على الخبير بها سقطت وعند ابن بجدتها حططت إلا أني مضطرم الأحشاء مضطر إلى العشاء فأكرم مثواي ثم استمع فتواي فقال لقد أنصفت في الاشتراط وتجافيت عن الاشتطاط فصر معي إلى مربعي لتظفر بما تبتغي وتنقلب كما ينبغي قال فصاحبته إلى خربة كما حكم الله فأدخلني بيتا أحرج من التابوت وأوهن من بيت العنكبوت إلا أنه جبر ضيق ربعه بتوسعة ذرعه فحكمني في القرى ومطايب ما يشترى فقلت أريد أن هي تركب على أشهى مركوب وأنفع صاحب مع أصر مصحوب ففكر ساعة طويلة ثم قال لعلك

تعني بنت نخلة مع لبإ سخلة فقلت إياهما عنيت ولأجلهما تعنيت فنهض نشيطا ثم ربض مستنشطا وقال اعلم أصلحك الله أن الصدق نباهة والكذب عاهة فلا يحملنك الجوع الذي هو شعار الأنبياء وحلية الأولياء على أن تلحق بمن مان وتخلق بالخلق الذي يجانب الإيمان فقد تجوع الحرة ولا تأكل بثدييها وتأبى الدنية ولو اضطرت إليها ثم إني لست لك بمغبون ولا أغضي على صفقة مغبون وها أنا قد أنذرتك قبل أن أنبئك الشن ونعقد بيننا الوثن فلا تبلغ بعد الإنذار وحذار من المكاذبة حذار فقلت له والذي حرم أكل الربا وأحل أكل اللبا ما فهت بزور ولا دب لينك بغرور وستخبر حقيقة الأمر وتحمد بذل اللبإ والتمر فهش هشاشة المصدوق وانطلق مغذا إلى السوق فما كان بأسرع من أن أقبل بهما يدلج ووجهه من التعب يكلح فوضعهما لدي وضع الممتن علي وقال اضرب الجيش بالجيش تحظ بلذة العيش فحسرت عن ساعد النهم وحملت حملة الفيل الملتهم وهو يلحظني كما يلحظ الحنق ويود من الغيظ

لو اختنق حتى إذا التهمت النوعين وغادرتهما أثرا بعد عين أفردت حيرة
في ظلال البيان وفكرت في جواب الأبيات فما لبث أن قام وأحضر الدواة
والأقلام وقال قد ملأت الجراب فأمل الجواب وإلا فتهيأ إن نكلت
لاغترام ما أكلت فقلت له ما عندي إلا التحقيق فاكتب الجواب وبالله التوفيق ٥

قل لمن يلغز المسائل إني كاشف سرها الذي تخفيه
إن ذاك الميت الذي قدم الشرع أخا عرسه على ابن أبيه
رجل زوج ابنه عن رضاه بحماة له ولا غرو فيه
ثم مات ابنه وقد علقت منه فجاءت بابن يسر ذويه — له حكيه
فهو ابن ابنه بغير مراء وأخو عرسه بلا تمويه
وابن الابن الصريح أدنى إلى الجد وأولى بإرثه من أخيه
فلذا حين مات أوجب للزوجة ثمن التراث تستوفيه
وحوى ابن ابنه الذي هو في الحكم أخوها من أمه باقيه
وتخلى الأخ الشقيق من الإرث وقلنا يكفيك أن تبكيه

هاك مني الفتيا التي يحتذيها كل قاض يقضي وكل فقيه

فلما أثبت الجواب واستثبت منه الصواب قال لي أهلك والليل فشمر
الذيل وبادر السيل فقلت إني بدار غربة وفي إيواي أفضل قربة لا سيما
وقد أغدف جنح الظلام وسجم الرعد في الغمام فقال اغرب عنا فأك الله
إلى حيث شئت ولا تطمع في أن تبيت فقلت ولم ذاك مع خلو ذراك قال
لأني أنعمت النظر في التقامك ما أحضر حتى لم تبق ولم تذر فرأيتك لا تنظر
في مصلحتك ولا ترعى حفظ صحتك ومن أمعن فيما أمعنت وتبطن ما
تبطنت لم يخلص من كظة مدنفة أو هيضة متلفة فدعني بالله كفافا
وأخرج عني ما دمت معافى فوالذي يحيي ويميت ما لك عندي مبيت فلما
سمعت أليته وبلوت بليته خرجت من بيته بالرغم وتزود الغم بجود السماء
وتخبط في الظلماء وتنبحني الكلاب وتتقاذفني الأبواب حتى ساقني
إليك لطف القضاء فشكرا ليده البيضاء فقلت له أحبب بلقائك المتاح
إلى قلبي المرتاح ثم أخذ يفتن في حكاياته ويشمط مضحكاته بمبكياته

إلى أن عطس أنف الصباح وهتف داعي الفلاح فتأهب لإجابة الداعي
ثم عطف إلى وداعي فعقته عن الانبعاث وقلت الضيافة ثلث فناشد
وحرج ثم أم المخرج وأنشد إذ عرج ٥

لا تزر من تحب في كل شهر غير يوم ولا تزده عليه
فاجتلاء الهلال في الشهر يوم ثم لا تنظر العيون إليه

قال الحرث بن همام فودعته بقلب جم القرح ووددت لو أن ليلتي بطينة الصبح ٥ بلغت القراءة والمعارضة

المقامة السادسة عشرة

حكى الحرث بن همام قال شهدت صلاة المغرب في بعض مساجد المغرب فلما
أديتها بفضلها وشفعتها بنفلها أخذ طرفي رفقة قد انتبذوا ناحية
وامتازوا صفوة صافية وهم يتعاطون كأس المنافثة ويقتدحون زناد
المباحثة فرغبت في محادثتهم لكلمة تستفاد أو أدب يستزاد
فسعيت إليهم سعي المتطفل عليهم وقلت أتقبلون نزيلا يطلب جنى

الأسمار لا جنى الثمار ويبغي ملح الحوار لا ملح الخوان فحلوا لي الحبا
وقالوا مرحبا مرحبا فلم أجلس إلا لمحة بارق أو نغبة طائر خائف
حتى غشينا جواب على عاتقه جراب فحيانا بالكلمتين وحيا المسجد بالتسليمتين
ثم قال يا أولي الألباب والفضل اللباب أما تعلمون أن أنفس القربات
تنفيس الكربات وأمتن أسباب النجاة مواساة ذوي الحاجات وإني
ومن أحلني ساحتكم وأتاح لي استماحتكم لشريد محل قاص وبريد
صبية خماص فهل في الجماعة من يفثأ عنا حميا المجاعة فقالوا له يا هذا إنك
حضرت بعد العشاء ولم يبق إلا فضلات العشاء فإن كنت بها قنوعا فما تجد
فينا منوعا فقال إن أخا الشدائد ليقنع بلفاظات الموائد ونفاضات
المزاود فأمر كل منهم عبده أن يزوده ما عنده فأعجبه الصنع وشكر عليه
وجلس يرقب ما يحمل إليه وثبنا نحن إلى استثارة ملح الأدب وعيونه
واستنباط معينه من عيونه إلى أن جلنا فيما لا يستحيل بالانعكاس
كقولك ساكب كاس فتداعينا إلى أن نستنتج له الأخوات

وتفرّع منه الأفكار على أن ينظم البادي ثلاث كلمات في عقده
ثم تتدرّج الزيادات من بعده فيشفع ذو ميمنته في نظمه ويسبّع صاحب
ميسرته على زعمه قال الحرث بن همّام وكنّا قد انتظمنا عدّة أصابع الكف
وتألّفنا ألفة أصحاب الكهف فابتدر لنظم محنتي صاحب ميمنتي وقال
لم أخا ملّ وقال ميامنه كن راجيا أجر ربك وقال
الذي يليه من يرب إذا برّ ينم وقال الآخر سكت كل من
نمّ لك بكس وانتهت النوبة إليّ وقد تعيّن نظم السمط السباعي عليّ
فلم يزل فكري يصوغ ويكسر ويثري ويعسر وفي ضمن ذلك أستطعم
فلا أجد من يطعم إلى أن ركد النسيم وحصحص التسليم فقلت لأصحابي
لو حضر أبو زيد هذا المقام لشفى الداء العقام فقالوا لو نزلت هذه
بإياس لأمسك على ياس وجعلنا نفيض في استصعابها واستغلاق بابها
وذلك الضيف المعتري يلحظنا لحظ المزدري ويؤلّف الدرّ ونحن
لا ندري فلما عثر على افتضاحنا ونضوب ضحضاحنا قال يا قوم إنّ

من العناء العظيم استنباط الماء العقيم والاستشفاء بالسقيم وفوق كل ذي علم
عليم ثم أقبل عليّ وقال سأنوب منابك وأكفيك ما نابك فإن شئت أن
تنثر ولا تعثر فقل مخاطبا لمن ذمّ البخل وأكثر العذل ٭ لذ بكل
مؤمّل إذا لمّ وملّك بذل وإن شئت أن تنظم فقل للذي تعظّمه ٭

أسِ أرملا إذا عرا ... وارعَ إذا المرء أسا
أسند أخا نباهة ... أبن إخاء دنسا
أسل جناب غاشم ... مشاغب إن جلسا
أسر إذا هبّ مرا ... وارم به إذا رسا
أسكن تقوّ فعسى ... يسعف وقت نكسا

قال فلما سحرنا بآياته وحسرنا ببعد غاياته مدحناه حتى استعفى
ومنحناه إلى أن استكفى ثم شمّر ثيابه وازدفر جرابه ونهض ينشده ٭

لله درّ عصابة ... صدق المقال مقاولا
فاقوا الأنام فضائلا ... مأثورة وفواضلا

جاورتهم فوجدت سحبانا لديهم باقلا

وحللت فيهم سائلا فلقيت جودا سائلا

أقسمت لو كان الكرام حيا لكانوا وابلا

ثم خطا قيد رمحين وعاد مستعيذا من الحين وقال يا أعز من عدم الآل

وكنز من سلب المال إن الغاسق قد وقب ووجه المحجة قد انتقب وبيني وبين

كني ليل دامس وطريق طامس فهل من مصباح يؤمنني العثار ويبين لي الآثار

قال فلما جيء بالملتمس وجلى الوجوه ضوء القبس رأيت صاحب صيدنا هو أبو زيدنا

فقلت لأصحابي هذا الذي أشرت إلى أنه إذا نطق أصاب وإن استمطر صاب

فأتلعوا نحوه الأعناق وأحدقوا به الأحداق وسألوه أن يسامرهم ليلته على

أن يجبروا عيلته فقال حبا لما أحببتم ومرحبا بكم إذ رحبتم غير أني قصدتكم

وأطفالي يتضورون من الجوع ويدعون لي بوشك الرجوع وإن استبطأوا ثويي

خامرهم الطيش ولم يصف لي العيش فدعوني لأذهب فأسد مخمصتهم

وأسيغ غصتهم ثم أنقلب إليكم على الأثر متأهبا للسمر إلى السحر فقلنا

لأحد الغلمة أتبعه إلى فيئته ليكون أسرع لفيئته فانطلق معه متأبطا جرابه

ومستحثا إيابه وأبطأ إبطاء جاوز حده ثم عاد الغلام وحده فقلنا ما عندك

من الخبيث عن الخبيث فقال أخذ بي في طرق متعبة وسبل متشعبة حتى أفضينا

إلى دويرة خربة فقال هاهنا منزلي وكن أفراخي ثم استفتح بابه واختلج

مني جرابه وقال لعمري لقد خففت عني واستوجبت الحسنى مني فهاك نصيحة

هي من نفائس النصائح ومغارس المصالح وأنشد

إذا ما حويت جنى نخلة فلا تقربنها إلى قابل

وإما سقطت على بيدر فحوصل من السنبل الحاصل

ولا تلبثن إذا ما لقطت فتنشب في كفة الحابل

ولا توغلن فيما سبحت فإن السلامة في الساحل

وخاطب بهات وجاوب بسوف وبع آجلا منك بالعاجل

ولا تكثرن على صاحب فما مل قط سوى الواصل

ثم قال اخزنها في تامورك واقتد بها في أمورك وبادر إلى صحبك في

كلأه ربك فإذا بلغتهم فأبلغهم تحيتي واتل عليهم وصيتي وقل لهم عني إن
السهر في الحق آفات لمن أعظم الآفات ولست ألغي احتراسي ولا أجلب
الهوس إلى راسي قال الراوي فلما وقفنا على شعره على نكره ومكره
تلاومنا على تركه والاغترار بإفكه ثم تفرقنا بوجوه باسرة وصفقة خاسرة

المقامة السابعة عشرة وتعرف بالقهقرية

حدث الحارث بن همام قال لحظت في بعض مطارح البين ومطامح العين
فتية عليهم سيما الحجى وطلاوة نجوم الدجى وهم في مماراة مشتدة الهبوب
ومباراة مشتطة الألهوب فهزني لقصدهم هوى المحاضرة واستحلاء جنى
المناظرة فلما التحفت برهطهم وانتظمت في سمطهم قالوا أأنت ممن يبلي
في الهيجاء ويدلي دلوه في الدلاء فقلت بل أنا من نظارة الحرب لا من أبناء
الطعن والضرب فأضربوا عن محاجتي وأفاضوا في التحاجي وكان في بحبوحة
حلقتهم وإكليل رفقتهم شيخ قد برته الهموم ولوحته السموم حتى عاد

أنحل من قلم وأقحل من جلم إلا أنه كان يبدي العجاب إذا أجاب ويبذ
سحبان كلما أبان فأعجبت بما أوتي من الإصابة والتبريز على تلك العصابة
وما زال يفضح كل معمى ويصمي في كل مرمى إلى أن خلت الجعاب ونفد السؤال
والجواب فلما رأى انفضاض القوم واضطرارهم إلى الصوم عرض بالمطارحة
واستأذن في المفاتحة فقالوا لمه حبذا ومن لنا بذا فقال أتعرفون رسالة
أرضها سماؤها وصبحها مساؤها نسجت على منوالين وتجلت في لونين وصلت
إلى جهتين وبدت ذات وجهين إن غشيت من مشارقها فناهيك بزونقها وإن
طلعت من مغاربها فيا لعجبها قال فكأن القوم رموا بالصمات أو وحيت
عليهم كلمة الإنصات فما نبس منهم إنسان ولا فاه لأحدهم لسان فحين
رآهم بكما كالأنعام وصموتا كالأصنام قال لهم قد أجلتكم أجل العدة
وأرخيت لكم طول المدة ثم ها هنا مجمع الشمل وموقف الفصل فإن سمحت
خواطركم مدحنا وإن صلدت زنادكم قدحنا فقالوا والله ما لنا في
لجة هذا البحر مسبح ولا في ساحله مسرح فأرح أفكارنا من الكد

وهنّى لنا العطية بالنقد واتخذنا إخوانا يشنون إذا وثبت ويثبون متى
استثبت فأطرق ساعة ثم قال سمعا لكم وطاعة فاستملوا مني وانقلوا عني
الإنسان صنيعة الإحسان ورب الجميل فعل الندب وشيمة الحر
ذخيرة الحمد وكسب الشكر استثمار السعادة وعنوان الكرم تباشير
البشر واستعمال المداراة يوجب المصافاة وعقد المحبة يقتضي النصح
وصدق الحديث حلية اللسان وفصاحة المنطق سحر الألباب وشرك
الهوى آفة النفوس وملل الخلائق شين الخلائق وسوء الطمع يباين
الورع والتزام الحزامة زمام السلامة وتطلب المثالب شر المعايب
وتتبع العثرات يدحض المودات وخلوص النية خلاصة العطية
وتهنية النوال ثمن السؤال وتكلف الكلف يسهل الخلف وتيقن
المعونة يسني المؤونة وفضل الصدر سعة الصدر وزينة الرعاة
مقت السعاة وجزاء المدائح بث المنائح ومهر الوسائل تشفيع
المسائل ومجلبة الغواية استغراق الغاية وتجاوز الحد يكل الجد

وتعدي الأدب يحبط القرب وتناسي الحقوق ينشئ العقوق وتحاشي الريب
يرفع الرتب وارتفاع الأخطار باقتحام الأخطار وتسوّد الأقدار بموافاة
الأقدار وشرف الأعمال في تقصير الآمال وإطالة الفكر تنقيح الحكمة
ورأس الرياسة تهذيب السياسة ومع اللجاجة تلغى الحاجة وعند
الأوجال تتفاضل الرجال وبتفاضل الهمم تتفاوت القيم وبتربية السفير
يهن التدبير وبخلل الأحوال تتبين الأهوال وبموجب الصبر ثمرة النصر
واستحقاق الإحماد بحسب الاجتهاد ووجوب الملاحظة كفاء المحافظة
وصفاء الموالي بتعهد الموالي وتحلي المروات بحفظ الأمانات واختبار
الإخوان بتخفيف الأحزان ودفع الأعداء بكف الأوداء وامتحان العقلاء
بمقارنة الجهلاء وتبصر العواقب يؤمن المعاطب واتقاء الشنعة ينشر
السمعة وقبح الجفاء ينافي الوفاء وجوهر الأحرار عند الأسرار
ثم قال هذه مائة لفظة تحتوي على أدب وعظة فمن ساقها هذا
المساق فلا مراء ولا شقاق ومن رام عكس قالبها وأن يردها على عقبها

فليقل الأشرار عند الأخيار وجوهر الوفاء يتأنى في الجفا وقبح السمعة ينشر الشنعة ثم على هذا المنحى فليسحبها ولا يرهبنها حتى تكون خاتمة فقرها وآخرة دررها ورب الإحسان صنيعة الإنسان ٥

قال الراوي فلما صدع برسالته الفريدة وأملوحته المفيدة علمنا كيف يتفاضل الإنشاء وأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء ثم أعلق كل منا بذيله وقلنا له فلذة من نيله فأبى قبول فلذتي وقال لست أرزأ تلامذتي فقلت له كن أبا زيد على شحوب سحنتك ونضوب ماء وجنتك فقال أنا هو على تحولي ونحولي وقشف محولي فأخذت في تأنيبه على تشريقه وتغريبه فتخولق واسترجع وأنشد من قلب موجع ٥

سل الزمان علي عضبه ليروعني وأحد غربه
واستل من جفني كراه مراغمًا وأسال غربه
وأجالني في الأفق أطوي شرقه وأجوب غربه
فبكل جو طلعة في كل يوم لي وغربه

وكذا المغرب شخصه متغرب ونواه غربه

ثم ولى يجر عطفيه ويخطر بيديه ونحن من تلفت إليه ومتهافت عليه ثم لم نلبث أن حللنا الحبا وتفرقنا أيادي سبا ٥

المقامة الثامنة عشرة

حكى الحارث بن همام قال قفلت ذات مرة من الشام أنحو مدينة السلام في ركب من بني نمير ورفقة أولي خير وميرة ومعنا أبو زيد السروجي عقلة العجلان وسلوة الثكلان وأعجوبة الزمان والمشار إليه بالبنان في البيان فصادف نزولنا سنجار أن أولم بها أحد التجار فدعا إلى مأدبته الجفلى من أهل الحضارة والفلاحة حتى سرت دعوته إلى القافلة وجمع فيها بين الفريضة والنافلة فلما أجبنا مناديه وحللنا ناديه أحضر من أطعمة اليد واليدين ما حلا في الفم وحلي بالعين ثم قدم جامًا كأنما جمد من الهواء أو جمع من الهباء أو صيغ من نور الفضاء أو قشر من

الدرة البيضاء وقد أودع فيه لطائف النعيم ونضح بالطيب العميم وسيق إليه
شرب من تسنيم وسفر عن مرأى وسيم وأرج نسيم فلما اصطرمت مجمرة
الشهوات وقرمت إلى مخبرة اللهوات وشارف أن نشن عليه الغارات
وينادي عند نهبه يا للثارات نشز أبو زيد كالمجنون وتباعد منه تباعد
الضب من النون فراودناه على أن يعود وأن لا يكون كقدار في ثمود فقال
والذي يحشر الأموات من الرجام لا عدت دون رفع الجام فلم نجد بدا من
تألفه وإبرار حلفه فأشلناه والعيون معه شائلة والدموع عليه سائلة
فلما آب إلى مجثمه وخلص من مأثمه سئل لم قام ولأي معنى استرفع
الجام فقال إن الزجاج نمام وإني آليت منذ أعوام ألا أضمني ونموما مقام
فقلنا وما سبب يمينك الصري وأليتك الحري فقال إنه كان لي جار
لسانه يتقرب وقلبه عقرب ولفظه شهد ينقع وحبه سم منقع فملت
لمجاورته إلى محاورته وأغريت لمكاشرته بمعاشرته وأشهدته على خضرة
دمنته لمنادمته وأغرتني خدعة شيمته بمناسمته فمازجته وعندي أنه

مؤانس فوضح

جار مكاشر فبان أنه عقاب كاسر وآنسته على أنه صب فظهر أنه جاب
موالس وملحته ولا أعلم أنه عند نقده ممن يفرح بفقده وعاقرته ولم أدر
أنه بعد قرة ممن يطرب لمفرة وكانت عندي جارية لا يوجد لها في الكمال
مجارية إن سفرت خجل النيران وصليت القلوب بالنيران وإن بسمت أزرت
بالجمان وبيع المرجان بالمجان وإن رنت هيجت البلابل وحققت سحر بابل
وإن نطقت عقلت لب العاقل واستنزلت العصم من المعاقل وإن قرأت
شفت المفؤود وأحيت الموؤود وخلتها أوتيت مزامير آل داود وإن غنت
ظل معبد لها عبدا وقيل سحقا لإسحق وبعدا وإن زمرت أضحى زنام عندها
زنيما بعد أن كان بالحيلة زعيما وبالإطراب زعيما وإن رقصت أمالت العمائم
عن الرؤوس وأنستك رقص الحبب في الكؤوس فكنت أزري معها بحمر النعم
وأحلي بتمليها جيد النعم وأحجب مرآها عن الشمس والقمر وأذود ذكراها
عن شرائع السمر وأنا مع ذلك أليح من أن تسري برياها ريح أو يكهن بها
سطيح أو ينم عليها برق مليح فاتفق لوشك الحظ المنحوس ونكد الطالع

لوشك

المنحوس أن أنطقني بوصفها حميا البرسام عند جاري النمام ثم ثاب الفهم بعد
أن صرد السهم فخشيت الخبال والوبال وضيعة ما أودع ذلك الغربال
بيد أني عاهدته على كتم ما لفظته وأن يحفظ السر وإن لم أحفظه فزعم أنه
يخزن الأسرار كما يخزن اللئيم الدينار وأنه لا يسل الأسنان ولو عرض لأن
يلج النار فما غبر على ذلك الزمان إلا يوم أو يومان حتى بدا للأمير تلك المدينة
ووالي البلد المقدمة أن يقصد باب قيله مجدد الغرض خلة ومستمطر العارض
نيله فآثر أن يصحبه تحفة تلايم هواه ليقدمها بين يدي نجواه وجعل يبذل
الجعايل لرواده ويستنجي الرغايب لمن يظفره بمراده فاستشف ذلك الجار الختار
إلى عذوله وعصى في إذاعة العار عذل عذوله فأتى الوالي ناشرا أذنيه وأنبأه
ما كنت أسررته إليه فما راعني إلا انسياب صلغيته إلي وانثيال الجفدنه علي
يسومني إيثاره بالدرة اليتيمة على أن أحكم في القيمة فغشيني من الهم ما غشي
فرعون وجنوده من اليم ولم أزل أدافع عنها ولا يغني الدفاع وأستشفع إليه
ولا يجدي الاستشفاع وكلما رأى مني ازدياد الاعتياص وازدياد المناص

تجرم وتضرم وحرق علي الأرم ونفسي مع ذلك لا تسمح بمفارقة بذري
ولا بأن أنزع قلبي من عندي حتى آل الوعيد إيقاعا والتقريع قراعا فقادني
الإشفاق من الحين إلى أن قضته سواد العين بصفقة العين ولم يحظ الواشي
بغير الإثم والشين فعاهدت الله تعالى منذ ذلك العهد أن لا أجالس نماما ما بعد
والزجاج مخصوص بين الطباع الذميمة وبه يضرب المثل في النميمة فقد
جرى عليه سبيل يميني ولذلكم السبب لم تمتد إليه يميني

فلا تعذلوني بعد ما قد شرحته على أن حرمتم بي اقتطاف القطايف
وقد بان عذري في صنيعي وإنني بتأنق من في تليدي وطارفي
على أن ما زودتكم من فكاهة الذ من الحلو لدا كل عارف

قال الحرث بن همام فقبلنا اعتذاره وقبلنا عذاره وقلنا له قدما وقذت
النميمة خير البشر حتى انتشر عن حمالة الحطب ما انتشر ثم سألناه عما أحدث
حال القتات ودخلته الفتات بعد أن نال له بنيل النكاية وجذم حبل
الرعاية فقال أخذ في الاستخذاء والاستكانة والاستشفاع إلي بذوي

المكانة وكنت حرّجت على نفسي أن لا يستترجعه أنسي أو يرجع إلى أمسي فلم يكن
له مني سوى الردّ والإصرار على الصدّ وهو لا يكتئب من النجه ولا يتثبّت من وقاحة
الوجه بل يلظّ بالوسائل ويلحّ في المسائل فما أنقذني من إبرامه ولا أبعد عليه
نيل مرامه إلا أبيات نفث بها الصدر الموتور والخاطر المستور فإنها كانت
مدحرة لشيطانه ومسخنة له في أوطانه وعند إنشادها بتّ طلاق الجبور
ودعا بالويل والثبور ويئس من نشر وصلي المقبور كما يئس الكفار من أصحاب
القبور فاستنشدناه أن ينشدنا إياها وينشقنا ريّاها فقال خلق الإنسان
من عجل ثم أنشد لا يزويه خجل ولا يثنيه وجل ٥

وندِيمٍ محضته صدق ودّي إذ توهّمته صديقا حميما
ثم أوليته قطيعة قالٍ حين ألفيته صديّا حميما
خلته قبل أن تجرّب إلفا ذا ذمام فبان خلفا ذميما
وتخيّرته كليما فأمسى منه قلبي بما جناه كليما
وتظنّيته معينا رحيما فتبيّنته لعينا رجيما

ورأيته مريدا فخلّى عنه ستبكي له قرينا أليما
وتوسّمت أن يهبّ نسيما فأبى أن يهبّ إلا سموما
بتّ من لسعه الذي أعجز الراقي سليما وبات مني سليما
وغدا أمره غداة افترقنا مستقيما والجسم مني سقيما
لم يكن رائعا خصيبا ولكن كان بالشر رائعا لي خصيما
قلت لما بلوته ليته كان عديما ولم يكن لي نديما
بغّض الصبح حين نمّ إلى قلبي لأن الصباح يلفى نموما
ودعاني إلى هوى الليل إذ كان سواد الدجى رقيبا كتوما
وكفى من يشي ولو فاه بالصدق أثاما فيما أتاه ولوما

قال فلما سمع ربّ المنزل قريضه وسجعه واستملح تقريظه وسبعه بوّأه
مهاد كرامته وصدّره على تكرمته واستحضر عشر صحاف من الغرب فيها حلو القند
والضرب وقال لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة ولا يسع أن يجعل البريّ
كذي الظنة وهذه الآنية تتنزّل منزلة الأبرار في صون الأسرار فلا توالها

الإبعاد ولا نلحى هوداً بإبعاد ثم أمر خادمه بنقلها إلى مثواه ليحكم فيها بما
يهواه فأقبل علينا أبو زيد وقال اقرؤوا سورة الفتح وأبشروا باندمال القرح
فقد جبر الله ثلمكم وسنى أكلكم وجمع في ظل الحلو شملكم وعسى أن
تكرهوا شيئاً وهو خير لكم ولما هم بالانصراف مال إلى استهداء الصحاف فقال
للأدب إن مزدلاية الظرف سماحة المهدي بالظرف فقال كلاهما والغلام
فاحذف الكلام وانهض بسلام فوثب في الجواب وشكره شكر الروض للسحاب
ثم اقتادنا أبو زيد إلى حوانيه وحكمنا في حلوائه وجعل يقلب الأواني بيد وينفض
عددها على عدد ثم قال لست أدري أأشكو ذلك النمام أم أشكر وأناسي
فعلته التي فعلها أم أذكر فإنه وإن كان أسلف الجريمة ونمنم النميمة فمن غيمه
انهلت هذه الديمة وبسيفه انحازت لي هذه الغنيمة وقد خطر ببالي أن أرجع
إلى أشبالي وأقنع بما تسنى لي ولا أتعب نفسي ولا أجمالي وأنا أودعكم وداع
محافظ وأستودعكم خير حافظ ثم استوى على راحلته راجعاً في حافرته
ولاوياً إلى زافرته فغادرنا بعد أن وخدت عنسه وزايلنا أنسه كبيت غاب

المقامة التاسعة عشرة

روى الحرث بن همام قال أمحل العراق ذات العويم لاختلاف أنواء الغيم
وتحدث الركبان بريف نصيبين وبلهنية أهلها المخصبين فاقتعدت مهرياً
واعتقلت سمهرياً وسرت تلفظني أرض إلى أرض وتجذبني رفع من خفض
حتى بلغتها نقضاً على نقض فلما أنخت بمغناها الخصيب وضربت في مرعاها
بنصيب نويت أن ألقي بها جراني وأتخذ أهلها جيراني إلى أن تحيى السنة
الجماد ويتعهد أرض قومي العهاد فوالله ما تمضمضت مقلتي بنومها
ولا تمخضت ليلتي عن يومها دون أن ألفيت بها أبا زيد السروجي يجول
في أرجاء نصيبين ويخبط خبط المصابين وهو ينث من فيه
الدرر ويحتلب بكفيه الدرر فوجدت جهادي قد جاء مغنماً وقدحي الفذ
قد صار توأماً ولم أزل أتبع ظله أينما انبعث وألتقط لفظه كلما نفث إلى
أن عراه مرض امتد مداه وعرقه مداه حتى كاد يسلبه ثوب المحيا
ويسلمه إلى أبي يحيى فوجدت لفوت لقياه وانقطاع سقياه ما يجده

المبعد عن مرامه والمرضع عند فطامه ثم أرجف بأن رهنه قد غلق
ومخلب الحمام به قد علق فقلق صحبه لإرجاف المرجفين وانثالوا إلى عقوته مجفلين

حيارى يميد بهم شجوهم كأنهم ارتضعوا الخندريسا
أسالوا الغروب وعطوا الجيوب وصكوا الخدود وشجوا الرؤوسا
يودون لو سالمته المنون وغالت نفائسهم والنفوسا

قال الراوي وكنت فيمن التف بأصحابه وأغذ إلى بابه فلما انتهينا إلى فنائه
وتصدينا لاستنشاء أنبائه برز إلينا فتاه مفترة شفتاه فاستطلعناه
طلع الشيخ في شكاته وكنه قوى حركاته فقال قد كان في قبضة المرضة
وعركة الوعكة إلى أن شفه الدنف واستشفه التلف ثم من الله تعالى
بتقوية ذمائه فأفاق من إغمائه فارجعوا أدراجكم وانضوا انزعاجكم
فكأن قد غدا وراح وساقاكم الراح فأعظمنا بشراه واقترحنا أن نراه
فدخل موذنا بنا ثم خرج آذنا لنا فلقينا منه لقى ولبانا ناطقا وجلسنا
محدقين بسريره محدقين إلى أساريره فقلب طرفه في الجماعة ثم قال

٥٩

احتلوها بنت الساعة وأنشد

عافاني الله وشكرا له من علة كادت تعفيني
ومن بالبرء على أنه لا بد من حتف سيبريني
ما بيننا يأبى ولكنه إلى تقضي الأكل ينسيني
إن حم لم يغن حميم ولا حامي كليب منه يحميني
وما أبالي إذ دنا يومه أم أخر الحين إلى حين
فأي فخر في حياة أرى فيها البلايا ثم تبليني

قال فدعونا له بامتداد الأجل وارتداد الوجل ثم تداعينا إلى القيام لاتقاء
الإبرام فقال كلا بل البثوا بياض يومكم عندي لتشفوا بالمفاكهة وجدي
فإن مناجاتكم قوت نفسي ومغناطيس أنسي فتحرينا مرضاته وتحامينا
معاصاته وأقبلنا على الحديث نمخض زبده ونلغي زبده إلى أن حان وقت
المقيل وكلت الألسن من القال والقيل وكان يوما حامي الوديقة يانع
الحديقة فقال إن النعاس قد أمال الأعناق وراود الآماق وسخم البد

وخطبٍ لا يردّ فصول الحيلة بالقيلولة، واقتدوا فيه بالآثار المنقولة. قال
الراوي فاتّبعنا ما قال، وقلنا وقال، فضرب الله على الآذان، وأفرغ السِّنة
في الأجفان، حتى خرجنا من حكم الوجود، وصُرفنا بالهجود عن السجود، فما
استيقظنا إلا والحرّ قد باخ، واليوم قد شاخ، فتكرّعنا للصلاة العجماوين،
وأدّينا ما حلّ من الدَّين، ثم تحشحشنا للارتحال، إلى ملقى الرحال، فالتفت
أبو زيد إلى شبله، وكان على شاكلته وشكله، وقال إني لأخال أبا عَمرة
قد أضرم في أحشائهم الجمرة، فاستدع أبا جامع فإنه بشرى كل جائع،
وأردفه بأبي نعيم الصابر على كل ضيم، ثم عزّز بأبي حبيب المحبّب إلى كل لبيب،
المقلّب بين إحراق وتعذيب، وأهب بأبي ثقيف فحبّذا هو من أليف، وهلمّ
بأبي عون فما مثله من عون، ولو استحضرت أبا جميل لجمّل أيّ تجميل، وحيّ هل
بأمّ القرى المنكرة بكسرى، ولا تتناس أمّ جابر فكم لها من ذاكر، وناد أمّ
الفرج ثم أفكه بها ولا حرج، واختم بأبي زين فهو مسلاة كل حزين، وإن تقرن
به أبا العلاء نجّ اسمك من البخلاء، وإياك واستبدانا المرجفين قبل

استقلال حمول البين، وإذا انتزع القوم عن المواثن وصلحوا أبا إياس فأطف
عليهم أبا البشر فإنه عنوان البشر، وقال ففقه ابنه لطائف رموزه بلطافة تمييزه،
فطاف علينا بالطيبات والطيب، إلى أن آذنت الشمس بالمغيب، فلما أجمعنا على
التوديع قلنا له ألم تر إلى هذا اليوم البديع كيف بدا ضحيه مقمطرًّا ومسيّه
مستنيرًا، فسجد حتى أطال ثم رفع رأسه وقال ٥

لا تيأسنّ عند النوب من فرجة تجلو الكرب
فلكم سموم هبّ ثم جرى نسيمًا وانقلب
وسحاب مكروه تنشّا فاضمحلّ وما سكب
ودخان خطب خيف منه فما استبان له لهب
ولطالما طلع الأسى وعلى تقيّته غرب
فاصبر إذا ما ناب روع فالزمان أبو العجب
وترجّ من روح الإله لطائفًا لا تحتسب

قال فاستملينا منه أبياته الغرّ، وأولينا الله تعالى الشكر، وودّعناه مسرورين ببرّه مغمورين ببرّه م

تفسير ما تضمنت هذه المقامة

من ألفاظ لغوية وكنى طفيلية وكنايات صوفية

قوله ذات العويم يعني به الزمان المتقادم ومثله ذات الزمين والسمهرية
الرماح وفي تسميتها بذلك قولان أحدهما أنها سميت بذلك لصلابتها وهو من قولهم
اسمهر الشيء إذا اشتد وقيل إنها منسوبة إلى سمهر زوج ردينة وكانا
جميعا يقومان الرماح فنسبت إليهما ٥ وقوله فضرب الله على الآذان أي
أنامنا ومنه قوله عز وجل فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عددا أي أنمناهم
وقيل في تفسيره منعناهم السمع ٥ وقوله نكر عنا لصلاة العجماوين أي غسلنا
أكارعنا وهو كناية عن الوضوء والعجماوان صلاتا الظهر والعصر سميتا بذلك
لإسرار القراءة فيهما ومنه الحديث صلاة النهار عجماء ٥ وقوله هلم أي
قل له هلم وهي تأتي بمعنى هات وبمعنى أقبل والأفصح أن يوحد لفظها مع الذكر
والأنثى والاثنين والجمع وبه نطق القرآن والقائلين لإخوانهم هلم إلينا
ومن العرب من يقول للمذكر الواحد هلم وللاثنين هلما وللجميع هلموا وللمؤنث

الواحدة هلمي وللاثنتين هلما وللجميع هلممن ٥ وقوله حي هل أي عجل يقال حي هل
بفلان بتسكين اللام وفتحها وبتنوينها وبإثبات النون معها ومنه قول ابن مسعود
رضي الله عنه في عمر بن الخطاب رضوان الله عليه إذا ذكر الصالحون فحي هلا
بعمر وفي حي هل لغات أخر أضربنا عن ذكرها إذ ليس هذا موضع استيفاء
شرحها فهذا تفسير الألفاظ اللغوية ٥ وأما تفسير الكنى الطفيلية
والكنايات الصوفية فأبو يحيى كنية الموت وأبو عمرة كناية الجوع ويكنى
أيضا أبا مالك وأبو جامع للخوان وأبو نعيم للخبز الحواري وأبو حبيب
للجدي وأبو ثقيف للخل وأبو عون للملح وأبو جميل للبقل وأم القرى
للسكباج وأم جابر للهريسة وأم الفرج للجوذابة وأبو زين للخبيص
وأبو العلاء للفالوذق وأبو الناس للغسول والمرجفان للطست والإبريق وأبو النسرو(؟) للخوص(؟)

بلغت القراءة والمعارضة

المقامة العشرون

حكى الحرث بن همام قال يممت ميافارقين مع رفقة موافقين لا يمارون

في المناجاة ولا يذرون ما طعم المداجاة فكنت بهم كمن لم يرم عن وجاره ولا ظعن
عن أهله وجاره فلما أنخنا بها مطايا التسيار وانتقلنا عن الأكوار إلى الأوكار
تواصينا بتذكار الصحبة وتناهينا عن التقاطع في الغربة واتخذنا ناديا نغشاه
طرفي النهار ونتهادى فيه طرف الأخبار فبينما نحن به في بعض تلك الأيام
وقد انتظمنا في سلك الالتئام إذ وقف علينا ذو مقول جريّ وجرس جهوري
فحيا تحية نفاث في العقد قناص للأسد والنقد ثم قال

عندي يا قوم حديث عجيب … فيه اعتبار للبيب الأريب
رأيت في ريعان عمري أخا … بأس له حد الحسام القضيب
يقدم في المعرك إقدام من … يوقن بالفتك ولا يستريب
فيفرج الضيق بكراته … حتى يرى ما كان ضنكا رحيب
ما بارز الأقران إلا انثنى … عن موقف الطعن برمح خضيب
ولا سما يفتح مستصعبا … مستغلق الباب منيعا مهيب
إلا ونودي حين يسمو له … نصر من الله وفتح قريب
هذا وكم من ليلة باتها … يميس في برد الشباب القشيب
يرتشف الغيد ويرشفنه … وهو لديهن الكل المفدى الحبيب
فلم يزل يبتزه دهره … ما فيه من بطش وعود صليب
حتى أصارته الليالي لقا … يعافه من كان منه قريب
قد أعجز الراقي تحليل ما … به من الداء وأعيا الطبيب
وصارمته البيض وصارمنه … من بعد ما كان المجاب المجيب
وآض كالمنكوس في خلقه … ومن يعش يلق دواهي المشيب
وها هو اليوم مسجى لمن … يرغب في تكفين ميت غريب

ثم إنه أعلن بالبكاء بالنحيب وبكى بكاء المحب على الحبيب ولما رقأت دمعته
وانفثأت لوعته قال يا نجعة الرواد وقدوة الأجواد والله ما نطقت ببهتان
ولا أخبرتكم إلا عن عيان ولو كان في عصاي سير ولغيري مطير لاستأثرت
بما دعوتكم إليه ولما وقفت موقف الدال عليه ولكن كيف الطيران بلا جناح
وهل على من لا يجد من جناح قال الراوي فطفق القوم يأتمرون فيما يأمرون

ويتحافون فيما يأتون فتوهم انهم على صرفة حرمان او مطالبة ببرهان ففرط
منه ان قال يا لامع القاع وبرامع البقاع ما هذا الارتياء الذي اباه الحياء
حتى كانكم كلفتم مشقة لا شقة او استوهبتم بلدة لا بردة او هززتم لكسوة
البيت لا لتكفين ميت اف لمن لا تندى صفاته ولا ترشح حصاته فلما ابصرت
الجماعة بذلاقته ومرارة مذاقته رفاه كل منهم بنيله واحتمل طله خوف سيله
قال الحرث بن همام وكان هذا السائل واقفا خلفي ومحتجبا بظهري عن طرفي
فلما ارضاه القوم بسيبهم وحق على التاسي بهم خلعت خاتمي من خنصري ولفت
اليه بصري فاذا هو شيخنا السروجي بلا فرية ولا مرية فايقنت انها اكذوبة
تكذبها واحبولة نصبها الا اني طويته على غره وصنت شغاه عن فره فخصصته
بالخاتم وقلت ارصده لنفقة المأتم فقال واهالك فما اضرم شغلتك واكرم
فعلتك ثم انطلق يسعى قدما ويهرول هرولة قدما فنزعت الى عرفان مبيته
وامتحان دعوى حميته فقرعت ظنبوبي والهبت الهوبي حتى ادركته على غلوة
واجتليته في خلوة فاخذت بمجمع اردانه وعقته عن سنن ميدانه وقلت له

والله ما لك مني منجا ولا ملجا او تريني مبيتك المسجا فكشف عن سرابيله واشار الى
غرموله فقلت له قاتلك الله فما اتلعبك بالنهى واحيلك على اللهى ثم عدت الى اصحابي
عود الرائد الذي لا يكذب اهله ولا يبرقش قوله فاخبرتهم بالذي رايت وما وريت
ولا رايت فقهقهوا من كيت وكيت ولعنوا ذلك الميت

المقامة الحادية والعشرون

حكى الحرث بن همام قال عنيت مذ احكمت تدبيري وعرفت قبيلي من دبيري
بان اصغى الى العظات والغي الكلم المحفظات لاتحلى بمحاسن الاخلاق واتخلى
مما يسم بالاخلاق وما زلت اخذ نفسي بهذا الادب واخمد به جمرة الغضب حتى
صار التطبع فيه طبعا والتكلف له هوى مطاعا فلما حللت بالري وقد حللت
حبى الغي وعرفت الحي من اللي رايت بها ذات بكرة زمرة اثر زمرة وهم
منتشرون انتشار الجراد ومستنون استنان الجياد ومتواصفون واعظا
يقصدونه ويحلون ابن سمعون دونه فلم يتكاد في لاستماع المواعظ واختبار

الوعظ أن أقاسي اللاغط وأحتمل الضاغط فأصحبت إصحاب المطواعة
وانخرطت في سلك الجماعة حتى أفضينا إلى ناد جمع الأمير والمأمور وحشد
النبيه والمغمور وفي وسط هالته ووسط أهلته شيخ قد تقوس واقعنسس
وتطلس وتقلنس وهو يصدع بوعظ يشفي الصدور ويلين الصخور فسمعته يقول
وقد افتتنت به العقول ابن آدم ما أغرك بما يغرك وأضرك بما
يضرك وألهجك بما يطغيك وأبهجك بمن يطريك تعنى بما يعنيك وتهمل ما
يعنيك وتنزع في قوس تعديك وترتدي لحرص الذي يرديك لا بالكفاف
تقنع ولا من الحرام تمتنع ولا للعظات تستمع ولا بالوعيد ترتدع دأبك أن
تتقلب مع الأهواء وتخبط خبط العشواء وهمك أن تدأب في الاحتراث
وتجمع التراث للوراث يعجبك التكاثر بما لديك ولا تذكر ما بين يديك
وتسعى أبدا لغاربك ولا تبالي ألك أم عليك أتظن أن ستترك سدى وأن لا
تحاسب غدا أم تحسب أن الموت يقبل الرشا أو يميز بين الأسد والرشا
كلا والله لن يدفع المنون مال ولا بنون ولا ينفع أهل القبور سوى العمل المبرور

فطوبى لمن سمع ووعى وحقق ما ادعى ونهى النفس عن الهوى وعلم أن الفائز
من ارعوى وأن ليس للإنسان إلا ما سعى وأن سعيه سوف يرى ثم أنشد إنشاد

وجل بصوت زجل ٥

لعمرك ما تغني المغاني ولا الغنى إذا سكن المثري الثرى وثوا به
فجد في مراضي الله بالمال راضيا بما تقتني من أجره وثوا به
وبادر به صرف الزمان فإنه بمخلبه الأشغى يصول ونا به
ولا تأمن الدهر الخؤون ومكره فكم خامل أخنى عليه ونا به
وعاص هوى النفس الذي ما أطاعه أخو ضلة إلا هوى من عقا به
وحافظ على تقوى الإله وخوفه لتنجو مما يتقى من عقا به
ولا تله عن تذكار ذنبك وابكه بدمع يضاهي المزن حال مصا به
ومثل لعينيك الحمام ووقعه وروعة ملقاه ومطعم صا به
وإن قصاري مسكن الحي حفرة سينزلها مستنزلا عن قبا به
فواها لعبد ساءه سوء فعله وأبدى التلافي قبل إغلاق با به

فصل

قال فطفق القوم بين عبرة يذرونها وتوبة يظهرونها حتى كادت الشمس تزول والفريضة تفوت فلما خشعت الأصوات والتأم الإنصات واستكنت العبرات والعبارات استصرخ مستصرخ بالأمير الحاضر وجعل يجأر إليه من عامله الجائر والأمير صاغ إلى الخصم لاه عن كشف ظلمه فلما أيس من روحه استنهض الواعظ لنصحه فنهض نهضة الشمير وأنشد معرضا بالأمير

عجبا لراج أن ينال ولاية حتى إذا ما نال بغيته بغا

يسدي ويلحم في المظالم والغا في وردها طورا وطورا مولغا

ما إن يبالي حين يتبع الهوى فيها أأصلح دينه أم أوتغا

يا ويحه لو كان يوقن أنه ما حالة إلا تحول لما طغا

أو لو تبين ما ندامة من صغا سمعا إلى قول الوشاة لما صغا

فانقد لمن أضحى الزمام بكفه وتغاض إن ألغى الرعاية أو لغا

وارع المرأ إذا دعاك لرعيه ورد الأجاج إذا حماك السيغا

فليضحكنك الدهر منه إذا نبا عنه وشب لكيده نار الوغا

وأجمل أذاه ولو أمضك مسه وأسال غرب الدمع منك وأفرغا

وليبدين له الشمات إذا بدا متخليا من شغله متفرغا

ولتأوين له إذا ما خله أضحى على ترب الهوان ممرغا

هذا له ولسوف يوقف موقفا فيه يرى رب الفصاحة ألثغا

وليحشرن أذل من فقع الفلا ويحاسبن على النقيصة والثغا

ويؤاخذن بما اجتنى ومن اجتنى ويطالبن بما اجتبى وبما ابتغى

ويناقشن على الدقائق مثل ما قد كان يفعل بل أشد وأبلغا

حتى يعض على الولاية كفه ويود لو لم يبغ منها ما بغى

ثم قال أيها المتوشح بالولاية المترشح للرعاية دع الإدلال بدولتك والاغترار بصولتك فإن الدولة ريح قلب والقدرة برق خلب وإن أسعد الرعاة من سعدت به رعيته وأشقاهم في الدارين من ساءت رعايته فلا تكن ممن يذر الآخرة ويلغيها ويحب العاجلة ويبغيها ويظلم الرعية ويؤذيها وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها فوالله ما يغفل الديان ولا تهمل يا إنسان بل

سيوضع لك الميزان وكما تدين تدان قال فوجم الوالي لما سمع وامتقع
لونه وانتقع وجعل يتأفف من الإمرة ويردف الزفرة بالزفرة ثم عمد إلى الشاكي
فأشكاه وإلى المشكو فأنجاه وألطف الواعظ وحباه وعزم عليه أن يغشاه
فانقلب عنه المظلوم منصوراً والظالم محصوراً وبرز الواعظ يتهادى بين رفقته
ويتباهى بنفوذ صفقته فأعقبته أخطو متقاصراً وأريه لمحاً باصراً فلما
استشف ما أخفيه وفطن لتقلب وجهي فيه قال خير دليل من أشد ثم
اقترب مني وأنشد

أنا الذي تعرفه يا حارث ... حدث ملوك فكه منافث
أطربهم لا تطرب المثالث ... طوراً أخو جد وطوراً عابث
ما غيرتني بعدك الحوادث ... ولا التحى عودي خطب كارث
ولا فرى حدي ناب فارث ... بل مخلبي بكل صيد ضابث
وكل سرج فيه فرعي عابث ... حتى كأني للأنام وارث
سامهم وحامهم ويافث

قال الحارث بن همام فقلت له تالله إنك لأبو زيد ولقد قمت لله ولا عمرو بن
عبيد فهش هشاشة الكريم إذا أم وقال اسمع يا ابن أم

عليك بالصدق ولو أنه ... أحرقك الصدق بنار الوعيد
وابغ رضى الله فأغبى الورى ... من أسخط المولى وأرضى العبيد

ثم إنه ودع أخدانه وانطلق يسحب أردانه فطلبناه من بعد بالري واستنشقنا
خبره من مدارج الطي فما أفادنا من عرف قراره ولا درى أي الجراد عاره

المقامة الثانية والعشرون

حكى الحارث بن همام قال أويت في بعض الفترات إلى سقي الفرات فلقيت بها
كتّاباً أبرع من بني الفرات وأعذب أخلاقاً من الماء الفرات فأطفت بهم لتهذيبهم
لا لتهذيبهم وكاثرتهم لأدبهم لا لمآدبهم فجالست منهم أضراب القعقاع
بن شور ووصلت بهم إلى الكور بعد الحور حتى أنهم أشركوني في المرتع والمربع
وأحلوني محل الأنملة من الإصبع واتخذوني ابن أنسهم عند الولاية والعزل

وخازن سرهم في الحل والمرتحل فاتفق أن ندبوا في بعض الأوقات لاستقراء
مزارع الرزداقات واختاروا من الجواري المنشآت جارية حالكة الشيات
تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب وتنساب في العباب كالحباب ثم
دعوني إلى الموافقة واستدعوني للمرافقة فلما توركنا على المطية الدهماء
وتبطنا الولية الماشية على الماء ألفينا بها شيخا عليه سحق سربال وسب
بال فعافت الجماعة محضره وعنفت من أحضره وهمت بإبرازه من السفينة
لولا ما ثاب إليها من السكينة فلما لمح استثقال ظله واستبراد طله
تعرض للمنافثة فصمت وحمد بعد ما عطس فما شمت فأخذ ينظر فيما آلت
حاله إليه وينتظر نصرة المبغي عليه وجلنا نحن في شجون من جد ومجون إلى
أن عن ذكر الكاتبين وفضلهما وتبيان أفضلهما فقال قائل إن
كتبة الإنشاء أنبل الكتاب ومال مائل إلى تفضيل الحساب واحتد الحجاج
وامتد اللجاج حتى إذا لم يبق للجدال مطرح ولا للمراء مسرح قال الشيخ
لقد أكثرتم يا قوم اللغط وأثرتم الصواب والغلط وإن جلية الحكم عندي

فارتضوا بنقدي ولا تستفتوا أحدا بعدي اعلموا أن صناعة الإنشاء أرفع
وصناعة الحساب أنفع وقلم المكاتبة خاطب وقلم المحاسبة حاطب وأساطير
البلاغات تنسخ لتدرس ودساتير الحسبانات تنسخ وتدرس والمنشئ جهينة
الأخبار وحقيبة الأسرار ونجي العظماء وكبير الندماء وقلمه لسان الدولة
وفارس الجولة ولقمان الحكمة وترجمان الهمة وهو البشير والنذير والشفيع
والسفير به تستخلص الصياصي وتملك النواصي ويقتاد العاصي ويستدنى القاصي
وصاحبه بري من التبعات آمن كيد السعاة مقرظ بين الجماعات غير معرض
لنظم الجماعات فلما انتهى في الفصل إلى هذا الفصل لحظ من لحظات القوم أنه قد
ازدرع حبا وبغضا وأرضى بعضا وأحفظ بعضا فعقب كلامه بأن قال إلا
أن صناعة الحساب موضوعة على التحقيق وصناعة الإنشاء مبنية على
التلفيق وقلم الحاسب ضابط وقلم المنشئ خابط وبين إتاوة توظيف المعاملات
وتلاوة طوامير السجلات بون لا يدركه قياس ولا يعتوره التباس إذ الإتاوة
تملأ الأكياس والتلاوة تفرغ الراس وخراج الأوارج يغني الناظر

واستخرج المدائح يعني الناظر ثم إن الحسبة حفظة الأموال وحملة
الأثقال والنقلة الأثبات والسفرة الثقات وأعلام الإنصاف والانتصاف
والشهود المقانع في الاختلاف ومنهم المستوفي الذي هو يد السلطان
وقطب الديوان وقسطاس الأعمال والمهيمن على العمال وإليه المآل في السلم
والهرج وعليه المدار في الدخل والخرج وبه مناط الضر والنفع وفي
يده رباط الإعطاء والمنع ولولا قلم الحساب لأودت ثمرة الاكتساب ولاتصل
التغابن إلى يوم الحساب ولكان نظام المعاملات محلولا وجرح الظلامات
مطلولا وجيد التناصف مغلولا وسيف التظالم مسلولا على أن يراع الإنشاء
متقول ويراع الحساب متأول والمحاسب مناقش والمنشئ أبو براقش
ولكليهما حمة حين يرقى إلى أن يلقى ويرقى وإعنات فيما ينشى حتى يغشى
ويرشى إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم. قال الحارث
بن همام فلما أمتع الأسماع بما راق وراع استنسبناه فاستراب وأبى
الانتساب ولو وجد منتسبا لانتسب فخصلت من لبسه على عمه حتى ادكرت
بعد أمة فقلت والذي سخر الفلك الدوار والفلك السيار إني لأجد ريح
أبي زيد وإن كنت أعهده ذا زواء وأيد فتبسم ضاحكا من قولي وقال أنا هو

على استحالة حالي وحوالي فقلت لأصحابي هذا الرجل الذي لا يفرى فريه ولا
يبارى عبقريه فخطبوا منه الود وبذلوا له الوجد فرغب عن الألفة ولم يرغب
في التحفة وقال أما بعد أن سخفتم حتى لأجل سخفي وكشفتم بالي الإخلاق
بسر بالي فما أنا لكم إلا بالعين السخينة ولا لكم مني إلا الصحبة السفينة ثم أنشد

اسمع أخي وصية من ناصح ... ما شاب محض النصح منه بغشه
لا تعجلن بقضية مبتوتة ... في مدح من لم تبله أو خدشه
وقف القضية فيه حتى تجتلي ... وصفيه في حالي رضاه وبطشه
ويبين خلب برقه من صدقه ... للشائمين ووبله من طشه
فهناك إن تر ما يشين فواره ... كرما وإن تر ما يزين ففشه
ومن استحق الارتقاء فرقه ... ومن استحط فحطه في حشه
واعلم بأن التبر في عرق الثرى ... خاف إلى أن يستثار بنبشه
وفضيلة الدينار يظهر سرها ... من حكه لا من ملاحة نقشه
ومن الغباوة أن تعظم جاهلا ... لصقال ملبسه ورونق رقشه
أو أن تهين مهذبا في نفسه ... لدروس بزته ورثة فرشه
ولكم أخي طمرين هيب لفضله ... ومفوف البردين عيب لفحشه

وإذا الفتى لم يغش عاراً لم تكن ... أسماله إلا مراقي عرشه
ما إن يضر العضب كون قرابه ... خلقاً ولا البازي حقارة عشه

ثم ما عتم أن استوقف الملاح وصعد من السفينة وساح فندم كل منا على
ما فرط في ذاته وأغضى جفنه على قذاته وتعاهدنا على ألا نحتقر شخصاً لرثاثة برده
ولا نزدري سيفاً مخبوا في غمده ٥

المقامة الثالثة والعشرون

حكى الحرث بن همام قال نبا بي مالف الوطن في شرخ الزمن لخطب خشي وخوف
غشي فأرقت كاس الكرى ونصصت ركاب السرى وجبت في سيري وعوراً لم
تنمها الخطا ولا اهتدت إليها القطا حتى وردت حمى الخلافة والحرم العاصم
من المخافة فسروت انجاس الروع واستشعاره وتسربلت لباس الأمن وشعاره
وقصرت همي على لذة أجتنيها وملحة أجتليها فبرزت يوماً إلى الحريم لأروض
طرفي وأجيل في طرفه طرفي فإذا فرسان متتالون ورجال منثالون
وشيخ طويل اللسان قصير الطيلسان قد لبب فتى جديد الشباب خلق الجلباب
فركضت على إثر النظارة حتى وافينا باب الإمارة وهناك صاحب المعونة

متربعاً في دسته ومزهواً بسمته فقال له الشيخ أعز الله الوالي وجعل
كعبه العالي إني كفلت هذا الغلام فطيماً وربيته يتيماً ثم لم آله تعليماً
فلما مهر وبهر جرد سيف العدوان وشهر ولم أخله يلتوي علي ويشتج
حين ترقى مني ويلتج فقال له الفتى علام عثرت مني حتى تنشر هذا الخزي
عني فوالله ما سترت وجه برك ولا هتكت حجاب سترك ولا شققت عصا
أمرك ولا ألغيت تلاوة شكرك فقال له الشيخ ويلك وأي ريب أخزى
من ريبك وهل عيب أفحش من عيبك وقد ادعيت سحري واستلحقته وانتحلت
شعري واسترقته واسترقاق الشعر عند الشعراء أفظع من سرقة البيضاء
والصفراء وغيرتهم على بنات الأفكار كغيرتهم على البنات الأبكار فقال
الوالي للشيخ وهل حين سرق سلخ أم مسخ أم نسخ فقال والذي جعل الشعر
ديوان العرب وترجمان الأدب ما أحدث سوى أن بتر شمل شرحه وأغار
على ثلثي سرحه فقال له أنشد أبياتك برمتها ليتضح لك ما احتازه من جملتها

فأنشد ٥

يا خاطب الدنيا الدنية إنها ... شرك الردى وقرارة الأكدار
دار متى ما أضحكت في يومها ... أبكت غداً بعداً لها من دار

وإذا أظل سحابها لم ينتقع منه صدًا لجهامها الغرار ر
غاراتها ما تنقضي وأسيرها لا يفتدى بجلائل الأخطار ر
كم مزدهى بغرورها حتى بدا متمردا متجاوز المقدار ر
قلبت له ظهر المجن وأولغت فيه المدى ونزت لأخذ الثار ر
فاربأ بعمرك أن يمر مضيعا فيها سدى من غير ما استظهار ر
واقطع علائق حبها وطلابها تلق الهدى ورفاهة الأسرار ر
وارقب إذا ما سالمت من كيدها حرب العدا وتوثب الغدار ر
واعلم بأن خطوبها تفجا وإن طال المدى ووني سرى الأقدار ر

فقال له الوالي ثم ماذا صنع هذا قال أقدم اللؤم في الجزاء على أبياتي السداسية الأجزاء فحذف منها جزأين ونقص من أوزانها وزنين حتى صار الزين فيها زينًا فقال بين ما أخذ ومن أين فقال له أعرني سمعك وأخل للتفهم عن غيره خلدك حتى تتبين كيف أضلت علي وتقدر قدر اجترامه إلي ثم أنشد وأنفاسه تتصعد ٥

يا خاطب الدنيا الدنية إنها شرك الردى ا
دار متى ما أضحكت في يومها أبكت غدا ا

وإذا أظل سحابها لم ينتقع منه صدى ا
غاراتها ما تنقضي وأسيرها لا يفتدى ا
كم مزدهى بغرورها حتى بدا متمردا ا
قلبت له ظهر المجن وأولغت فيه المدى ا
فاربأ بعمرك أن يمر مضيعا فيها سدى ا
واقطع علائق حبها وطلابها تلق الهدى ا
وارقب إذا ما سالمت من كيدها حرب العدا ا
واعلم بأن خطوبها تفجا وإن طال المدى ا

فالتفت الوالي إلى الغلام وقال تبا لك من خريج مارق وتلميذ سارق فقال الفتى برئت من الأدب وبنيه ولحقت بمن يعاديه ويقوض مبانيه إن كانت أبياته نمت إلى علمي قبل أن ألفت نظمي وإنما اتفق توارد الخواطر كما يقع الحافر على الحافر قال فكأن الوالي جوز تصديق زعمه فندم على بادرة ذمه فظل يفكر فيما يكشف له عن الخفايا ويميز به الفائق من المائق فلم ير إلا أخذهما بالمناضلة ولزهما في قرن المساجلة فقال لهما إن أردتما افتضاح العاطل واتضاح الحق من الباطل فترسلا في النظم وتباريا

وتجاولا في حلبة الإجازة، وتجاريا ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي
عن بينة. فقالا له بلسان واحد وجواب متوارد: قد رضينا بسبرك فمرنا بأمرك.
فقال: إني مولع من أنواع البلاغة بالتجنيس، وأراه لها كالرئيس، فانظما الآن
عشرة أبيات تلحمانها بوشيه، وترصعانها بحليه، وضمناها شرح حالي مع
إلف بديع الصفة، ألمى الشفة، مليح التثني، كثير التيه والتجني، مغرى بتناسي
العهد، وإطالة الصد، وإخلاف الوعد، وأنا له كالعبد. قال: فبرز الشيخ
مجليا، وتلاه الفتى مصليا، وتجاريا بيتا فبيتا، على هذا النسق إلى أن كمل نظم
الأبيات واتسق، وهي:

وأحوى حوى رقي برقة ثغره ... وغادرني إلف السهاد بغدره
تصدى لقتلي بالصدود وإنني ... لفي أسره مذ حان قلبي بأسره
أصدق منه الزور خوف ازوراره ... وأرضى استماع الهجر خشية هجره
وأستعذب التعذيب منه وكلما ... أجد عذابي جد بي حب بره
تناسى ذمامي والتناسي مذمة ... وأحفظ قلبي وهو حافظ سره
وأعجب ما فيه التباهي بعجبه ... وأكبره عن أن أفوه بكبره
له مني المدح الذي طاب نشره ... ولي منه طي الود من بعد نشره

ولو كان عدلا ما تجنى وقد جنى ... علي وغيري يجتني رشف ثغره
ولولا تثنيه ثنيت أعنتي ... بدارا إلى من أجتلي نور بدره
وإني على تصريف أمري وأمره ... أرى الحلو مرا في انقيادي لأمره

فلما أنشداها الوالي منسلين، بهت لذكائهما المتعادلين، وقال: أشهد بالله إنكما
فرقدا سماء، وكزندين في وعاء، وإن هذا الحدث لينفق مما آتاه الله ويستغني
بوجده عما سواه، فتب أيها الشيخ من اتهامه، وثب إلى إكرامه. فقال له الشيخ:
هيهات أن ترجعه مقتي، أو تعلق به ثقتي، وقد بلوت كفرانه للصنيع، ومنيت منه
بالعقوق الشنيع. فاعترضه الفتى وقال: يا هذا إن اللجاج شؤم، والحنق لؤم،
وتحقيق الظنة إثم، وإعنات البريء ظلم، وهبني اقترفت جريرة، أو اجترحت كبيرة،
أما تذكر إذ أنشدتني لنفسك، في إبان أنسك:

سامح أخاك إذا خلط ... منه الإصابة بالغلط
وتجاف عن تعنيفه ... إن زاغ يوما أو قسط
واحفظ صنيعك عنده ... شكر الصنيعة أم غمط
وأطعه إن عاصى وهن ... إن عز وادن إذا شحط
واقن الوفا ولو أخل ... بما اشترطت وما شرط
واعلم بأنك إن طلبت ... مهذبا رمت الشطط
من ذا الذي ما ساء قط ... ومن له الحسنى فقط
أوما ترى المحبوب والمكروه ... لزا في نمط
كالشوك يبدو في الغصون ... مع الجنى الملتقط
ولذاذة العمر الطويل ... يشوبها نغص الشمط

ولو انتقدت بني الزمان وجدت أكثرهم سقط

قال فجعل الشيخ ينضنض نضنضة الصل ويحملق حملقة البازي المطل ثم قال
والذي زين السما بالشهب وأنزل الما من السحب ما روغ عن الاصطلاح إلا لتوقي
الافتضاح فإن هذا الفتى اعتاد أن أمونه وأراعي شؤونه وقد كان الدهر
يسمح فلم أكن أشح فأما الآن فالوقت عبوس وحشو العيش بوس حتى إن زندي
هذا عار وبيتي لا تطور به فارة قال فرق لمقالهما قلب الوالي وأوى لهما من
غير الليالي وصبا إلى اختصاصهما بالإسعاف وأمر النظارة بالانصراف
قال الراوي وكنت متشوفا إلى مرأى الشيخ لعلي أعلم علمه إذا عاينت
وسمه ولم يكن الزحام يسفر عنه ولا يفرج لي فأدنو منه فلما تقوضت
الصفوف وأجفل الوقوف توسمته فإذا هو أبو زيد والفتى فتاه فعرفت
حينئذ مغزاه فيما أتاه وكدت أنقض عليه لأستعرف إليه فزجرني بإيماض
طرفه واستوقفني بإيماء كفه فلزمت موقفي وأخرت منصرفي فقال الوالي
ما مرامك ولأيما سبب مقامك فابتدر الشيخ وقال إنه أنيسي وصاحب
ملبوسي فتسمح حينئذ بتأنيسي ورخص في جلوسي ثم أفاض عليهما خلعتين
ووصلهما بنصاب من العين واستعهدهما أن يتعاشرا بالمعروف إلى

إظلال اليوم المخوف فنهضا من ناديه مشيدين بشكر أياديه وتبعتهما
لأعرف مثواهما وأتزود من نجواهما فلما أجزنا حمى الوالي وأفضينا إلى الفضا
الخالي أدركني أحد جلاوزته مهيبا بي إلى حوزته فقلت لأبي زيد ما أظنه
استحضرني إلا ليستخبرني فماذا أقول وفي أي وادٍ أجول فقال
بين له غباوة قلبه وتلاعبي بلبه ليعلم أن ريحه لاقت إعصارا وجدوله
صادف تيارا فقلت إني أخاف أن يتقد غضبه فيلفحك لهبه أو يستشري
طيشه فيسري إليك بطشه فقال إني أحل الآن إلى الرها وأنى يلتقي سهيل
والسها فلما حضرت الوالي وقد خلا مجلسه وانجلى تعبسه أخذ يصف أبا زيد
وفضله ويذم الدهر له وأهله ثم قال نشدتك الله ألست الذي أعاره
الدست فقلت لا والذي أجلسك في هذا الدست ما أنا بصاحب ذلك الدست
بل أنت الذي تم عليه الدست فازورت مقلتاه واحمرت وجنتاه وقال
والله ما أعجزني قط فضح مريب ولا تكشيف معيب ولكن ما سمعت بأن
شخصا دلس بعد ما تطلس فهذا تم له أن لبس فما كنية ذلك القريد قلت
أبو زيد فقال إنه بأي كيد لا يليق منه بأبي زيد أفتدري أين سكع ذلك
اللكع فقلت أشفق منك لتعديه طوره فظعن عن بغداد من فوره فقال

لا قرّب الله له نوى ولا كلأه أين ثوى فما زاولت أشدّ من نكره ولا ذقت
أمرّ من مكره ولولا حرمة أدبه لأوغلت في طلبه إلى أن يقع فأوقع به وإني
لأكره أن تشيع فعلته بمدينة السلام فأفتضح بين الأنام وتحبط مكانتي
عند الإمام وأصير ضحكة للخاص والعام فعاهدني على ألا تفوه بما أعتمد
ما دمت حالّاً بهذا البلد. قال الحارث بن همام فعاهدته معاهدة من لا
يتأوّل ووفيت له كما وفى السموأل ٥

المقامة الرابعة والعشرون

أخبر الحارث بن همام قال عاشرت بقطيعة الربيع في إبّان الربيع فتية وجوههم
أبلج من أنواره وأخلاقهم أبهج من أزهاره وألفاظهم أرقّ من نسيم أسحاره
فاجتليت منهم ما يزري على الربيع الزاهر ويغني عن رنّات المزاهر وكنّا
تقاسمنا على حفظ الوداد وحظر الاستبداد وألّا ينفرد أحدنا بالتذاذ
ولا يستأثر ولو برذاذ فأجمعنا في يوم سما دجنه ونمى حسنه وحكم
بالاصطباح مزنه على أن نلتهي بالخروج إلى بعض المروج لنسرّح النواظر
في النواضر ونصقل الخواطر بشيم المواطر فبرزنا ونحن كالشهور عدّة

وكندماني جذيمة مودّة إلى الحديقة أخذت زخرفها وازّيّنت وتنوّعت
أزاهيرها وتلوّنت ومعنا الكميت الشموس والسقاة الشموس والشادي الذي
يطرب السامع ويلهيه ويقري كل سمع ما يشتهيه فلما اطمأنّ بنا الجلوس
ودارت علينا الكؤوس وغلّ علينا ذمر عليه طمر فتجهّمناه تجهّم الغيد الشيب
ووجدنا صفو يومنا قد شيب إلا أنه سلّم تسليم أولي الفهم وجلس يفضّ لطائم
النثر والنظم ونحن ننزوي من انبساطه وننبري لطيّ بساطه إلى أن غنّى
شادينا المغرب ومغرّدنا المطرب ٥

ألام سعاد لا تصلين حبلي ولا تأوين لي مما ألاقي
صبرت عليك حتى عيل صبري وكادت تبلغ الروح التراقي
وها أنا قد عزمت على انتصاف أساقي فيه خلّي ما يساقي
فإن وصلاً (فوصل) ألذّ به وإن صرماً فصرمٌ كالطلاق

قال الحارث بن همام فاستفهمنا العابث بالمثاني لم نصب الوصل الأول ورفع
الثاني فأقسم بتربة أبويه لقد نطق بما اختاره سيبويه فتشعّبت حينئذ
آراء الجمع في تجويز النصب والرفع فقالت فرقة رفعهما هو الصواب وقالت
طائفة لا يجوز فيهما إلا الانتصاب واستبهم على آخرين الجواب واستعر

بينهم الاضطراب وذلك الشيخ الواغل يبدي ابتسام ذي معرفة وإن لم يفه
ببنت شفة حتى إذا سكنت الزماجر وصمت المزجور والزاجر قال يا قوم أنا
أنبئكم بتأويله وأميز صحيح القول من عليله إنه ليجوز رفع الوصلين ونصبهما
والمغايرة في الإعراب بينهما وذلكم بحسب اختلاف الإضمار والتقدير
المحذوف في هذا المضمار قال ففرط من الجماعة إفراط في ممارأته والانخراط
إلى مباراته فقال أما إذ دعوتم نزال وتلببتم للنضال فما كلمة هي
إن شئتم حرف محبوب أو اسم لما فيه حرف حلوب وأي اسم يتردد بين فرد
حازم وجمع ملازم وأية هاء إذا التحقت أماطت الثقل وأطلقت المعتقل
وأين تدخل السين فتعزل العامل من غير أن تجامل وما منصوب أبدا على
الظرف لا يخفضه سوى حرف وأي مضاف أخل من عرى الإضافة بعروة
واختلف حكمه بين مساء وغدوة وما العامل الذي يتصل آخره بأوله ويعمل
معكوسه مثل عمله وأي عامل نائبه أرحب منه وكرا وأعظم مكرا وأكثر
لله تعالى ذكرا وفي أي موطن يلبس الذكران براقع النسوان وتبرز ربات
الحجال بعمائم الرجال وأين يجب حفظ المراتب على المضروب والضارب
وما اسم لا يفهم إلا باستضافة كلمتين أو الاقتصار منه على حرفين وفي

وضعه الأول التزام وفي الثاني إلزام وما وصف إذا أردف بالنون
نقص صاحبه في العيون وقوم بالدون وخرج من الزبون وتعرض للهون فهذه
ثنتا عشرة مسألة وفق عددكم وزنة لددكم ولو زدتم زدنا وإن عدتم عدنا
قال المخبر بهذه الحكاية فورد علينا من أحاجيه اللاتي هالت لما انهالت
ما حارت له الأفكار وحالت فلما أعجزنا العوم في بحره واستسلمت تمائمنا
لسحره عدلنا عن استثقال الرؤية له إلى استنزال الرواية عنه ومن تعني
التبرم به إلى ابتغاء التعلم منه فقال والذي نزل النحو في الكلام منزلة
الملح في الطعام لا آلوتكم مراما ولا شفيت لكم غراما أو تخولني كل يد
وتختصني كل منكم بيد قال فلم يبق في الجماعة إلا من أذعن لحكمه ونبذ إليه
خبأة كمه فكشف حينئذ من أسرار ألغازه وبدائع إعجازه ما جلا به صدأ
الأذهان وجلى مطلعه بنور البرهان قال الراوي فهمنا حين فهمنا
وعجبنا إذ أجبنا وندمنا على ما ندمنا وأخذنا نعتذر إليه اعتذار
الأكياس ونعرض عليه ارتضاع الكاس فقال ما أرب لاحقاق ومشرب
لم تبق له عندي حلاوة فأطلنا مراودته ووالينا معاودته فشمخ بأنفه صلفا
ونأى بجانبه أنفا وأنشد ٥

نهاني الشيب عما فيه أفراحي فكيف أجمع بين الراح والراح
وهل يجوز اصطباحي من معتقة وقد أنار مشيب الرأس إصباحي
آليت لا خامرتني الخمر ما علقت روحي بجسمي وألفاظي بإفصاحي
ولا اكتست لي بكاسات السلاف يد ولا أجلت قداحي بين أقداح
ولا صرفت إلى الصرف المشعشعة همي ولا رحت مرتاحا إلى راح
ولا نظمت على مشمولة أبدا شملي ولا اخترت ندمانا سوى الصاحي
محا المشيب مراحي حين خط على رأسي فأبغض به من كاتب ماحي
ولاح يلحى على جري العنان إلى ملهى فسحقا له من لائح لاحي
ولو لهوت وفودي شائب لخبا بين المصابيح من غسان مصباحي
قوم سجاياهم توقير ضيفهم والشيب ضيف له التوقير يا صاح

ثم إنه انساب انسياب الأيم وأجفل إجفال الغيم فعلمت أنه سراج سروج وبدر الأدب الذي تجتاب البروج وكان قصاراي التحرق لبعده والتفرق من بعده

تفسير ما أودع هذه المقامة
من نكت العربية والأحاجي النحوية

أما صدر البيت الأخير من الأغنية الذي هو فإن وصلا ألذ به فوصل

فإنه نظير قولهم المرء مجزي بعمله إن خيرا فخير وإن شرا فشر وهذه المسألة أودعها سيبويه كتابه وجوز في إعرابها أربعة أوجه أحدها وهو أجودها أن تنصب خير الأول وترفع الثاني ويكون تقديره إن كان عمله خيرا فجزاؤه خير وإن كان عمله شرا فجزاؤه شر فينتصب الأول على أنه خبر كان ويرتفع الثاني على أنه خبر مبتدإ محذوف وقد حذفت في هذا الوجه كان واسمها لدلالة حرف الشرط الذي هو إن على تقديرهما وحذف أيضا المبتدأ لدلالة الفاء التي هي جواب الشرط عليه ولأنه كثيرا ما يقع بعدها

والوجه الثاني أن تنصبهما جميعا ويكون تقدير الكلام إن كان عمله خيرا فهو يجزى خيرا وإن كان عمله شرا فهو يجزى شرا فينتصب الأول على أنه خبر كان وينتصب الثاني انتصاب المفعول به

والوجه الثالث أن ترفعهما جميعا ويكون تقدير الكلام إن كان في عمله خير فجزاؤه خير فيرتفع خير الأول على أنه اسم كان ويرتفع خير الثاني على ما بين في شرح الوجه الأول وقد يجوز أن ترفع خير الأول على أنه فاعل كان وتجعل كان المقدرة ههنا هي التامة التي تأتي بمعنى حدث ووقع ولا تحتاج إلى خبر كقوله تعالى وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة ويكون التقدير في المسألة

إن كان خيرٌ فجزاؤه خيرٌ أي إن حدث خيرٌ فجزاؤه خيرٌ ٭ والوجه الرابع
وهو أضعفها أن ترفع الأول على ما تقدم شرحه في الوجه الثالث وتنصب الثاني
على ما بين ذكره في الوجه الثاني ويكون التقدير إن كان في عمله خير فهو
يجزى خيرا وعلى حسب هذا التفسير والمقدرات المحذوفات فيه تجري
إعراب البيت الذي عني به ومما ينتظم في هذا السلك قولهم المرء مقتول
بما قتل به إن سيفا فسيف وإن خنجرا فخنجر ٭ وأما الكلمة التي
هي حرف محبوب أو اسم لما فيه حرف حلوب فهي نعم إن أردت بها تصديق
الإخبار أو العدة عند السؤال فهي حرف وإن عنيت بها الإبل فهي اسم
والنعم تذكر وتؤنث وتطلق أيضا على الإبل وعلى كل ماشية فيها إبل
وفي الإبل الحرف وهي الناقة الضامر وسميت حرفا تشبيها لها بحرف
السيف وقيل إنها الضخمة تشبيها لها بحرف الجبل ٭ وأما الاسم
المتردد بين فرد حازم وجمع ملازم فهو سراويل وقال بعضهم هو
واحد وجمعه سراويلات فهو على هذا القول فرد وقد كنى عن ضمة الخصر
بأنه حازم وقال آخرون هو جمع وواحده سروالة مثل شمائل وشمالة
فهو على هذا القول جمع ومعنى قوله ملازم أي لا ينصرف وإنما لم ينصرف

هذا النوع من الجمع وهو كل جمع ثالثه ألف وبعدها حرف مشدد أو حرفان
أو ثلاثة لثقله وتفرده دون غيره من الجموع بأن لا نظير له في الأسماء الآحاد
وقد كنى في هذه الأحجية عما لا ينصرف بالملازم ٭ وأما الهاء التي إذا
التحقت أماطت الثقل وأطلقت المعتقل فهي الهاء اللاحقة بالجمع المقدم
ذكره كقولك صيارفة وصياقلة فينصرف هذا الجمع عند التحاق الهاء به
لأنها قد أصارته إلى مثال الآحاد نحو رفاهية وكراهية فخف بهذا السبب
وصرف لهذه العلة وقد كنى في هذه الأحجية عما لا ينصرف بالمعتقل كما
كنى في التي قبلها عما لا ينصرف بالملازم ٭ وأما السين التي تعزل العامل
من غير أن تجامل فهي إذا دخلت على الفعل المستقبل وفصلت بينه وبين
أن التي كانت قبل دخولها من أدوات النصب فيرتفع حينئذ الفعل وتنتقل
عن كونها الناصبة للفعل إلى أن تصير المخففة من الثقيلة كقوله تعالى
علم أن سيكون منكم مرضى تقديره علم أنه سيكون ٭ وأما المنصوب
على الظرف الذي لا يخفضه سوى حرف فهو عند ولا يجره غير من خاصة
فأما قول العامة ذهبت إلى عنده فإنه لحن ٭ وأما المضاف الذي
أخل من عرى الإضافة بعروة واختلف حكمه بين مساء وغدوة فهو

لدن ولدن من الأسماء الملازمة للإضافة وكل ما يأتي بعدها مجرور بها إلا
غدوة فإن العرب نصبتها بلدن لكثرة استعمالهم إياها في الكلام ثم نونتها أيضا
لتبين بذلك أنها منصوبة لا أنها من أنواع المجرورات التي لا تنصرف وعند
بعض النحويين أن لدن بمعنى عند والصحيح أن بينهما فرقا لطيفا وهو أن
عند يشتمل معناها على ما هو في ملكك ومكنتك مما دنا منك وبعد
عنك ولدن تخص معناها بما حضرك وقرب منك ∴ وأما العامل
الذي يتصل آخره بأوله ويعمل معكوسه مثل عمله فهو يا ومعكوسها أي
وكلتاهما من حروف النداء وعملهما في الاسم المنادي سيان وإن كانت
يا أجول في الكلام وأكثر في الاستعمال وقد اختار بعضهم أن ينادي بأي
القريب فقط كالهمزة ∴ وأما العامل الذي نابه أرحب منه وكرا
وأعظم مكرا وأكثر لله تعالى ذكرا فهو باء القسم وهذه الباء هي أصل
حروف القسم بدلالة استعمالها مع ظهور فعل القسم كقولك أقسم بالله ثم
لدخولها أيضا على المضمر كقولك بك لأفعلن وإنما أبدلت الواو منها في
القسم لأنهما جميعا من حروف الشفة ثم لتناسب معنييهما لأن الواو
تفيد الجمع والباء تفيد الإلصاق والمعنيان متقاربان ثم صارت الواو التي

هي بدل من الباء أدور في الكلام وأعلق بالأقسام ولهذا ألغز بأنها أكثر لله
تعالى ذكرا ثم إن الواو أكثر موطنا من الباء لأن الباء لا تدخل إلا على الاسم
ولا تعمل غير الجر والواو تدخل على الاسم والفعل والحرف وتجر تارة
بالقسم وتارة بإضمار رب وتنتظم أيضا مع نواصب الفعل وأدوات العطف
فلهذا وصفها برحب الوكر وعظم المكر ∴ وأما الموطن الذي يلبس فيه
الذكران براقع النسوان وتبرز فيه ربات الحجال بعمائم الرجال فهو أول
مراتب العدد المضاف وذلك ما بين الثلثة إلى العشرة فإنه يكون مع المذكر
بالهاء ومع المؤنث بحذفها وذلك كقوله تعالى سخرها عليهم سبع ليال
وثمانية أيام والهاء في غير هذا الموطن من خصائص التأنيث كقولك قائم
وقائمة وعالم وعالمة فقد رأيت كيف انعكس في هذا الموضع حكم المذكر
والمؤنث حتى انقلب كل منهما في ضد قالبه وبرز في بزة صاحبه ∴ وأما
الموضع الذي يجب فيه حفظ المراتب على المضروب والضارب فهو حيث يشتبه
الفاعل بالمفعول لتعذر ظهور علامة الإعراب فيهما أو في أحدهما وذلك
إذا كانا مقصورين مثل موسى وعيسى أو كانا من أسماء الإشارة نحو ذلك
وهذا فيجب لإزالة اللبس إقرار كل منهما في رتبته ليعرف الفاعل منهما

بتقدمه والمفعول بتأخره . وأما الاسم الذي لا يفهم إلا باستضافة كلمتين أو
الاقتصار منه على حرفين فهو مهما وفيها قولان أحدهما أنها مركبة من مه التي
هي بمعنى اكفف ومن ما والقول الثاني وهو الصحيح أن الأصل فيها ما فزيدت
عليها ما أخرى كما تزاد ما على إن فصار لفظها ما ما فثقل عليهم توالي كلمتين
بلفظ واحد فأبدلوا من الألف الأولى هاء فصارتا مهما ومهما من أدوات
الشرط والجزاء ومتى نطقت بها لم يتم الكلام ولا عقل المعنى إلا بإيراد
كلمتين بعدها كقولك مهما تفعل أفعل وتكون حينئذ ملتزما للفعل وإن
اقتصرت منها على حرفين وهما مه التي بمعنى اكفف فهم المعنى وكنت ملزما من
خاطبته بالكف أن يكف . وأما الوصف الذي إذا ردف بالنون نقص
صاحبه في العيون وقوم بالدون وخرج من الزبون وتعرض للهون فهو ضيف
إذا ألحقته النون استحال إلى ضيفن وهو الذي يتبع الضيف ويتنزل في النقد

منزلة الزيف ٥

المقامة الخامسة والعشرون وتعرف بالكرجية

حكى الحارث بن همام قال شتوت بالكرج لدين أقضيه وأرب أقضيه فبلوت

من شتائها الكالح وصرها النافح ما عرفني جهد البلاء وعكفني على
الاصطلاء فلم أكن أزايل وجاري موقدي تارتي إلا لضرورة أدفع إليها
أو إقامة جماعة أحافظ عليها فاضطررت في يوم جون مزمهر الدجنة مكفهرها
إلى أن برزت من كناني لمهم عناني فإذا شيخ عاري الجلدة بادي الجردة قد اعتم
بريطة واستثفر بفويطة وحواليه جمع كثيف الحواشي وهو ينشد ولا يحاشي
يا قوم لا ينبئكم عن فقري أصدق من عريي أوان القر فاعتبروا بما بدا من ضري
باطن حالي وخفي أمري وحاذروا انقلاب سلم الدهر فإنني كنت نبيه القدر
آوي إلى وفر وحد يفري تفيد صفري وتبيد سمري وتشتكي كومي غداة أقري
فجرد الدهر سيوف الغدر وشن غارات الرزايا الغبر ولم يزل يسحتني ويبري
حتى عفت داري وغاض دري وصرت نضو فاقة وعسر وبارز شهري في الورى وسعري
عاري المطا مجردا من قشري كأنني المغزل في التعري لا دفء لي في الصر والصنبر
غير الضحى واصطلاء الجمر فهل حر ذو رداء غمر يسترني بمطرف أو طمر
طلاب وجه الله لا للشكر ثم قال يا أرباب الثراء الرافلين في الفراء

من أولي خيرا فليفق ومن استطاع أن يرفق فليرفق فإن الدنيا غرور والدهر
عثور والمكنة زورة طيف والفرصة مزنة صيف وإني والله
لطالما تلقيت الشتاء بكافاته واعددت الأهب له قبل موافاته
وها أنا اليوم يا سادتي ساعدي وسادي وجلدتي بردتي وحفنتي
جفنتي فليعتبر العاقل بحالي وليبادر صرف الليالي فإن السعيد من اتعظ
بسواه واستعد لمسراه فقيل له قد جلوت علينا أدبك فاجل لنا نسبك
فقال تبا لمفتخر بعظم نخر إنما الفخر بالتقى والأدب المنتقى ثم أنشد
لعمرك ما الإنسان إلا ابن يومه على ما تجلى يومه لا ابن أمسه
وما الفخر بالعظم الرميم وإنما فخار الذي يبغي الفخار بنفسه
ثم جلس محقوقفا واحرنجم مقفقفا وقال يا من عمر بنواله وأمن
بسؤاله صل على محمد وآله وأعني على البرد وأهواله وأتح لي حرا
يؤثر من خصاصة ويواسي ولو بقصاصة قال الراوي فلما جلى عن
النفس العصامية والملح الأصمعية جعلت ملامح عيني تجهره ومرامي لحظي
ترجمه حتى

استبنت أنه أبو زيد وأن تعريه أحبولة صيد ولمح هو أني عرفته قد
أدركه ولم يأمن أن يهتكه فقال أقسم بالسمر والقمر والزهر والزهر إنه
لن يسترني اليوم إلا من طاب خيمه وأشرب ماء المروءة أديمه فعقلت ما عناه
وإن خفي على القوم معناه وساءني ما يعانيه من الرعدة واقشعرار الجلدة
فعمدت لفروة هي بالنهار رياشي وفي الليل فراشي فنضوتها عني وقلت له
اقبلها مني فما كذب أن افتراها وعيني تراها ثم أنشد

لله من ألبسني فروة أضحت من الرعدة لي جنه
ألبسنيها واقيا مهجتي وقي شر الإنس والجنه
سيكتسي اليوم ثنائي وفي غد سيكسى سندس الجنه

قال فلما افتن قلوب الجماعة بافتنانه في البراعة ألقوا عليه من الفراء المغشاة
والجباب الموشاة ما آده ثقله ولم يكد يقله فانطلق مستبشرا بالفرج
مستسقيا لأهل الكرج وتبعته إلى حيث انتقعت القبة وبدت السما نقية
فقلت له لشد ما قرسك البرد فلا تتعر من بعد فقال ويك ليس من العدل
سرعة العذل فلا تعجل بلوم هو ظلم ولا تقف ما ليس لك به علم فوالذي
نور الشيبة وطيب تربة طيبة لو لم أتعر لرحت بالخيبة وصفر العيبة

ثم نزع إلى الفرار، وتبرقع بالاكفهرار، وقال أما تعلم أن شنشنتي الانتقال
من صيد إلى صيد، والانعطاف من عمرو إلى زيد، وأراك قد عقتني وعققتني وأفتّني
أضعاف ما أفدتني، فأعفني عافاك الله من لغوك، واشدد دوني باب جدك
ولهوك، فجبذته جبذ التلعابة، وجمجمت به للدعابة، وقلت له والله لو لم
أوارك وأغط على عوارك، لما وصلت إلى صلة، ولا انقلبت أكسى من بصلة
فجازني عن إحساني إليك، وستري عليك، بأن تسمح لي ببرد الفروة أو تعرفني
كافات الشتوة، فنظر إلي نظر المتعجب، وازمهر ازمهرار المتغضب، ثم قال
أما رد الفروة فأبعد من رد أمس الدابر، والميت الغابر، وأما كافات الشتوة
فسبحان من طبع على ذهنك، وأوهى وعاء خزنك، حتى أنسيت ما أنشدتك

بالدسكرة لابن سكرة ٥

جاء الشتاء وعندي من حوائجه ... سبع إذا القطر عن حاجاتنا حبسا

كن وكيس وكانون وكاس طلا ... مع الكباب وكس ناعم وكسا

ثم قال الجواب يشفي خير من جلباب يدفي، فاكتف بما وعيت، وانكفي، ففارقته
وقد ذهبت فروتي لشقوتي، وحصلت على الرعدة طول شتوتي ٥

بلغ [illegible] على [illegible] الله تعالى

المقامة السادسة والعشرون

وتعرف بالرقطاء

حدث الحارث بن همام قال حللت سوق الأهواز، لابسا حلة الإعواز، فلبثت
فيها مدة، أكابد شدة، وأزجي أياما مسودة، إلى أن رأيت تمادي المقام من
عوادي الانتقام، فرمقتها بعين القالي، وفارقتها مفارقة الطلل البالي، وظعنت
عن وشلها كميش الإزار، راكضا إلى المياه الغزار، حتى إذا سرت عنها مرحلتين،
وبعدت منها ليلتين، تراءت لي خيمة مضروبة، ونار مشبوبة، فقلت أيتهما العلى
أنقع صدئي، أو أجد على النار هدى، فلما انتهيت إلى ظل الخيمة رأيت غلمة
روقة، وشارة مرموقة، وشيخا عليه بزة سنية، ولديه فاكهة جنية،
فحييته ثم تحاميته، فضحك إلي، وأحسن الرد علي، وقال ألا تجلس إلى من روق
فاكهته، وتشوق مفاكهته، فجلست لاغتنام محاضرته، لا لالتهام ما أحضره،
فحين سفر عن آدابه، وكشر عن أنيابه، عرفت أنه أبو زيد بحسن ملحه وقبح قلحه،
فتعارفنا حينئذ، وحفت بي فرحتان ساعتئذ، ولم أدر أيهما أنا أصفى فرحا
وأوفى مرحا، أبإسفاره من دجنة أسفاره، أم بخصب حاله بعد إمحاله،
وتاقت نفسي إلى أن أفض ختم سره، وأبطن داعية يسره، فقلت له من أين
إيابك، وإلى أين انسيابك، وبم امتلأت عيابك، فقال أما المقدم فمن طوس

وأما المقصد فإلى السوس وأما الحرة التي أصبتها فمن رسالة اقتضبتها فسألته
أن يفرشني جلته ويسرد علي رسالته فقال دون من أملك جرب السوس
أو تصحبني إلى السوس فصحبته إليها قهراً وعكفت بها عليه شهراً وهو يعلني
كاسات التعليل ويجري أعنة التأميل حتى إذا أحرج صدري وعيل صبري
قلت له إنه لم تبق لك علة ولا لي في المقام تعلة وفي غد أزجر غراب
البين وأرحل عنك بخفي حنين فقال حاش لله أن أخلفك أو أخالفك
وما أرجأت أن أحدثك إلا لمثلك وإذا كنت قد استربت بعدتي وأغراك
ظن السوء بمباعدتي فأصخ لقصص سيرتي الممتدة وأضفها إلى أخبار الفرج
بعد الشدة فقلت هات فما أطول طيلك وأهول حيلك فقال اعلم
أن الدهر العبوس ألقاني إلى طوس وأنا يومئذ فقير وقير لا قبيل لي
ولا نقير فألجأني صفر اليدين إلى التطوق بالدين فادّنت لسوء الاتفاق
ممن هو عسر الأخلاق وتوهمت تيسير النفاق فتوسعت في الإنفاق فما
أفقت حتى بهظني دين لزمني حقه ولازمني مستحقه فحرت في أمري
وأطلعت غريمي على عسري فلم يصدق إملاقي ولا نزع عن إرهاقي بل جد
في التقاضي ولج في اقتيادي إلى القاضي وكلما خضعت له بالكلام واستنزلت

منه رفق الكرام ورغبته في أن ينظرني بمياسرة أو ينظرني إلى ميسرة قال
لا تطمع في الإنظار وانجاز النضار فوحقك ما ترى مسالك الخلاص أو تريني
سبائك الخلاص فلما رأيت اجتهاده لجده وأن لا مناص لي من يده شاغبته
ثم واثبته ليرافعني إلى والي الجرائم لا إلى الحاكم في المظالم لما كان
بلغني من إفضال الوالي وفضله وتشدد القاضي وبخله فلما حضرنا باب
أمير طوس آنست أن لا بأس ولا بوس فاستدعيت دواة وبياضاً وأنشأت
إليه رسالة رقطاء وهي ٥

أخلاق سيدنا تحب وبعقوته يلب وقربه تحف ونأيه تلف
وخلته نسب وقطيعته نصب وغربه ذلق وشهبه تألق وظلفه زان
وقويم نهجه بان وذهنه قلب وجرب ونعته شرق وغرب ٥
سيد قلب سبوق مبر فطن مغرب عزوف عيوف
مخلف متلف أغر فريد نابه فاضل ذكي أنوف
مفلق إن أبان طب إذا ناب هياج وجل خطب مخوف
مناظم شرفه تأتلف وشؤبوب حبائه يكف ونائل يديه فاض وشح قلبه
غاض وخلف سخائه يحتلب وذهب عيابه يحترب من لف لفه فلج وغلب

وتأجر بابه خلب وحلب كف عن هضم بري وبري من دنس غوي وفرن
لبانه بغش ونكب عن مذهب كل ليس بوثاب عند نهزة شر بل يعف عفة بر

فلذا يحب ويستحق عفافه شغفا به قلبا به خلاب
أخلاقه غر ترف وفوقه فوق إذا ناضلته غلاب
سمح يهش وذو تلاف إن هفا خل فليس يحقه بز تاب
لا باخل بل باذل خرق إذا يعتر بز لا يليه باب
إن عض أزل فل غرب عضاضه بمنابه فانحت منه ناب

وجدير بمن لب وفطن وقرب وشطن أن أذعن لقربه زمن وجاره زمن
مذ رضع ثدي لبانه خص بإفاضة تهتانه نعش وفرج وضافر فابهج ونافر
فانعج وفا بحق إلج أتعب من سبلي وقرظ إذ هز وبلي وتوج صفاته

فلا خلا ذا بهجة بمنتظل خصبه
فإنه بر بمن أنس ضوء شهبه
زان مزايا ظرفه بلبس خوف ربه

فليهن سيدنا فوزه بمفاخر تأثلت وجلت وفوته بصنايع نمت وتمت
ويلايم قرب حضرته غوث رقه بحظ من حظوته فإنه تليد نذب وشرا

جذب وجرح نوب أثرت وناظم قلايد تسيرت إذا جاش لخطبه فلا يوجد
قايل ثم قس ثم باقل فإن جبن قلت حين نمنمت وخلت رياضا قد نمت هذا ثم
شربه برض وفوته فرض وفلقه غسق وطلبا بمخلوق وقد قلق لتوغر غريم غاشم
يستحثه بحق لازم فإن من سيدنا بكفه بهبات كفه توشح بمجد فاق وبا بأجر
فلي من وثاق لا خلت سجايا خلقه ترفد شايم برقه بمن رب أزلي بحق أبدي ٥

قال فلما استشف الأمير لألاءها ولمح السر المودع فيها
أوعز في الحال بقضاء ديني وفصل ما بين خصمي وبيني ثم استخلصني لكاثرته
واختصني بأثرته فلبثت بضع سنين أنعم في ضيافته وأرتع في ريف رأفته
حتى إذا غمرتني مواهبه وأطال ذيلي ذهبه تلطفت في الارتحال على ما ترى من
حسن الحال قال الحرث بن همام فقلت له فشكرا لمن أتاح لك لقيان
السمح الكريم وأنقذك به من ضغطة الغريم فقال الحمد لله على سعادة الجد
والخلوص من الخصم الألد ثم قال أيما أحب إليك أن أحذيك من العطا
أم أتحفك بالرسالة الرقطاء فقلت إن إملاء الرسالة أحب إلي وهو وحقك
أخف علي فإن نحلة ما يلج في الآذان أهون من نحلة ما يخرج من الأردان
ثم كأنه أنف واستحيا فجمع لي بين الرسالة والحذيا ففزت منه بسهمين

وفصلت عنه بغنمين وأبت إلى وطني قرير العين بما حزت من الرسالة والعين ٥

المقامة السابعة والعشرون

حكى الحرث بن همام قال ملت في ريق زماني الذي غبر إلى مجاورة أهل الوبر لآخذ أخذ نفوسهم الأبية وألسنتهم العربية فشمرت تشمير من لا يألو جهدا وجعلت أضرب في الأرض غورا ونجدا إلى أن اقتنيت هجمة من الراغية وثلة من الثاغية ثم أويت إلى عرب أرداف أقيال وأبناء أقوال فأوطنوني أمنع جناب وفلوا عني حد كل ناب فما تأوبني عندهم هم ولا قرع صفاتي سهم إلى أن أضللت في ليلة منيرة البدر لقحة غزيرة الدر فلم أطب نفسا بإغفال طلبها وإلقاء حبلها على غاربها فتبذرت فرسا محضارا واعتقلت لدنا خطارا وسريت ليلتي جمعاء أجوب البيداء وأقتري كل شجر ومدر إلى أن نشر الصبح رايته وحيعل الداعي إلى صلاته فنزلت عن ظهر الركوبة لأداء المكتوبة ثم جلت في صهوتها وفررت عن شحوتها وسرت لا أرى أثرا إلا قفوته ولا نشزا إلا علوته ولا واديا إلا أجزعته ولا راكبا إلا استطلعته وجدي مع ذلك يذهب هدرا ولا يجد وزره صبرا إلى أن حانت صكة عمي ولفح هجير يذهل غيلان عن مي

وكان يوما أطول من ظل القناة وأحر من دمع المقلات فأيقنت أني إن لم أستكن من الوقدة وأستجم بالرقدة أدنفني اللغوب وعلقت بي شعوب فعجت إلى سرحة كثيفة الأغصان وريقة الأفنان لأغور تحتها إلى المغيربان فوالله ما استروح نفسي ولا استراح فرسي حتى نظرت إلى سانح في هيئة سائح وهو ينتجع نجعتي ويستن انعياجه إلى بقعتي فكرهت انعياجه إلى معاجي واستعذت بالله من شر كل مفاجي ثم ترجيت أن يتصدى منشدا أو يتبدى مرشدا فلما اقترب من سرحتي وكاد يحل بساحتي ألفيته شيخنا السروجي متشحا بجرابه ومضطغنا أهبة جوابه فأنساني إذ ورد وأنساني ما شرد ثم استوضحته من أين أثره وكيف عجره وبجره فأنشد بديها ولم يقل إيها ٥

قل لمستطلع دخيلة أمري لك عندي كرامة وعزازه
أنا ما بين جوب أرض فأرض وسرى في مفازة فمفازه
زادي الصيد والمطية نعلي وجهازي الجراب والعكازه
فإذا ما هبطت مصرا فبيتي غرفة الخان والنديم جزازه
ليس لي ما أسى إن فات أو أحزن إن حاول الزمان ابتزازه
غير أني أبيت خلوا من الهم ونفسي عن الأسى منحازه

أأرقد الليل ملء جفني وقلبي نارد من حزازة وحزا زه
لا أبالي من أي كأس تفوقت ولا ما حلاوة من مزا زه
لا ولا أستجيز أن أجعل الذل مجازا إلى تسني إجا زه
وإذا مطلب كسا حلة العا ر فبعدا لمن يروم نجا زه
ومتى اهتز للدناءة نكس عاف طبعي طباعه واهتزا زه
فالمنايا ولا الدنايا وخير من ركوب الخنا ركوب الجنا زه

ثم رفع إلي طرفه وقال لأمر ما جدع قصير أنفه فأخبرته خبر ناقتي السارحة
وما عانيته في يومي والبارحة فقال دع الالتفات إلى ما فات والطماح إلى
ما طاح ولا تأس على ما ذهب ولو أنه واد من ذهب ولا تستمل من مال عن
نجحك وأضرم نار تباريحك ولو كان ابن بوحك أو شقيق روحك ثم قال
هل لك في أن نقيل ونتحامى القال والقيل فإن الأبدان أنضاء تعب والهاجرة
ذات لهب ولن يصقل الخاطر وينشط الفاتر كقائلة الهواجر وخصوصا
في شهري ناجر فقلت ذاك إليك وما أريد أن أشق عليك فافترش الترب
واضطجع وأظهر أن قد هجع وارتفقت على أن أحرس ولا أنعس فلحظتني
السنة لما زمت الألسنة فلم أفق إلا والليل قد تولج والنجم قد تبلج

ولا السروجي ولا المسرج فبت بليلة نابغية وأحزان يعقوبية أساور
الوجوم وأساهر النجوم أفكر تارة في رحلتي وأخرى في رجعتي إلى
أن وضح عند افترار ثغر الضوء في وجه الجو راكب يخد في البر فألمعت
إليه بثوب رجاء أن يعرج إلى صوبي فلم يعبأ بالماعي ولا أوى لالتياعي بل
سار على هينته وأصماني بسهم إهانته فأوفضت إليه لأستردفه وأحتمل
تغطرفه فلما أدركته بعد الأين ولحت فيه مسرح العين وجدت ناقتي مطيته
وضالتي لقطته فما كذبت أن أذريته عن سنامها وجاذبته طرف زمامها
وقلت أنا صاحبها ومضلها وولي رسلها ونسلها فلا تكن كأشعب فتتعب
وتتعب فجعل يلدغ ويصيئ وينفخ ولا يستحيي وبينما هو يبرز ويلين
ويستأسد ويستكين إذ غشينا أبو زيد لابسا جلد النمر وهاجما
هجوم السيل المنهمر فخفت والله أن يكون يومه كأمسه وبدري مثل
شمسه فألحق بالقارظين وأصير خبرا بعد عين فلم أر إلا أن أذكرته
المودة المنسية والفعلة الأمسية وناشدته الله أوافي اليوم للتلافي
أم لما فيه إتلافي فقال معاذ الله أن أجهز على مكلومي أو أن أصل
حروري بسمومي وإنما وافيتك لأخبر كنه حالك وأكون يمينا لشمالك

فبكن عند ذلك الجاشي وانجاب استيحاشي واطلعته طلع اللقحة وبشرته صاحبي
باللقحة فنظر اليه نظر ليث العرينة الى الفريسة ثم اشرع قبله الرمح واقسم
له بمن انار الصبح لئن لم ينج منجا الذباب ويرض من الغنيمة بالاياب ليوردن
سنانه وريده وليفجعن به وليده ووديده فنبذ زمام الناقة وحاص وافلت
وله حصاص فقال لي ابو زيد تسلمها وتسنمها فانها احدى الحسنيين
وويل اهون من ويلين قال الحارث بن همام فحرت بين لوم ابي زيد وشكره
وزنة نفعه بضره فكانه نوجي بذات صدري او تكهن ما خامر سري فقابلني
بوجه طليق وانشد بلسان ذليق ٥

يا اخي الحامل ضيمي دون اخواني وقومي
ان يكن ساءك امسي فلقد سرك يومي
فاغتفر ذاك لهذا واطرح شكري ولومي

ثم قال انا تيق وانت ميق فكيف نتفق وولى يفري اديم الارض ويركض ايما ركض
فما عدوت ان اقتعدت مطيتي وعدت لطيتي حتى وصلت الى حلتي بعد اللتيا والتي ٥

تفسير ما تضمنته هذه المقامة
من الفاظ لغوية وامثال عربية ٥

قوله ريق زماني يعني اوله ورايقه وقد يشدد فيقال ريق ٭ وقوله اخذ
اخذ نفوسهم يعني اقتدى بهم يقال منه اخذ اخذه واخذه بكسر الهمزة وفتحها معا
والهجمة نحو المائة من الابل والثلة القطيع من الغنم ٭ والراغية الناقة
والثاغية الشاة ومنه قولهم ماله راغية ولا ثاغية اي لا ناقة ولا شاة ٭
وقوله ارداف اقيال اي يخلفون الملوك اذا غابوا ٭ وقوله ابنا اقوال
اي فصحاء يقال للمنطيق انه ابن اقوال ٭ وقوله فتندرت فرسا محضارا
الندر الوثوب على ظهر الفرس والمحضار والمحضير الشديد العدو ماخوذ
من الحضر ٭ وقوله اقتري كل شجراء ومرداء الاقتراء تتبع الارض
والشجراء ذات الشجر والمرداء الخالية من النبات ومنه اشتقاق الامرد
لخلو وجهه من الشعر ٭ وقوله حيعل الداعي الى صلاته يعني به قول المؤذن
حي على الصلاة حي على الفلاح والمصدر منه الحيعلة ومثله من المصادر
الهيللة والحمدلة والحولقة والبسملة والحسبلة والسبحلة والجعفلة
فالهيللة حكاية قول لا اله الا الله والحمدلة حكاية قول الحمد لله
والحولقة حكاية قول لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم والبسملة
حكاية قول بسم الله والحسبلة حكاية قول حسبنا الله والسبحلة

حكاية قول سبحان الله، والجعفلة حكاية قول جعلت فداك. وقوله فنزلت
عن ظهر الركوبة يعني المركوبة يقال ناقة ركوب وركوبة وحلوب وحلوبة
وقد قرئ فمنها ركوبتهم. والصهوة مقعد الفارس من الفرس. والشحوة
الخطوة. والجزع قطع الوادي عرضا. وقوله صكة عمي يعني به قائم
الظهيرة وقد اختلف في أصله فقيل كان عمي رجلا مغوارا فغزا قوما
عند قائم الظهيرة وصكهم صكة شديدة فصار مثلا لكل من جاء مثل
ذلك الوقت. وقيل أريد به الظبي لأنه يسدر في الهواجر فيصطك
صكة شديدة بما يستقبله كاصطكاك الأعمى ثم صغر الأعمى تصغير الترخيم
فقيل عمي كما صغروا أسود وأزهر فقالوا سويد وزهير. وقوله وكان
يوما أطول من ظل القناة يوصف اليوم الطويل بظل القناة كما يوصف اليوم
القصير بإبهام القطاة والعرب تزعم أن ظل الرمح أطول ظل ومنه قول الشاعر ٥

ويوم كظل الرمح قصر طوله دم الزق عنا واصطفاق المزاهر

وقوله أحر من دمع المقلات المقلات هي التي لا يعيش لها ولد فدمعها أبدا
حار لحزنها لأنه يقال إن دمعة الحزن حارة ودمعة السرور باردة ولهذا
قيل للمدعو له أقر الله عينه مأخوذ من القر والقرة وهما البرد وقيل

للمدعو عليه أسخن الله عينه مأخوذ من السخنة وهي الحرارة. وقيل إن
إقرار العين مأخوذ من القرار فكأنه دعا له أن يرزق ما يقر عينه حتى لا تطمح
إلى مال غيره وكانت الجاهلية تزعم أن المقلات إذا وطئت على قتيل
شريف نبيه عاش ولدها والى هذا أشار بشر بن أبي خازم بقوله ٥

تظل مقاليت النساء يطأنه يقلن ألا يلقى على المرء مئزر

وقوله تعلوي شعوب من أسماء المنية ولا تدخل هذا الاسم أداة التعريف
مثل دجلة وعرفة. وقوله أغور نحتها إلى المغيربان التغوير النزول
للقائلة كما أن التعريس النزول آخر الليل للتهويم أو الاستراحة والمغيربان
تصغير المغرب وكان قياس تصغيره المغيرب إلا أن العرب ألحقت في آخره
ألفا ونونا على طريق الشذوذ. وقوله مضطغنا أهبة تجوابه الاضطغان
أن تحمل الشيء تحت حضنه والاضطبان أن تجعله تحت ضبنه والضبن ما بين
الإبط والكشح وأول مراتب الحمل الإبط ثم الضبن وهو أسفل الإبط ثم الحضن
وهو عند الجنب. والتجواب مصدر جاب يجوب وجميع المصادر التي جاءت
على تفعال هي بفتح التاء إلا قولهم تبيان وتلقاء لا غير وقال بعضهم تنضال
وقوله عجري وبجري يريد به جميع أمري الظاهر والباطن وأصل العجر

العقد الناتية في العصب والنجر العقد الناتية في البطن ٠ وقوله ولم يقل
إيها أي لم يأمرني بالكف يقال للمستزاد إيه وللمستكف إيها ٠ وقوله لأمر
ما جدع قصير أنفه قصير هذا هو مولى جذيمة الأبرش وكان جدع أنفه بيده
حين قتلت الزباء جذيمة مولاه ثم أتاها فأوهمها أن عمرو بن عدي بن أخت
جذيمة هو الذي جدع أنفه اتهاما له بأنه غش خاله جذيمة إذ أشار عليه
بقصدها فحظي قصير عندها بهذا القول حتى جهزته مرارا إلى العراق فكان
يأتيها بالطرف منه إلى أن استصحب في آخر نوبة الرجال في الصناديق وتوصل إلى
قتلها والأخذ بثأر مولاه منها وقصته مشهورة ٠ وقوله ولو كان ابن بوح
يعني به ولد الصلب إشارة إلى أنه ولد في بلجة الدار والبلجة العرصة
وجمعها بوح وقيل إن البوح من أسماء الذكر ٠ وقوله شهري ناجر
هما شهرا الحر وقيل إنهما حزيران وتموز وأنكر أبو بكر بن دريد هذا
القول وقال هما طلوع نجمين ٠ وقوله فبت بليلة نابغية أومى إلى قول النابغة

فبت كأني ساورتني ضئيلة ... من الرقش في أنيابها السم ناقع

وقوله ألمعت إليه بثوبي أي أشرت يقال منه لمع وألمع بمعنى ٠ وقوله يلدغ
ويصئي هذا مثل يضرب لمن يظلم ويشكو يقال صأت العقرب تصئي صئيا

وصئيا بفتح الصاد وكسرها إذا صوتت وكذلك الفرخ وما أحسن قول ابن الرومي
في هذا المعنى

تشكى المحب وتشكو وهي ظالمة ... كالقوس تصمي الرمايا وهي مرنان

وقوله ينزو ويلين هذا مثل يضرب لمن يتعزز ثم يذل ويقال إن أصله للجدي
ينزو وهو صغير فإذا كبر لان ٠ وقوله لا يستأسد النمر هذا المثل يضرب للمتبجح
الجري لأن النمر أجرأ السبع وأقله احتمالا للضيم ومن هذا اشتقاق قولهم تنمر أي
صار مثل النمر ٠ وقوله فألحق بالقارظين الأصل في القارظ أنه الذي يجني القرظ
وهو النبات الذي يدبغ به والقارظان المشار إليهما أحدهما من عنزة والآخر من
النمر بن قاسط خرجا يجنيان القرظ فلم يرجعا ولا عرف لهما خبر فضرب بهما
المثل لكل غائب لا يرجى إيابه وإليهما أشار أبو ذؤيب في قوله

وحتى يؤوب القارظان كلاهما ... وينشر في القتلى كليب لوائل

وقوله حروري سموي الحرور الريح الحارة ليلا والسموم الريح الحارة نهارا
وقد يقام أحدهما مقام الأخرى مجازا وقال بعضهم الحرور يكون ليلا ونهارا والسموم
يختص بالنهار ٠ وقوله ليث العريسة يعني مأوى السبع يقال فيه عرس وعريسة بإثبات الهاء

وحذفها كما يقال غابر وغابة وعرب وعربة فاما القبل والحصن فلم يلحق بهما الهاء وقوله
افلت وله حصاص هذا المثل يضرب لمن نجا من هلكة اشفى عليها بعد ان كان يهوي فيها
والحصاص العدو وقيل انه الضراط وقوله ويل اهون من ويلين هذا المثل يضرب
تسلية لمن ناله بعض المكروه ومثله قول الشاعر وبعض الشر اهون من بعض وقوله
انا تيق وانت ميق فكيف نتفق هذا المثل يضرب للمتنافيين في الخلق فان التيق هو الممتلي
غيظا مأخوذ من قولهم اتاق الاناء اذا ملأه والميق هو الباكي وكان التيق يترع
الى الشر لغيظه والميق يضيق ذرعا باحتماله ومثله قول بعضهم انا كلف وانت
صلف فكيف نأتلف وقوله لطيتي يعني لقصدي ووجهتي وقد يقال فيها طية
بالتخفيف وقوله بعد اللتيا والتي اللتيا تصغير التي وهو على غير قياس التصغير
المطرد لان القياس ان يضم اول الاسم اذا صغر وقد اقر هذا الاسم على فتحة
الاصلية عند تصغيره الا ان العرب عوضته عن ضم اوله ان زادت الفا في
آخره واجرت اسماء الاشارة عند تصغيرها على حكمه فقالت في تصغير الذي والتي
اللذيا واللتيا وفي تصغير ذا وذاك ذيا وذياك وقد اختلف في معنى قولهم بعد اللتيا والتي

فقيل انهما من اسماء الداهية وقيل المراد بهما صغير المكروه وكبيره

المقامة الثامنة والعشرون

روى الحرث بن همام قال استبضعت في بعض اسفاري القند وقصدت به
سمرقند وكنت يومئذ قويم الشطاط جموم النشاط ارمي عن قوس المراح
الى غرض الافراح واستعين بماء الشباب على لامح السراب فوافيتها بكرة
عروبة بعد ان كابدت الصعوبة فبغيت وما ونيت الى ان حصل البيت فلما
نقلت اليه قندي وملكت قول عندي عجت الى الحمام على الاثر فأمطت عني وعثاء
السفر واخذت في غسل الجمعة بالاثر ثم بادرت في هيئة الخاشع الى مسجدها الجامع
لألحق بمن يقرب من الامام ويقرب افضل الانعام فحظيت بان حللت في الحلبة
وتخيرت مركزا لاستماع الخطبة ولم يزل الناس يدخلون في دين الله افواجا
ويردون فرادى وازواجا حتى اذا اكتظ الجامع بحفله واظل تساوي الشخص وظله
برز الخطيب في اهبته متهاديا خلف عصبته فارتقى في منبر الدعوة الى ان
مثل بالذروة فسلم مشيرا باليمين ثم جلس حتى ختم نظم التأذين ثم قام وقال
الحمد لله الممدوح الاسماء المحمود الآلاء الواسع العطاء المدعو لحسم اللأواء

مالك الأمم ومصور الرمم وأهل السماح والكرم ومهلك عاد وإرم أدرك
كل سر علمه ووسع كل مصر حلمه وعم كل عالم طوله وهد كل مارد حوله
أحمده حمد موحد مسلم وأدعوه دعاء مؤمل مسلم وهو الله لا إله إلا هو
الواحد الأحد العادل الصمد لا ولد له ولا والد ولا رد معه ولا مساعد
أرسل محمدا للإسلام ممهدا وللملة موطدا ولأدلة الرسل مؤكدا وللأسود
والأحمر مسددا وصل الأرحام وعلم الأحكام ووسم الحلال والحرام
ورسم الإحلال والإحرام كرم الله محله وكمل الصلاة والسلام له ورحم
آله الكرماء وأهله الرحماء ما همر ركام وهدر حمام وسرح سوام وسطا حسام
اعملوا رحمكم الله عمل الصلحاء واكدحوا لمعادكم كدح الأصحاء واردعوا
أهواءكم ردع الأعداء وأعدوا للرحلة إعداد السعداء وادرعوا حلل
الورع وداووا علل الطمع وسووا أود العمل وعاصوا وساوس الأمل
وصوروا لأوهامكم حؤول الأحوال وحلول الأهوال ومساورة الأعلال
ومصارمة المال والآل وادكروا الحمام وسكرة مصرعه والرمس وهول
مطلعه واللحد ووحدة مودعه والملك وروعة سؤاله ومطلعه والمحوا
الدهر ولؤم كره وسوء محاله ومكره كم طمس معلما وأمر مطعما وطحطح

٨٩ عرمرما ودمر ملكا مكرما همه سك المسامع وسح المدامع وإكداء
المطامع وإرداء المسمع والسامع عم حكمه الملوك والرعاع والمسود والمطاع
والمحسود والحساد والأساود والآساد ما مؤمل إلا مال وعكس الآمال
ولا وصل إلا وصال وكلم الأوصال ولا سر إلا أوسأ ولؤم وأسا ولا صح إلا
ولد الداء وروع الأوداء الله الله رعاكم الله إلام مداومة اللهو ومواصلة
السهو وطول الإصرار وحمل الآصار واطراح كلام الحكماء ومعاصاة إله
السماء أما الهرم حصادكم والمدر مهادكم أما الحمام مدرككم والصراط
مسلككم أما الساعة موعدكم والساهرة موردكم أما أهوال الطامة لكم
مرصدة أما دار العصاة الحطمة الموصدة حارسهم مالك وروادهم حالك
وطعامهم السموم وهواؤهم السموم لا مال أسعدهم ولا ولد ولا عدد حماهم
ولا عدد ألا رحم الله امرأ ملك هواه وأم مسالك هداه وأحكم طاعة مولاه
وكدح لروح مأواه وعمل ما دام العمر مطاوعا والدهر موادعا والصحة
كاملة والسلامة حاصلة وإلا دهمه عدم المرام وحصر الكلام وإلمام الآلام
وحموم الحمام وهدوء الحواس ومرأى الأرماس أها لها حسرة ألمها مؤكد
وأمدها سرمد ومراسها مكمد ما لوهمها حاسم ولا لسدمه راحم ولا له مما

عزاء عاصم ألهمكم الله أحمد الإلهام وردّاكم رداء الإكرام وأحلّكم
دار السلام وأسأله الرحمة لكم ولأهل ملة الإسلام وهو أسمح الكرام
والمسلّم والسلام ∴ قال الحرث بن همام فلما رأيت الخطبة نخبة
بلا سقط وعروسا بغير نقط دعاني الإعجاب بنظمها العجيب إلى استجلاء
وجه الخطيب فأخذت أتوسّمه جدّا وأقلّب الطرف فيه مجدّا إلى أن وضح لي
بصدق العلامات أنه أبو زيد ذو المقامات ولم يكن بدّ من الصمت في ذلك
الوقت فأمسكت حتى تحلّل من الفرض وحلّ الانتشار في الأرض ثم واجهت
تلقاءه وابتدرت لقاءه فلما لحظني خفّ في القيام وأحفى في الإكرام ثم
استصحبني إلى داره وأودعني خصائص أسراره وحين انتشر جناح الظلام
وحان ميقات المنام أحضر أباريق المدام مكعومة بالفدام فقلت أتحسوها
أمام النوم وأنت إمام القوم فقال مه أنا بالنهار خطيب وفي الليل أطيب
فقلت والله ما أدري أأعجب من تسلّيك عن أناسك ومسقط راسك أم من
خطابتك مع أدناسك ومدار كاسك فأشاح بوجهه عني ثم قال اسمع مني

لا تبك إلفا نأى ولا دارا ... ودر مع الدهر كيف ما دارا
واتخذ الناس كلهم سكنا ... ومثّل الأرض كلها دارا

واصبر على خلق من تعاشره ... وداره فاللبيب من دارا
ولا تضع فرصة السرور فما ... تدري أيوما تعيش أم دارا
واعلم بأن المنون جائلة ... وقد أدارت على الورى دارا
وأقسمت لا تزال قانصة ... ما كرّ عصر المحيا وما دارا
فكيف ترجى النجاة من شرك ... لم ينج منه كسرى ولا دارا

قال فلما اعتورتنا الكؤوس وطربت النفوس حرّجني اليمين الغموس على أن أحفظ
عليه الناموس فاتبعت مرامه ورعيت ذمامه وأنزلته بين الملأ منزلة الفضيل
وسدلت الذيل على مخازي الليل ولم يزل ذلك دأبه ودأبي إلى أن تهيأ إيابي
فودعته وهو مصرّ على التدليس ومسرّ حسو الخندريس ∘

المقامة التاسعة والعشرون

حكى الحرث بن همام قال ألجأني حكم دهر قاسط إلى أن أنتجع أرض واسط
فقصدتها وأنا لا أعرف بها سكنا ولا أملك فيها مسكنا ولما حللتها حلول الحوت
بالبيداء أو الشعرة البيضاء في اللمة السوداء قادني الحظ الناقص والجد الناكص
إلى خان ينزله شذاذ الآفاق وأخلاط الرفاق وهو لنظافة مكانه وظرافة

سكانه يرغب الغريب في إيطانه وينسيه هوى أوطانه فاستفردت منه بحجرة
ولم أنافس في أجرة فما كان إلا كلمح طرف أو خط حرف حتى سمعت جاري بيت بيت
يقول لمن يليه في البيت قم يا بني لا قعد جدك ولا قام ضدك واستصحب ذا الوجه
البدري واللون الدري والأصل النقي والجسم الشقي الذي قبض ونشر وسجن وشهر
وسقي وفطم وأدخل النار بعد ما لطم ثم اركض إلى السوق ركض المشوق
فقايض به اللافح الملفح المفسد المصلح المكمد المفرح المعنى المروح
ذا الزفير المحرق والحنين المشرق واللفظ المقنع والنيل الممتع الذي إذا طرق
رعد وبرق وباح بالحرق ونفث في الخرق قال فلما قرت شقشقة الهادر
ولم يبق إلا صدر الصادر برز فتى يميس وما معه أنيس فرأيتها عضلة تلعب
بالعقول وتغري بالدخول في الفضول فانطلقت في أثر الغلام لأخبر فحوى
الكلام فلم يزل يسعى سعي العفاريت ويتفقد نضائد الحوانيت حتى انتهى
عند الرواح إلى حجارة القداح فناول بائعها رغيفا وتناول منه حجرا لطيفا
فعجبت من فطانة المرسل والمرسل وعلمت أنها سر وحية وإن لم أسأل وما
كذبت أن بادرت إلى الخان منطلق العنان لأنظر كنه فهمي وهل قرطس
في التوسم سهمي فإذا أنا في الفراسة فارس وأبو زيد بوصيد الخان جالس فتهادينا

بشرى الالتقاء وتفاوضنا تحية الأصدقاء ثم قال ما الذي نابك حتى زايلت جنابك
فقلت دهر هاض وجور فاض فقال والذي أنزل المطر من الغمام وأخرج الثمر
من الأكمام لقد فسد الزمان وعم العدوان وعدم المعوان والله المستعان
فكيف أفلت وعلى أي وصفيك أجفلت فقلت اتخذت الليل قميصا وأدلجت
فيه خميصا فأطرق ينكت في الأرض ويفكر في ارتياد القرض والفرض ثم اهتز
هزة من اكتسب قنصا أو بدت له فرصة وقال قد علق بقلبي أن تصاهر من يأسو
جرحك ويريش جناحك فقلت وكيف أجمع بين غل وقل ومن الذي يرغب في
صل بن صل فقال أنا المشير بك وإليك والوكيل لك وعليك مع أن دين القوم
جبر الكسير وفك الأسير واحترام العشير واستنصاح المشير إلا
أنهم لو خطب إليهم إبرهيم بن أدهم أو جبلة بن الأيهم لما زوجوه إلا على
خمس مائة درهم اقتداء بما مهر الرسول عليه السلام زوجاته وعقد به أنكحة بناته على
أنك لن تطالب بصداق ولا تلجأ إلى طلاق ثم إني سأخطب في موقف عقدك وجمع
حشدك خطبة لم تفتق رتق سمع ولا خطب بمثلها في جمع قال الحرث بن همام
فازدهاني بوصف الخطبة المتلوة دون الخطبة المجلوة حتى قلت له قد
وكلت إليك هذا الخطب فدبره تدبير من طب لمن حب فنهض مهرولا

ثم عاد متهللا وقال أبشر بإعتاب الدهر ونجح طلاب البدر فقد وليت العقد
وتكفلت النقد وكان قد ثم أخذ في مواعدة أهل الخان وإعداد حلواء الخوان
فلما مد الليل أطنابه وأغلق كل ذي باب بابه أذن في الجماعة ألا احضروا وفي هذه
الساعة فلم يبق فيهم إلا من لبى صوته وحضر بيته فلما اصطفوا لديه واجتمع
الشاهد والمشهود عليه جعل يرفع الأصطرلاب ويضعه ويلحظ التقويم ويدعه
إلى أن نعس القوم وغشي النوم فقلت له يا هذا ضع الفاس في الراس وخلص
الناس فنظر نظرة في النجوم ثم انتشط من عقلة الوجوم وأقسم بالطور
والكتاب المسطور ليكشفن سر هذا الأمر المستور ولينشرن ذكره إلى
يوم النشور ثم انتجى على ركبته واسترعى الأسماع الخطبة وقال ۝
الحمد لله الملك المحمود المالك الودود مصور كل مولود ومآل كل مطرود
ساطح المهاد وموطد الأطواد ومرسل الأمطار ومسهل الأوطار عالم الأسرار
ومدركها ومدمر الأملاك ومهلكها ومكور الدهور ومكررها ومورد الأمور
ومصدرها عم سماحه وكمل وهطل ركامه وهمل وطاوع السول والأمل
وأوسع المرمل والأرمل أحمده حمدا ممدودا مداه وأوحده كما وحده
الأواه وهو الله لا إله للأمم سواه ولا صادع لما عدله وسواه أرسل

إبرهيم عليه السلم

محمدا علما للإسلام وإماما للحكام ومسددا للرعاع ومعطلا أحكام ود
وسواع علم وأعلم وحكم وأحكم وأصل الأصول ومهد وأكد الوعود
وأوعد واصل الله له الإكرام وأودع روحه السلام ورحم آله وأهله
الكرام ما لمع آل وملع رال وطلع هلال وسمع إهلال اعملوا رعاكم الله
أصلح الأعمال واسلكوا مسالك الحلال واطرحوا الحرام ودعوه واسمعوا
أمر الله وعوه وصلوا الأرحام وراعوها وعاصوا الأهواء واردعوها وصاهروا
لحم الصلاح والورع وصارموا رهط اللهو والطمع ومصاهركم أطهر
الأحرار مولدا وأسراهم سوددا وأحلاهم موردا وأصحهم موعدا
وها هو أمكم وحل حرمكم مملكا عروسكم المكرمة وماهرا لها كما مهر
الرسول أم سلمة وهو أكرم صهر أودع الأولاد وملك ما أراد وما
عليه السلم
سها مملكه ولا وهم ولا وكس ملاحمه ولا وصم أسأل الله لكم إحماد
وصاله ودوام إسعاده وألهم كلا إصلاح حاله والإعداد لمعاده ومآله
وله الحمد السرمد والمدح لرسوله محمد ۝ فلما فرغ من خطبته البديعة
النظام العرية من الإعجام عقد العقد على الخمس المئين وقال لي بالرفاء
والبنين ثم أحضر الحلواء التي كان أعدها وأبدى الأبدة عندها فأقبلت

إقبال الجماعة عليها، وكثرت أهوي بيدي إليها، فجرى عن المواكلة وأنهضني
للمناولة، فوالله ما كان بأسرع من تصافح الأجفان، حتى خرّ القوم للأذقان،
فلما رأيتهم كأعجاز نخل خاوية، أو كصرعى بنت خابية، علمت أنها الحبلى الكبر
وأمّ العبر، فقلت له: يا عديّ نفسه وعبيد فلسه، أأعددت للقوم حلوا
أم بلوا؟ فقال: لم أعدّ خبيص النبج في صحاف الخليج، فقلت: أقسم بمن أطلعها
زهرا، وهدى بها الساري في طرق القفر، لقد جئت شيئا نكرا، وأبقيت لك في الخزي
ذكرا، ثم حرت فكرتي في صيّور أمره، وخيفة من عدوى عرّه، حتى طارت نفسي
شعاعا، وارتعدت فرائصي ارتياعا، فلما رأى استطارة فرقي، واستشاطة
قلقي، قال: ما هذا الفكر المرمض، والروع المومض؟ فإن يكن فكرك في أجلي
من أجلي، فأنا الآن أرتع وأطفر، وأقوى من هذه البقعة مني وأقفر، وكم مثلها فارقتها
وهي تصفر، وإن يكن نظرا لنفسك، وحذرا من حبسك، فتناول فضالة
الخبيص، وطب نفسا عن القميص، حتى تأمن المستعدي والمعتدي، وتمهّد لك
المقام بعدي، وإلا فالمفرّ المفرّ، قبل أن تسحب وتجرّ، ثم عمد لاستخراج
ما في البيوت من الأكياس والتخوت، وجعل يستخلص خلاصة كل مخزون، ونخبة
كل مذروع وموزون، حتى غادر ما ألفاه كعظم استخرج مخّه، فلما

همّن ما اصطفاه، وزمّ وشمّر للإدلاج وتحزّم، أقبل عليّ إقبال من لبس
الصفاقة، وخلع الصدق والصداقة، وقال: هل لك في المصاحبة إلى البطيحة
لأصلك بأخرى مليحة؟ فأقسمت له بالذي جعله مباركا أينما كان، ولم يجعله
ممن خان في خان، أنه لا أقبل إلى نكاح حرّتين، ومعاشرة ضرّتين، ثم قلت له
قول المتطبّع بطباعه، الكايل له بصاعه: قد كفتني الأولى فخرا، فاطلب آخر
للأخرى، فتبسّم من كلامي، وحلف لا ألتين أمي، فلويت عنه عذاري، وأبديت له
ازوراري، فلما بصر بانقباضي، وتجلّى له إعراضي، أنشد

يا صارفا عني المودّة والزمان له صروف
ومعنّفي في فضح من جاورت تعنيف العسوف
لا تلحني فيما أتيت فإنني بهم عروف
ولقد نزلت بهم فلم أرهم يراعون الضيوف
وبلوتهم فوجدتهم لما سبكتهم زيوف
ما فيهم إلا مخيف إن تمكّن أو مخوف
لا بالصفيّ ولا الوفيّ ولا الحفيّ ولا العطوف
فوثبت فيهم وثبة الذيب الضري على الخروف

وتركتهم صرعى كأنهم سقوا كأس الحتو ف

وتحكمت فيما اقتنوه يدي وهم رغم الأنو ف

ثم انثنيت بمغنم حلو المجاني والقطو ف

ولطالما خلفت مكلوم الحشى خلفي يطو ف

ووترت أرباب الأرائك والدرانك والسجو ف

ولكم بلغت بحيلتي ما ليس يبلغ بالسيو ف

ووقفت في هول تراع الأسد فيه من الوقو ف

ولكم سفكت وكم فتكت وكم هتكت حمى أنو ف

وكم ارتكضت موبق في الذنوب وكم خفو ف

لكنني أعددت حسن الظن بالمولى الرؤو ف

قال فلما انتهى إلى هذا البيت لج في الاستعبار والأظ بالاستغفار حتى استمال هوى قلبي المنحرف ورجوت له ما يرجى للمقترف المعترف ثم إنه غيض دمعه المنهل وتأبط جرابه وانسل وقال لابنه احتمل الباقي والله الواقي قال المخبر بهذه الحكاية فلما رأيت انسياب الحية والحية وأنهما البدء إلى الكية علمت أن تربصي في الخان مجلبة للهوان فضممت

رحلي وجمعت للرحلة ذيلي وبت ليلي أسري إلى الطيب وأحتسب الله على الخطيب

المقامة الثلاثون

أخبر الحرث بن همام قال ارتحلت من مدينة المنصور إلى بلد صور فلما حصلت بها ذا رفعة وخفض ومالك رفع وخفض تقت إلى مصر توقان السقيم إلى الأساة والكريم إلى المواساة فرفضت علائق الاستقامة ونفضت عوائق الإقامة واعروريت ظهر ابن النعامة وأجفلت نحوها إجفال النعامة فلما دخلتها بعد معاناة الأين ومداناة الحين كلفت بها كلف الشنوان بالاصطباح والحيران بتنفس الصباح فبينما أنا يوما بها أطوف وتحتي فرس قطوف إذ رأيت على جرد من الخيل عصبة كمصابيح الليل فسألت لانتجاع النزهة عن العصبة والوجهة فقيل أما القوم فشهود وأما المقصد فإملاك مشهود فحدتني ميعة النشاط على أن سرت مع الفراط لأفوز بحلاوة اللقاط وأحوز حلوا السماط فأفضينا بعد مكابدة العناء إلى دار رفيعة البناء وسيعة الفناء تشهد لبانيها بالثراء والسناء فلما نزلنا عن صهوات الخيول وقدمنا الأقدام للدخول رأيت دهليزها مجللا بأطمار مخرقة ومكللا بنخارف معلقة

وهناك شخص على قطيفة فوق دكة لطيفة فرابني عنوان الصحيفة ومرأى
هذه البدعة الطريفة ودعاني التطبّب بتلك المناحس إلى أن عدت لذلك الجالس
فعزمت عليه بمصرّف الأقدار ليعرّفني من ربّ هذه الدار فقال ما لها مالك
معيّن ولا صاحب مبيّن وإنما هي مصطبة المقيفين والمدروزين ووليجة
المسقسقين والمجلوزين فقلت في نفسي إنّا لله على ضلّة المسعى ولمحال المرعى
وهممت في الحال بالرجعى لكني استهجنت العود من فوري والقهقرة دون
غيري فولجت الدار متجرّعا الغصص كما يلج العصفور القفص فإذا فيها أرائك
منقوشة وطنافس مفروشة ونمارق مصفوفة وسجوف مرصوفة وقد أقبل
المملك يميس في بردته ويتهنّس بين حفدته فحين جلس كأنه ابن ماء السماء
نادى مناد من قبل الأحماء وحرمة ساسان أستاذ الأستاذين وقدوة
الشحاذين لا عقد هذا العقد المبجّل في ذا اليوم الأغرّ المحجّل إلا الذي
جال وجاب وشبّ في الكدية وشاب فأعجب رهط الصهر ما أشاروا إليه
وأذنوا في إحضار المنصوص عليه فبرز حينئذ شيخ قد أمال الملوان
قامته ونوّر الفتيان ثغامته فتباشرت الجماعة بإقباله وتبادرت إلى استقباله
فلما جلس على زربيّته وسكنت الضوضاء لهيبته انحلف إلى مسنده ومسح

سبلته بيده ثم قال ۝ الحمد لله المبتدئ بالإفضال المبتدع للنوال
المتقرّب إليه بالسؤال المؤمّل لتحقيق الآمال الذي شرع الزكاة في الأموال
وزجر عن نهر السؤال وندب إلى مواساة المضطر وأمر بإطعام القانع
والمعترّ ووصف عباده المقرّبين في كتابه المبين فقال وهو أصدق القائلين
والذين في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم أحمده على ما رزق من
طعمة هنيّة وأعوذ به من استماع دعوة بلا نيّة وأشهد أن لا إله إلا الله
وحده لا شريك له إله يجزي المتصدّقين والمتصدّقات ويمحق الربا ويربي
الصدقات وأشهد أن محمدا عبده الرحيم ورسوله الكريم ابتعثه لينتسخ
الظلمة بالضياء وينتصف للفقراء من الأغنياء فرفق صلوات الله عليه بالمسكين
وخفض جناحه للمساكين وفرض الحقوق في أموال المثرين وبيّن ما يجب
للمقلّين على المكثرين صلّى الله عليه صلاة تحظيه بالزلفة وعلى أصفيائه
أهل الصفّة ∴ أما بعد فإن الله تعالى شرع النكاح لتتعففوا وسنّ التناسل
لكي تتضاعفوا فقال سبحانه لتعرفوا يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر
وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا وهذا أبو الدراج ولّاج بن
خرّاج ذو الوجه الوقاح والإفك الصراح والهرير والصياح والإبرام والإلحاح

تخطب سليطة أهلها وشريطة بعلها قنبس بنت أبي العنبس لما بلغه من
التحافها بالحافها واشرافها في اسفافها وانكماشها على معاشها وانتعاشها
عند هراشها وقد بذل لها من الصداق شلاقا وعكازا وصقاعا وكرازا
فانكحوه نكاح مثله وصلوا حبلكم بحبله وإن خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله
من فضله أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم وأسأله أن يكثر
في المساطب نسلكم ويحرس من المعاطب شملكم فلما فرغ الشيخ من خطبته
وأبرم للختن عقد خطبته تساقط من النثار ما استغرق حد الإكثار وأغرى
الشحيح بالإيثار ثم نهض الشيخ يسحب ذلاذله ويقدم أراذله قال
الحرث بن همام فتبعته لأنظر عرجة القوم وأكمل بهجة اليوم فعاج بهم
إلى سماط زينته طهاته وتناصفت في الحسن جهاته فحين ربع كل شخص في
ربضته وطفق يرتع في روضته انسللت من الصف وفررت من الزحف
فحانت من الشيخ لفتة إلي ونظرة هجم بها طرفه علي فقال إلى أين يا برم هلا
عاشرت معاشرة من فيه كرم فقلت والذي خلقها طباقا وطبقها إشراقا لا ذقت
لماقا ولا لست رقاقا أو تخبرني أين مدب صباك ومن أين مهب صباك
فتنفس الصعداء مرارا وأرسل البكا مدرارا حتى إذا استنزف الدمع استنصت

مسقط الرأس سروج وبها كنت أموج
بلدة يوجد فيها كل شيء ويروج
وردها من سلسبيل وصحاريها مروج
وبنوها ومغانيهم نجوم وبروج
حبذا نفحة رياها ومرآها البهيج
وأزاهير رباها حين تنجاب الثلوج
من رآها قال مرسى جنة الدنيا سروج
ولمن ينزح عنها زفرات ونشيج
مثل ما لاقيت مذ أخرجني عنها العلوج
عبرة تهمي وشجو كلما قر يهيج
وهموم كل يوم خطبها خطب مريج
ومساع في التزجي قاصرات الخطو عوج
ليت يومي حم لما حم لي منها الخروج

قال فلما بين بلده ووعيت ما أنشده أيقنت أنه علامتنا أبو زيد وإن كان الهرم
قد أوثقه بقيد فبادرت إلى مصافحته واغتنمت مواكلته من صحفته وظلت

[illegible]

مدة مقامي بمصر أعشو إلى أشواطه وأحتشي صدفي من حرز ألفاظه إلى
أن نعب غراب البين ففارقته مفارقة الجفن للعين

المقامة الحادية والثلاثون

حكى الحرث بن همام قال كنت في عنفوان الشباب وريعان العيش اللباب
أقلي الاكتنان بالغاب وأهوى الإنداد لا ومن القراب لعلمي أن السفر ينتج الظفر
وينجح السفر ومعاقرة الوطن تعقر الفطن وتخفض من قطن فأجلت قداح
الاستشارة واقتدحت زناد الاستخارة ثم استجشت جأشا أثبت من الحجارة
وأصعدت إلى ساحل الشام للتجارة فلما خيمت بالرملة وألقيت بها عصا الرحلة
صادفت ركابا تعد للسرى ورجالا تستعد لأم القرى فعصفت بي ريح الغرام
واهتاج لي شوق إلى البيت الحرام فزممت ناقتي وودعت علاقتي

وقلت للائمي أقصر فإني سأختار المقام على المقام

وأنفق ما جمعت بأرض جمع وأسلو بالحطيم عن الحطام

ثم انتظمت مع رفقة كنجوم الليل لهم في السير جرية السيل وإلى الخير جري
الخيل فلم نزل بين إدلاج وتأويب وإيجاف وتقريب إلى أن جئنا أيدي

المطايا بالجحفة في انصبابنا إلى الجحفة فحللناها متأهبين للإحرام متباشرين بإدراك
المرام فلم يك إلا أن أنخنا بها الركائب وحططنا الحقائب حتى طلع من بين الهضاب
شخص ضاحي الإهاب وهو ينادي يا أهل ذا النادي هلم إلى ما ينجي يوم التنادي
فانخرط إليه الحجيج وانثالوا واحتفوا به وأنصتوا فلما رأى تأثفهم حوله
واستطعامهم قوله تسنم إحدى الآكام ثم تنحنح مستفتحا للكلام وقال
يا معشر الحجاج الناسلين من الفجاج أتعقلون ما تواجهون وإلى من تتوجهون
أم تدرون على من تقدمون وعلام تقدمون أتخالون أن الحج هو اختيار
الرواحل وقطع المراحل واتخاذ المحامل وإيقار الزوامل أم تظنون أن
النسك هو نضو الأردان وإنضاء الأبدان ومفارقة الولدان والتنائي عن البلدان
كلا والله بل هو اجتناب الخطية قبل اجتلاب المطية وإخلاص النية
في قصد تلك البنية وإمحاض الطاعة عند وجدان الاستطاعة وإصلاح
المعاملات أمام إعمال اليعملات فوالذي شرع المناسك للناسك وأرشد
السالك في الليل الحالك ما ينقي الاغتسال بالذنوب من الانغماس في الذنوب
ولا تعدل تعرية الأجسام بتعبية الأجرام ولا تغني لبسة الإحرام عن المتلبس
بالحرام ولا ينفع الاضطباع بالإزار مع الاضطلاع بالأوزار ولا يجدي التقرب

بالحقِّ مع التقلُّبِ في ظُلَمِ الخلقِ ولا يرخُصُ التنسُّكُ بالتقصيرِ دونَ التمسُّكِ بالتقصيرِ ولا يُسعِدُ بعرفةَ غيرُ أهلِ المعرفةِ ولا يزكو بالخَيفِ من رغبَ في الحَيفِ ولا يشهدُ المقامَ إلا الأمِنُ استقامَ ولا يحظى بقبولِ الحجّةِ من زاغَ عن المحجّةِ فرحِمَ اللهُ امرأً صفا قبلَ مسعاهُ إلى الصفا وورَدَ شريعةَ الرضا قبلَ شروعِهِ على الأضا ونزعَ عن تلبيسِهِ قبلَ نزعِ ملبوسِهِ وفاضَ بمعروفِهِ قبلَ الإفاضةِ من تعريفِهِ ثمّ رفعَ عقيرتَهُ بصوتٍ أسمعَ الصُّمَّ وكادَ يزعزعُ الجبالَ الشُّمَّ وأنشدَ

ما الحجُّ سيرُكَ تأويباً وإدلاجا ... ولا اعتيامُكَ أجمالاً وأحداجا
الحجُّ أن تقصدَ البيتَ الحرامَ على ... تجريدِكَ الحجَّ لا تقضي بهِ حاجا
وتمتطي كاهلَ الإنصافِ متّخذاً ... ردعَ الهوى هادياً والحقَّ منهاجا
وأن تواسيَ ما أوتيتَ مقدرةً ... من مدَّ كفّاً إلى جدواكَ محتاجا
فهذهِ إن حوتها حجّةٌ كمُلتْ ... وإن خلا الحجُّ منها كانَ إخداجا
حسبُ المرائينَ غبناً أنّهم غرسوا ... وما جنوا ولقوا كدّاً وإزعاجا
وأنّهم حُرِموا أجراً ومحمدةً ... والحمدُ أعرضَ من عابَ أو هاجا
أُخيَّ فابغِ بما تُبديهِ من قُرَبٍ ... وجهَ المهيمنِ ولّاجاً وخرّاجا
فليسَ يخفى على الرحمنِ خافيةٌ ... إن أخلصَ العبدُ في الطاعاتِ أو داجا
وبادرِ الموتَ بالحسنى تقدّمُها ... فما ينهنهُهُ جاءٍ الموتَ إن فاجا
واقنَ التواضعَ خُلقاً لا تزايلُهُ ... عندَ الليالي ولو ألبسنكَ التاجا
ولا تشِمْ كلَّ خالٍ لاحَ بارقُهُ ... وإن ترآى هتونَ السكبِ ثجّاجا
ما كلُّ داعٍ بأهلٍ أن يُصاخَ لهُ ... كم قد أصمَّ نهيقٌ بعضَ من ناجى
وما اللبيبُ سوى من باتَ مقتنعاً ... ببلغةٍ تتدرّجُ الأيّامُ إدراجا
فكلُّ كُثْرٍ إلى قُلٍّ مغبّتُهُ ... وكلُّ نارٍ إلى لينٍ ولو هاجا

قالَ الراوي فلمّا ألقحَ عُقمَ الأفهامِ بسحرِ الكلامِ استروحتُ ريحَ أبي زيدٍ ومادَ بي الارتياحُ إليهِ أيَّ ميدٍ فمكثتُ حتى استوعبتُ نثَّ حكمتِهِ وانحدرَ من أكَمتِهِ ثمّ دلفتُ إليهِ لأتصفّحَ صفحاتِ محيّاهُ وأستشفَّ جوهرَ حلاهُ فإذا هوَ الضالّةُ التي أنشُدُها وناظمُ القلائدِ اللاتي أنشدَها فعانقتُهُ عناقَ اللامِ للألفِ ونزّلتُهُ منزلةَ البُرءِ عندَ الدنِفِ وسألتُهُ أن يلاحمَني فأبى أو يزاملَني فأبى وقالَ آليتُ في حجّتي هذهِ ألّا أحتقبَ ولا أعتقبَ ولا أكتسبَ ولا أنتسبَ ولا أرتفقَ ولا أرافقَ ولا أوافقَ من ينافقُ ثمّ ذهبَ يهرولُ وغادرني أولولُ فلم أزلْ أُتبِعُهُ نظري وأودُّ لو يمشي على ناظري حتى توقّلَ أحدَ الأطوادِ ووقفَ الحجيجُ بالمرصادِ حينَ شاهدَ إيضاعَ الركبانِ في الكثبانِ وقعَ بالبنانِ على البنانِ وأنشدَهُ

ليس من زار راكبا مثل ساع على القدم
لا ولا خادم أطاع كعاص من الخدم
كيف يا قوم يستوي شعب بان ومن هدم
سيقيم المفرطون غدا مأتم الندم
ويقول الذي تقرب طوبى لمن خدم
ويك يا نفس قدمي صالحا عند ذي القدم
وازدري زخرف الحياة فوجدانه عدم
واذكري مصرع الحمام إذا خطبه صدم
واندبي فعلك القبيح وسحي له بدم
وادبغيه بتوبة قبل أن تحلم الأدم
فعسى الله أن يقيك السعير الذي احتدم
يوم لا عثرة تقال ولا ينفع الندم

ثم إنه أغمد عضب لسانه وانطلق لشانه فما زلت في كل مورد نرده ومعرس نتوسده أتفقده فأفقده وأستنجد من ينشده فلا يجده حتى خلت أن الجن اختطفته أو الأرض اقتطفته فما كابدت في الغربة كهذه الكربة ولا منيت في سفري

المقامة الثانية والثلثون

حكى الحرث بن همام قال أجمعت حين قضيت مناسك الحج وأقمت وظائف العج والثج أن أقصد طيبة مع رفقة من بني شيبة لأزور قبر المصطفى وأخرج من قبيل من حج وجفا فأرجف بأن المسالك شاغرة وعرب الحرمين متشاجرة فحرت بين إشفاق يثبطني وأشواق تنشطني إلى أن ألقي في روعي الاستسلام وتغليب زيارة قبره عليه السلم فاعتمت القعدة وأعددت العدة وسرت والرفقة لا نلوي على عرجة ولا نثني في تأويب ولا دلجة حتى وافينا بني حرب وقد آبوا من حرب فأزمعنا أن نقضي ظل اليوم في حلة القوم وبينا نحن نتخير المناخ ونرود الورد النقاخ إذ رأيناهم يركضون كأنهم إلى نصب يوفضون فرابنا انثيالهم وسألنا ما بالهم فقيل قد حضر ناديهم فقيه العرب فأهرعهم لهذا السبب فقلت لرفقتي ألا نشهد مجمع الحي لنتبين الرشد من الغي فقالوا لقد أسمعت إذ دعوت ونصحت وما ألوت ثم نهضنا نتبع الهادي ونؤم النادي حتى إذا أطللنا عليه واستشرفنا الفقيه المنهود إليه ألفيته أبا زيد ذا الشقر والبقر والفواقر والفقر وقد اعتم القفداء واشتمل الصماء وقعد القرفصاء وأعيان الحي به محتفون والأخلاط عليه ملتفون وهو يقول سلوني عن

المعضلات واستوضحوا مني المشكلات فوالذي فطر السما وعلم آدم
الأسما إني لفقيه العرب العربا وأعلم من تحت الجربا فيممه له فتى فتيق
اللسان جري الجنان وقال إني حاضرت فقها الدنيا حتى انتخلت منهم مائة
فتيا فإن كنت ممن رغب عن بنات غير ورغب منا في مير فاستمع وأجب
لتقابل بما يجب فقال الله أكبر سيبين المخبر وينكشف المضمر فاصدع بما تؤمره
قال ما تقول فيمن توضأ ثم لمس ظهر نعله قال انتقض وضوؤه بفعله
النعل الزوجة قال
فإن توضأ ثم أتكأه البرد قال يجدد الوضوء من بعد
البرد النوم قال
أيجوز الوضوء مما يقذفه الثعبان قال وهل ما أنظف منه للعريان
الثعبان جمع ثعب وهو مسيل الوادي قال
أيمسح المتوضي أنثييه قال قد ندب إليه ولم يوجب عليه
الأنثيان الأذنان قال
أيستباح ما الضرير قال نعم ويجتنب ما البصير
الضرير حرف الوادي والبصير الكلب قال

أيحل الطوف في الربيع قال يكره ذلك للحدث الشنيع
الطوف الغائط والربيع النهر قال
أيجب الغسل على من أمنى قال لا ولو ثنى
أمنى نزل منى يقال منه أمنى ومنى قال
فهل يجب على الجنب غسل فروته قال أجل وغسل إبرته
الفروة جلدة الرأس والإبرة عظم المرفق قال
فإن أخل بغسل فأسه قال هو كما لو أخل بغسل رأسه
الفأس العظم المشرف على نقرة القفا قال
ما تقول فيمن تيمم ثم رأى روضا قال بطل تيممه فليتوضا
الروض هاهنا جمع روضة وهي الصبابة تبقى في الحوض قال
أيجوز أن يسجد الرجل على العذرة قال نعم ولتجانب القذرة
العذرة فنا الدار قال
فهل له السجود على الخلاف قال لا ولا على أحد الأطراف
الخلاف الكم قال
فإن سجد على شماله قال لا بأس بفعاله

الشمال جمع شملة قال

فهل يجوز السجود على الكراع قال نعم دون الذراع

الكراع ما استطال من الحرة قال

أيصلى على رأس الكلب قال نعم كسائر الهضب

رأس الكلب ثنية معروفة قال

ما تقول فيمن صلى وعانته بارزة قال صلاته جائزة

العانة الجماعة من حمر الوحش قال

فإن صلى وعليه صوم قال يعيد ولو صلى مائة يوم

الصوم ذرق النعام قال

فإن حمل جروا وصلى قال هو كما لو حمل باقلى

الجرو الصغار من القثاء والرمان قال

أتصح صلاة حامل القروة قال لا ولو صلى فوق المروة

القروة ميلغة الكلب قال

فإن قطر على ثوب المصلي نجو قال يمضي في صلاته ولا غرو

النجو السحاب الذي قد هراق ماءه قال

أيجوز أن يؤم الرجال مقنع قال نعم ويؤمهم مدرع

المقنع لابس المغفر والمدرع لابس الدرع قال

فإن أمهم من في يده وقف قال يعيدون ولو أنهم ألف

الوقف السوار من العاج والذبل وأراد أنه

لا يجوز للرجل الإيتمام بالنساء قال

فإن أمهم من فخذ بادية قال صلاته وصلاتهم ماضية

الفخذ العشيرة وبادية يسكنون البدو

واختار بعض أهل اللغة تسكين الخاء من هذه

الفخذ ليحصل الفرق بينها وبين الفخذ من الأعضاء قال

فإن أمهم الثور الأجم قال صل وخل لا كل ذم

الثور السيد والأجم الذي لا رمح معه قال

أيدخل القصر في صلاة الشاهد قال لا والغايب الشاهد

صلاة الشاهد صلاة المغرب سميت بذلك

لإقامتها عند طلوع النجم لأن النجم يسمى الشاهد قال

أيجوز للمعذور أن يفطر في شهر رمضان قال ما رخص فيه إلا للصبيان

المعذور المختون وهو أيضاً المعذّر قال

فهل للمعرّس أن يأكل فيه قال نعم بملء فيه

المعرّس المسافر الذي ينزل في آخر ليله ليستريح
ثم يرتحل قال

فإن أفطر فيه العُراة قال لا تُنكر عليهم الولاة

العُراة الذين تأخذهم العرواء وهي الحمّى برعدة قال

فإن أكل الصائم بعدما أصبح قال هو أحوط له وأصلح

أصبح أي استصبح بالمصباح قال

فإن عمد لأن أكل ليلاً قال ليتشمّر للقضاء ذيلاً

الليل ولد الحبارى وقيل هو ولد الكروان قال

فإن أكل قبل أن تتوارى البيضاء قال يلزمه وأبيه القضاء

البيضاء من أسماء الشمس قال

فإن استثار الصائم الكيد قال أفطر ومن أحلّ الصيد

الكيد القيء واستثاره أي استدعاه قال

فهل يُفطر بالحاج الطابخ قال نعم لا بطاهي المطابخ

يُحمى بمنع والخلا الكلأ قال

ما تقول في ميتة الكافر قال حلّ للمقيم والمسافر

الكافر البحر وميتته السمك الطافي فوق مائه قال

أيجوز أن يضحّي بالحول قال هو أجدر بالقبول

الحول جمع حائل قال

فهل يضحّى بالطالق قال نعم ويُقرى منها الطارق

الطالق الناقة تُرسل حيث شاءت قال

فإن ضحّى قبل ظهور الغزالة قال تلك شاة لحم بلا محالة

الغزالة الشمس وقال بعضهم يقال طلعت
الغزالة ولا يقال غربت قال

أيحلّ الكسب بالطرق قال هو كالقمار بلا فرق

الطرق الضرب بالحصا وهو من أفعال الكهنة قال

أيسلّم القائم على القاعد قال محظور فيما بين الأباعد

القاعد التي قعدت عن الحيض أو عن الأزواج قال

أينام العاقل تحت الرقيع قال أحبب به في البقيع

الرقيع السماء وعنى بالبقيع بقيع المدينة قال

أيمنع الذمي من قتل العجوز قال معارضته في العجوز لا تجوز

العجوز الخمر وقتلها مزجها قال

أيجوز أن ينقل الرجل عن عمارة أبيه قال ما جوز الحامل ولا نبيه

العمارة القبيلة قال

ما تقول في التهود قال هو مفتاح التزهد

التهود التوبة ومنه قوله تعالى إنا هدنا إليك قال

ما تقول في صبر البلية قال أعظم به من خطية

الصبر الحبس والبلية الناقة تحبس عند قبر

صاحبها فلا تسقى ولا تعلف إلى أن تموت

وكانت الجاهلية تزعم أن صاحبها يحشر عليها قال

أيحل ضرب السفير قال نعم والحمل على المستشير

السفير ما تساقط من ورق الشجر والمستشير الجمل

السمين وهو أيضا الجمل الذي يعرف اللاقح من الحائل قال

أيعزر الرجل أباه قال يفعله البر ولا يأباه

التعزير التعظيم والنصرة قال

ما تقول فيمن أفقر أخاه قال حبذا ما توخاه

أفقره أعاره ناقة يركب فقارها قال

فإن أعرى ولده قال يا حسن ما اعتمده

أعراه أعطاه ثمرة نخلة عاما قال

فإن أصلى مملوكه النار قال لا إثم عليه ولا عار

المملوك العجين الذي قد أجيد عجنه حتى قوي قال

أيجوز للمرأة أن تصرم بعلها قال ما حظر أحد فعلها

البعل النخل الذي يشرب بعروقه من الأرض قال

فهل تؤدب المرأة على الخجل قال أجل

الخجل سوء احتمال الغنى قال

ما تقول فيمن نحت أثلة أخيه قال أثم ولو أذن له فيه

نحت أثلته إذا اغتابه وقدح في عرضه قال

أيجبر الحاكم على صاحب الثور قال نعم ليأمن غائلة الجور

الثور المجنون قال

فهل له أن يضرب على يد اليتيم قال نعم إلى أن يستقيم
يقال ضرب على يد اليتيم إذا حجر عليه قال
فهل يجوز أن يتخذ له ربضا قال لا ولو كان له رضا
الربض الزوجة قال
فمتى يبيع بدن السفيه قال حين يرى له الحظ فيه
البدن الدرع القصيرة قال
فهل يجوز أن يبتاع له حشا قال نعم إذا لم يكن مغشى
الحش النخل المجتمع قال
أيجوز أن يكون الحاكم ظالما قال نعم إذا كان عالما
الظالم الذي يشرب اللبن قبل أن يروب ويخرج زبده قال
أيستقضى من ليست له بصيرة قال نعم إذا حسنت منه السيرة
البصيرة الترس هاهنا قال
فإن تعرى من العقل قال ذاك عنوان الفضل
العقل ضرب من الوشي قال
فإن كان له زهو جبار قال لا إنكار عليه ولا إكبار

الزهو البسر الملون والجبار النخل الذي
قد فات اليد وضده القاعد قال
أيجوز أن يكون الشاهد مريبا قال نعم إذا كان أريبا
المريب الذي يكثر عنده اللبن الرائب قال
فإن بان أنه لاط قال هو كما لو حاط
لاط الحوض إذا طينه قال
فإن عثر على أنه غربل قال ترد شهادته ولا تقبل
غربل أي قتل ومنه قول الراجز
ترى الملوك حوله مغربله أي قتلى قال
فإن وضح أنه مائن قال هو وصف له زائن
المائن الذي يعول ويكفي المؤونة من مان يمون قال
ما يجب على عابد الحق قال يحلف بالله الخالق
العابد هاهنا الجاحد والحق هاهنا الدين قال
ما تقول فيمن فقأ عين بلبل عامدا قال تفقأ عينه قولا واحدا
البلبل الرجل الخفيف قال

فإن جرح قطاة امرأة فماتت قال النفس بالنفس إذا فاتت

القطاة ما بين الوركين قال

فإن ألقت الحامل حشيشا من ضربه قال ليكفر بالإعتاق عن ذنبه

الحشيش الجنين الملقى ميتا قال

ما يجب على المختفي في الشرع قال القطع لإقامة الردع

المختفي نباش القبور قال

فما يصنع بمن سرق أساود الدار قال يقطع إن ساوين ربع دينار

الأساود الآلات المستعملة كالإجانة والقدر

والجفنة قال ٥

فإن سرق ثمينا من ذهب قال لا قطع كما لو غصب

الثمين الثمن كما يقال في النصف نصيف

وفي السدس سديس قال ٥

فإن بان على المرأة السرق قال لا حرج عليها ولا فرق

السرق الحرير الأبيض قال

أينعقد نكاح لم يشهده القوارير قال لا والخالق الباري

القوارير الشهود لأنهم يقرون الأشياء أي يتتبعونها قال

ما تقول في عروس باتت بليلة حرة ثم ردت على حافرتها بسحرة

قال

يجب لها نصف الصداق ولا تلزمها عدة الطلاق

يقال باتت العروس بليلة حرة إذا امتنعت على زوجها

فإن اقتضها قيل باتت بليلة شيباء والرد في الحافرة

يعني الرجوع في الطريق وكني به عن طلاقها وردها إلى أهلها

فقال له السائل لله درك من بحر لا يغضغضه الماتح وحبر لا يبلغ

مدحه المادح ثم أطرق إطراق الحيي وأزم إزمام العيي فقال له أبو زيد

إيه يا فتى فإلى متى وإلى متى فقال إنه لم يبق في كنانتي مرماة ولا بعد إشراق

صبحك مماراة فبالله أي ابن أرض أنت فما أحسن ما أبنت فأنشد بلسان ذلق وصوت صهصلق ٥

أنا في العالم مثله ولأهل العلم قبله

غير أني كل يوم بين تعريس ورحله

والغريب الدار لو حل بطوى لم تطب له

ثم قال اللهم كما جعلتنا ممن هدي ويهدي فاجعلنا ممن يهتدي ويهدي

فساق إليه القوم ذودا مع قينة وسألوه أن يزورهم الفينة بعد الفينة
فنهض يمينهم العود ويزجي الأمة والذود   قال الحرث بن همام فاعترضته
وقلت عهدي بك سفيها فمتى صرت فقيها فظل هنيهة ثم أنشأ يقول ٥

لبست لكل زمان لبوسا ولابست صرفيه نعمى وبوسا
وعاشرت كل جليس بما يلائمه لأروق الجليسا
فعند الرواة أدير الكلام وبين السقاة أدير الكؤوسا
وطورا بوعظي أسيل الدموع وطورا بلهوي أسر النفوسا
وأقري المسامع إما نطقت بيانا يقود الحرون الشموسا
وإن شئت أرعف كفي اليراع فساقط درا يحلي الطروسا
وكم مشكلات حكين السهى خفا فصرن بكشفي شموسا
وكم ملح لي خلبن العقول وأسأرن في كل قلب رسيسا
وعذرا فهت بها فانثنى عليها الثنا طليقا حبيسا
على أنني من زماني خصصت بكيد ولا كيد فرعون موسى
يسعر لي كل يوم وغى أطا من لظاها وطيسا وطيسا
ويطرقني بالخطوب التي يذبن القوي ويشبن الرؤوسا

ويدني إلي البعيد البغيض ويبعد عني القريب الأنيسا
ولولا خساسة أخلاقه لما كان حظي منه خسيسا

فقلت له خفض الأحزان ولا تلم الزمان واشكر لمن نقلك عن مذهب إبليس إلى مذهب ابن إدريس فقال دع الهذيان ولا تهتك الأستار وانهض بنا لنضرب إلى مسجد يثرب فعسى أن نرحض بالمزار درن الأوزار فقلت هيهات أن أسير أو أفقه التفسير فقال تالله لقد أوجبت ذمما وطلبت إذ طلبت أمما فهاك ما يشفي النفس وينفي اللبس فلما أوضح لي المعمى وكشف عني الغمى شددنا الأكوار وسرت وسار ولم أزل من مسامرته مدة مسايرته فيما أنساني طعم المشقة ووددت معه بعد الشقة حتى إذا دخلنا مدينة الرسول وفزنا من الزيارة بالسول أشأم وأعرقت وغرب وشرقت ٥

المقامة الثالثة والثلاثون

أخبر الحرث بن همام قال عاهدت الله تعالى مذ يفعت ألا أوخر الصلاة ما استطعت فكنت مع جوب الفلوات ولهو الخلوات أراعي أوقات الصلوات وأحاذر من مأثم الفوات وإذا رافقت في رحلة أو حللت بمصر أو حلة

مَنْ جِئْتُ بِصَوْتِ الدَّاعِي إِلَيْهَا وَاقْتَدَيْتُ بِمَنْ يُحَافِظُ عَلَيْهَا فَاتَّفَقَ حِينَ دَخَلْتُ
تَفْلِيسَ أَنْ صَلَّيْتُ مَعَ عُصْبَةٍ مَفَالِيسَ فَلَمَّا قَضَيْنَا الصَّلَاةَ وَأَزْمَعْنَا الِانْفِلَاتَ
بَرَزَ شَيْخٌ بَادِي اللَّقْوَةِ بَالِي الْكِسْوَةِ وَالْقُوَّةِ فَقَالَ عَزَمْتُ عَلَى مَنْ خُلِقَ مِنْ طِينَةِ
الْحُرِّيَّةِ وَتَفَوَّقَ دَرَّ الْعَصَبِيَّةِ إِلَّا مَا تَكَلَّفَ لِي لُبْثَةً وَاسْتَمَعَ مِنِّي نَفْثَةً ثُمَّ لَهُ
الْخِيَارُ مِنْ بَعْدُ وَبِيَدِهِ الْبَذْلُ وَالرَّدُّ فَعَقَدَ لَهُ الْقَوْمُ الْحُبَا وَسَكَنُوا
أَمْثَالَ الرُّبَا فَلَمَّا آنَسَ حُسْنَ إِنْصَاتِهِمْ وَرَزَانَةَ حَصَاتِهِمْ قَالَ يَا أُولِي الْأَبْصَارِ
الرَّامِقَةِ وَالْبَصَائِرِ الرَّائِقَةِ أَمَا يُغْنِي عَنِ الْخَبَرِ الْعِيَانُ وَيُنْبِي عَنِ النَّارِ الدُّخَانُ
دَاءٌ وَاضِحٌ وَشَيْبٌ لَائِحٌ وَفَقْرٌ بَائِحٌ وَوَهْنٌ فَادِحٌ وَالْبَاطِنُ فَاضِحٌ وَلَقَدْ
كُنْتُ وَاللهِ مِمَّنْ مَلَكَ وَمَالَ وَوَلِيَ وَآلَ وَرَفَدَ وَنَالَ وَوَصَلَ وَصَالَ
فَلَمْ تَزَلِ الْجَوَائِحُ تَسْحَتُ وَالنَّوَائِبُ تَنْحَتُ حَتَّى الْكَفُّ صِفْرٌ وَالْوَكْرُ قَفْرٌ وَالشِّعَارُ
ضُرٌّ وَطَعْمُ الْعَيْشِ مُرٌّ وَالصِّبْيَةُ يَتَضَاغَوْنَ مِنَ الطَّوَى وَيَتَمَنَّوْنَ مُصَاصَةَ النَّوَى
وَلَمْ أَقُمْ هَذَا الْمَقَامَ الشَّائِنَ وَأَكْشِفْ لَكُمُ الدَّفَائِنَ إِلَّا بَعْدَمَا شَقِيتُ وَلَقِيتُ وَشِبْتُ
مِمَّا لَقِيتُ فَلَيْتَنِي لَمْ أَكُنْ بَقِيتُ ثُمَّ تَأَوَّهَ تَأَوُّهَ الْأَسِيفِ وَأَنْشَدَ بِصَوْتٍ ضَعِيفٍ ٥
أَشْكُو إِلَى الرَّحْمَنِ سُبْحَانَهُ تَقَلُّبَ الدَّهْرِ وَعُدْوَا نَهُ
وَحَادِثَاتٍ قَرَعَتْ مَرْوَتِي وَقَوَّضَتْ مَجْدِي وَبُنْيَا نَهُ

وَاهْتَصَرَتْ عُودِي وَيَا وَيْلَ مَنْ تَهْتَصِرُ الْأَحْدَاثُ أَغْصَا نَهُ — نسخة: عيدانه
وَأَمْحَلَتْ رَبْعِي حَتَّى خَلَتْ مِنْ رَبْعِي الْمُمْحِلِ جِرْذَا نَهُ
وَغَادَرَتْنِي حَائِرًا بَائِرًا أُكَابِدُ الْفَقْرَ وَأَشْجَا نَهُ
مِنْ بَعْدِ مَا كُنْتُ أَخَا ثَرْوَةٍ يَسْحَبُ فِي النِّعْمَةِ أَرْدَا نَهُ
تَخْبِطُ الْعَافُونَ أَوْرَاقَهُ وَيَحْمَدُ السَّارُونَ نِيرَا نَهُ
فَأَصْبَحَ الْيَوْمَ كَأَنْ لَمْ يَكُنْ أَعَانَهُ الدَّهْرُ الَّذِي عَا نَهُ
وَازْوَرَّ مَنْ كَانَ لَهُ زَائِرًا وَعَافَ عَافِي الْعُرْفِ عِرْفَا نَهُ
فَهَلْ فَتًى يَحْزُنُهُ مَا يَرَى مِنْ ضُرِّ شَيْخٍ دَهْرُهُ خَا نَهُ
فَيُفَرِّجَ الْهَمَّ الَّذِي هَمَّهُ وَيُصْلِحَ الشَّأْنَ الَّذِي شَا نَهُ

قَالَ الرَّاوِي فَصَبَتِ الْجَمَاعَةُ إِلَى أَنْ تَسْتَنْبِئَهُ لِتَسْتَنْجِزَ خَبَاءَتَهُ وَتَسْتَشِفَّ
حَقِيبَتَهُ فَقَالَتْ لَهُ قَدْ عَرَفْنَا قَدْرَ زِنَتِكَ وَرَأَيْنَا دَرَّ مُزْنَتِكَ فَأَدِّ وَجْهَ
شُعْبَتِكَ وَأَخْبِرِ اللِّئَامَ عَنْ نِسْبَتِكَ فَأَعْرَضَ إِعْرَاضَ مَنْ مُنِيَ بِالْإِعْنَاتِ
أَوْ بُشِّرَ بِالْبَنَاتِ وَجَعَلَ يَلْعَنُ الضَّرُورَاتِ وَيَتَأَفَّفُ مِنْ تَنْغِيصِ الْمُرُوءَاتِ ثُمَّ أَنْشَدَ
بِلَفْظٍ صَادِعٍ وَجَرْسٍ خَادِعٍ ٥
لَعَمْرُكَ مَا كُلُّ فَرْعٍ يَدُلُّ جَنَاهُ اللَّذِيذُ عَلَى أَصْلِهِ

فكل ما حلا حين تؤتى به ولا تسل الشهد عن نحله
ومين إذا ما اعتصرت الكروم سلافة عصرك من خله
لتغلي وترخص عن خبرة وتشري كلا شري مثله
فعار على الفطن اللوذعي دخول الغبين في عقله

قال فازدهى القوم بذكائه ودهائه وخلبهم بحسن أدائه مع دائه ودعاهم الافتتان بأدبه والامتعاض له مما نزل به إلى أن آثروه بخبايا الخبن وخفايا الثبن وقالوا له يا هذا إنك حمت على ركية بكية وتعرضت لحلية خلية فخذ هذه الصبابة وهبها لا خطأ ولا إصابة فنزل قبلهم منزلة الكثر ووصل قبوله بالشكر ثم تولى يجر شقه وينهب بالخبط طرقه قال المخبر بهذه الحكاية فصور لي أنه محيل الحلية متصنع في مشيته فنهضت أنهج منهاجه وأقفوا أدراجه وهو يلحظني شزرا ويوسعني هجرا حتى إذا خلا الطريق وأمكن التحقيق نظر إلي نظر من هش وبش وماحض بعد ما غش وقال إني لأخالك أخا غربة وزائد صحبة فهل لك في رفيق يرفق بك ويرق وينفق عليك وينفق فقلت له لو أتاني هذا الرفيق لواتاني التوفيق فقال لي قد وجدت فاغتبط واستكرمت فارتبط ثم ضحك مليا

وتمثل لي بشرا سويا فإذا هو شيخنا السروجي لا قلبة بجسمه ولا شبهة في وسمه ففرحت بلقيته وكذب لقوته وهممت بملامته على سوء مقامته فشحا فاه وأنشد قبل أن ألحاه ٥

ظهرت برث لكيما يقال فقير يزجي الزمان المزجى
وأظهرت للناس أن قد فلجت وكم نال قلبي به ما ترجى
فلولا الرثاثة لم يرث لي ولولا التفالج لم ألق فلجا

ثم قال إنه لم يبق لي بهذه الأرض مرتع ولا في أهلها مطمع فإن كنت الرفيق فالطريق الطريق فسرنا منها متجردين وترافقنا عامين أجردين وكنت على أن أصحبه ما عشت فأبى الدهر المشت ٥

المقامة الرابعة والثلثون

حكى الحارث بن همام قال لما جبت البيد إلى زبيد صحبني غلام كنت ربيته إلى أن بلغ أشده وثقفته حتى أكمل رشده وكان أنس بأخلاقي وخبر مجالب وفاقي فلم يكن يتخطى مرامي ولا يخطئ في المرامي لا جرم أن قربه الناطق بصفري وأخلصته لحضري وسفري فألوى به الدهر المبيد حين ضمنا زبيد

فلما شالت نعامته وشكت نأمته بقيت عاما لا أسيغ طعاما ولا أريغ غلاما حتى ألجأتني شوائب الوحدة ومتاعب القومة والقعدة إلى أن أعتاض عن الذهب الأحمر وأرتاد من هو سداد من عوز فقصدت من يبيع العبيد بسوق زبيد وقلت أريد عبدا يعجب إذا قلب ويحمد إذا جرب وليكن ممن خرجه الأكياس وأخرجه إلى السوق الإفلاس فاهتز كل منهم لمطلبي ووثب وبذل تحصيله عن كثب ثم دارت الأهلة دورها وتقلبت كورها وحورها وما نجز من وعودهم وعد ولا نجح لما رعد فلما رأيت النخاسين ناسين أو متناسين علمت أن ليس كل من خلق يفري وأن لن يحك جلدي مثل ظفري فرفضت مذهب التفويض وبرزت إلى السوق بالصفر والبيض فبينما أنا أستعرض الغلمان وأستعرف الأثمان إذ عارضني رجل قد اختطم بلثام وقبض على يد غلام وقال

أتشتري مني غلاما صنعا ... في خلقه وخلقه قد برعا

بكل ما نطت به مضطلعا ... يشفيك إن قال وإن قلت وعى

وإن تصبه عثرة هلل لعا ... وإن تسمه السعي في النار سعى

وإن تصاحبه ولو يوما رعى ... وإن تقنعه بظلف قنعا

وهو على الكيس الذي قد جمعا ... ما فاه قط كاذبا ولا ادعى

ولا أجاب مطمعا حين دعا ... ولا استجاز نث سر أودعا

وطالما أبدع فيما صنعا ... وفاق في النظم وفي النثر معا

والله لولا ضنك عيش صدعا ... وصبية أضحوا عراة جوعا

ما بعته بملك كسرى أجمعا

قال فلما تأملت خلقه القويم وحسنه الصميم خلته من ولدان جنة النعيم وقلت ما هذا بشرا إن هذا إلا ملك كريم ثم استنطقته عن اسمه لا لرغبة في علمه بل لأنظر أين فصاحته من صباحته وكيف لهجته من بهجته فلم ينطق بحلوة ولا مرة ولا فاه فوهة ابن أمة ولا حرة فضربت عنه صفحا وقلت قبحا لعيك وشقحا فغار في الضحك وأنجد ثم أنغض رأسه إلي وأنشد

يا من تلهب غيظه أن لم أبح باسمي له ... ما هكذا من ينصف

إن كان لا يرضيك إلا كشفه ... فاصخ له أنا يوسف أنا يوسف

ولقد كشفت لك الغطا فإن تكن ... فطنا عرفت وما أخالك تعرف

قال فسر أعنتي بشعره واستبى لبي بسحره حتى شدهت عن التحقيق وأنسيت قصة يوسف الصديق ولم يكن لي هم إلا مساومة مولاه فيه واستطلاع طلع الثمن لأوفيه وكنت أحسب أنه سينظر شزرا إلي ويغلي السيمة على

فما حلق إلى حيث حلقت ولا اعتلق بما به اعتلقت بل قال إن العبد إذا زرّ
ثمنه وخفت مؤنته تبرّك به مولاه والتحف عليه هواه وإني لأوثر تجنيب
هذا الغلام إليك بأن أخفف ثمنه عليك فزن مائتي درهم إن شئت واشكر لي
ما حييت فنقدته المبلغ في الحال كما ينقد في الرخيص الحلال ولم تخطر
لي ببال أن كل مرخص غال فلما تحققت الصفقة وحقت الفرقة هملت عينا
الغلام ولا همول دمع الغمام ثم أقبل على صاحبه وقال ٥

لحاك الله هل مثلي يباع لكيما تشبع الكرش الجياع
وهل في شرعة الإنصاف أني أكلف خطة لا تستطاع
وأن أبلى بروع بعد روع ومثلي حين يبلى لا يراع
أما جربتني فخبرت مني نصائح لم يمازجها خداع
وكم أرصدتني شركا لصيد فرحت وفي حبائلي السباع
ونطت بي المصاعب فاستقادت مطاوعة وكان بها امتناع
وأي كريهة لم أبل فيها وغنم لم يكن لي فيه باع
وما أبدت لي الأيام جرما فيكشف في مصادمتي القناع
ولم تعثر بحمد الله مني على عيب يكتم أو يذاع

فأنى ساغ عندك نبذ عهدي كما نبذت بزاريها الصناع
ولم سمحت قرونك باتهامي وأن أشرى كما يشرى المتاع
وهلا صنت عرضي عنه صوني حديثك يوم جد بنا الوداع
وقلت لمن يساوم في هذا سكاب فما يعار ولا يباع
فما أنا دون ذاك الطرف لكن طباعك فوقها تلك الطباع
على أني سأنشد عند بيعي أضاعوني وأي فتى أضاعوا

قال فلما وعى الشيخ أبياته وعقل مناغاته تنفس الصعداء وبكى حتى أبكى البعداء
ثم قال إني أحل هذا الغلام محل ولدي ولا أميزه عن أفلاذ كبدي ولولا خلو
مراحي وخبو مصباحي لما درج عن عشي إلى أن يشيع نعشي وقد رأيت ما نزل
به من لوعة البين والمؤمن هين لين فهل لك في تسلية قلبه وتسرية كربه
بأن تعاهدني على الإقالة فيه متى استقلت وألا تستثقلني إذا استثقلت ففي الآثار
المنتقاة المدونة عن الثقات من أقال نادما بيعته أقال الله عثرته ٭
قال الحرث بن همام فوعدته وعدا أبرزه الحياء وفي القلب أشياء
فاستدنى حينئذ الغلام إليه وقبل ما بين عينيه وأنشد والدمع يرفض من جفنيه
خفض فديتك النفس ما تلاقي من برحاء الوجد والإشفاق

فما تطول مدة الفراق ... ولا تني ركائب التلاقي

بحسن عون القادر الخلاق

ثم قال له استودعك من هو نعم المولى وشمر ذيله وولى فلبث الغلام في زفير وعويل ريثما يقطع مدى ميل فلما استفاق وكفكف دمعه المهراق قال أتدري لم أعولت وعلام عولت قلت أظن فراق مولاك هو الذي أبكاك فقال إنك لفي واد وأنا في واد ولكم بين مريد ومراد ثم أنشده

لم أبك والله على إلف نزح ... ولا على فوت نعيم وفرح

وإنما مدمع أجفاني سفح ... على غبي لحظه حين طمح

ورطه حتى تعنى وافتضح ... وضيع المنفوسة البيض الوضح

ويك أما ناجتك هاتيك الملح ... بأنني حر وسعي لم يبح

إذ كان في يوسف معنى قد وضح

قال فتمثلت مقالته في مرآة المداعب ومعرض الملاعب فتصلب تصلب المحق وتبرأ من طينة الرق فجعلنا في مخاصمة اتصلت بملاكمة وأفضت إلى محاكمة فلما أوضحنا للقاضي الصورة وتلونا عليه السورة قال ألا إن من أنذر فقد أعذر ومن حذر كمن بشر ومن بصر فما قصر وإن فيما شرحتما لدليلا على

أن هذا الغلام قد نبهك فما أغويت ونصح لك فما وعيت فاسترد أبلهك واكتمه ولم نفسك ولا تلمه وحذار من عبث لاحقه والطمع في استرقاقه فإنه حر الأديم غير معرض للتقويم وقد كان أبوه أحضره أمس قبل أفول الشمس واعترف بأنه فرعه الذي أنشاه وأن لا وارث له سواه فقلت للقاضي أوتعرف أباه أخزاه الله فقال وهل يجهل أبو زيد الذي جرحه جبار وعند كل قاض له إخبار وأخبار قال فتحرقت حينئذ وحوقلت وأفقت ولكن حين فات الوقت وأيقنت أن لئامه كان شرك مكيدته وبيت قصيدته فنكس طرفي ما لقيت وآليت ألا أعامل ملثما ما بقيت ولم أزل أتأوه الخسر صفقتي وافتضاحي بين رفقتي فقال لي القاضي حين رأى امتعاضي وجمرة ارتماضي يا هذا ما ذهب من مالك ما وعظك ولا أجرم إليك من أيقظك فاتعظ بما نابك وكاتم أصحابك ما أصابك وتذكر أبدا ما دهمك لتتقي الذكر دراهمك وتخلق بخلق من ابتلي فصبر وتجلت له العبر فاعتبر فودعته لابسا ثوب الخجل والحزن ساحبا ذيلي الغبن والغبن ونويت مكاشفة أبي زيد بالهجر ومصارمته يد الدهر فجعلت أتنكب عن ذراه وأتجنب أن أراه حتى غشيني في طريق ضيق فحياني تحية شيق فما زدت على أن عبست وما بست

فقال ما بالك شامخا بأنفك على إلفك فقلت أنسيت أنك لحلته وحلت
وفعلت فعلتك التي فعلت فاضطرب منها زمانا ثم أنشد متلافيا ٥

يا من بدا منه صدود موحش وتجهم — وغدا يريش ملاوما من دونهن الأسهم
ويقول هل حر يباع كما يباع الأدهم — أقصر فما أنا فيه بدعا مثل ما تتوهم
قد باعت الأسباط قبلي يوسفا وهم هم — هذا وأقسم بالتي يسعى إليها المتهم
والطائفين بها وهم شعث النواصي سهم — ما قمت ذاك الموقف المخزي وعندي درهم
فاعذر أخاك وكف عنه ملام من لا يفهم

ثم قال أما معاذيري فقد لاحت وأما دراهمك فقد طاحت فإن كان
اقشعر إزلك مني وازورارك عني لفرط شفقتك على غبر نفقتك فلست ممن
يلسع من تين ولا يوطى على جمر تين وإن كنت طويت كشحك وأطعت شحك ليستنقذ
ما علق بأشراكي فلتبك على عقلك البواكي ؛ قال الحرث بن همام فاضطرني
بلفظه الخالب وسحره الغالب إلى أن عدت له صفيا وبه حفيا ونبذت فعلته
ظهريا وإن كانت شيئا فريا ٥

المقامة الخامسة والثلثون

روى الحرث بن همام قال مررت في تطوافي بشيراز على ناد يستوقف المجتاز
ولو كان على أوفاز فلم أستطع تعديه ولا خطت قدمي في تخطيه فعجت إليه
لأسبر كنه جوهره وأنظر ثمره من زهره فإذا أهله أفراد والعليج إليهم
مفاد وبينما نحن في فكاهة أطرب من الأغاريد وأطيب من حلب العناقيد
إذ احتف بنا ذو طمرين قد كاد يناهز العمرين فحيا بلسان طليق وأبان
إبانة منطيق ثم احتبى حبوة المتأدبين وقال اجعلنا اللهم من المهتدين فازدراه
القوم لطمريه ونسوا أن المرء بأصغريه وأخذوا يتداعون فضل الخطاب
ويتعدون عوده من الأحطاب وهو لا يفيض بكلمة ولا يبين عن سمة إلى أن
سبر قرائحهم وخبر شائلهم ورائحهم فحين استخرج دفائنهم واستنثل
كنائنهم قال يا قوم لو علمتم أن وراء الفدام صفو المدام لما احتقرتم ذا أخلاق
وقلتم ما له من خلاق ثم فجر من ينابيع الأدب والنكت النخب ما جلب بدائع
العجب واستوجب أن يكتب بذوب الذهب فلما خلب كل خلب وقلب إليه كل
قلب تحلحل ليرحل وتأهب ليذهب فعلقت الجماعة بذيله وعاقت مسرب سيله
وقالت له قد أنبتنا وسم قبحك فخبرنا عن قبضك ومحلك فصمت صموت من
أفحم ثم أعول حتى نحم قال الراوي فلما رأيت شوب أبي زيد ونوبه
وأسلوبه المألوف وصوبه تأملت الشيخ على سهومة محياه وسهوكة رياه فإذا

هو إياه فكتمت سره كما يكتم البناء الدخيل وسترت مكره وإن لم يكن بخيل
حتى إذا نزع عن إعواله وقد عرف عثوري على حاله رمقني بعين مضحاك وأنشد ببيان مبين

أستغفر الله وأعنو له من فرطات أثقلت ظهريه
يا قوم كم من عاتق عانس ممدوحة الأوصاف في الأنديه
قتلتها لا أتقي وارثا يطلب مني قودا أو ديه
وكلما استدنيت في قتلها أحلت بالذنب على الأقضيه
ولم تزل نفسي في غيها وقتلها الأبكار مستشريه
حتى نهاني الشيب لما بدا في مفرقي عن تلكم المعصيه
فلم أرق مذ شاب فودي دما من عاتق يوما ولا مصبيه
وها أنا اليوم على ما ترى مني ومن حرفتي المكديه
أرب بكر طال تعنيسها وحجبها حتى عن الأهويه
وهي على التعنيس مخطوبة كخطبة الغانية المغنيه
وليس يكفيني لتجهيزها على الرضا بالدون إلا ميه
واليد لا تلوى على درهم والأرض قفر والسما مصحيه
فهل معين لي على نقلها مصحوبة بالقينة الملهيه

فيغسل الهم بصابونه والقلب من أفكاره المضنيه
ويقتني مني الثنا الذي تضوع رياه مع الأدعيه

قال فلم يبق في الجماعة إلا من نديت له كفه وانباع إليه عرفه فلما انجحت بغيته
وكملت مائته أخذ يثني عليهم بصالح ويشمر عن ساق سارح فتبعته لأستعرف
زنة خلته ومن قتل في حدثان أمره فكأن وشك قيامي مثل له مرامي فازدلف
مني وقال افقه عني

قتل مثلي يا صاح مزج المدام ليس قتلي بلهذم أو حسام
والتي عنست هي البكر بنت الكرم لا البكر من بنات الكرام
ولتجهيزها إلى الكاس والطاس قيامي الذي ترى ومقامي
فتفهم ما قلته وتحكم في التغاضي إن شئت أو في الملام

ثم قال أنا عن بعيد وأنت زعريد وبيننا بون بعيد ثم ودعني وانطلق وزودني نظرة من ذي علق

المقامة السادسة الثلثون

أخبر الحرث بن همام قال أنخت بملطية مطية البين وحقيبتي ملء من
العين فجعلت هجيراي مذ ألقيت بها عصاي أن أتورد موارد المرح وأتصيد

شوارد الملح فلم يعجبني بها منظر ولا مسمع ولا خلا لي منها ملعب ولا مرتع حتى إذا
لم يبق لي فيها مأرب ولا في الثواء بها مرغب عمدت لإنفاق الذهب في ابتياع
الأهب فلما أكملت الإعداد وتأهبت الظعن منها أو كاد رأيت بها تسعة رهط
قد تناسبوا فتوة وأدبا وأبوة ودماثتهم قيد الألحاظ وفكاهتهم حلوة
الألفاظ فنحوتهم طلبا لمنادمتهم لا للمدامتهم وشغفا بممازحتهم لا
بزجاجتهم فلما انتظمت عاشرهم وأضحيت معاشرهم ألفيتهم أبناء علات
وقذائف فلوات إلا أن لحمة الأدب قد ألفت شملهم ألفة النسب وساوت
بينهم في الرتب حتى لاحوا مثل كواكب الجوزاء وكالجملة المتناسبة الأجزاء
فأبهجني الاهتداء إليهم وأحمدت الطالع الذي أطلعني عليهم وطفقت أفيض
بقدحي مع قداحهم وأستشفي برياحهم لا براحهم حتى أدتنا شجون المفاوضة
إلى التحاجي بالمقايضة كقولك إذا عنيت به الكرامات ما مثل النوم فات
فأنشأنا نجلو السهى والقمر ونجني الشوك والثمر وبينا نحن ننشر القشيب
والرث وننثل السمين والغث طلع علينا شيخ قد ذهب حبره وسبره وبقي
خبره وسبره فمثل مثول من يسمع وينظر ويلتقط ما ننثر إلى أن نفضت
الأكياس وحصحص الياس فلما رأى إجبال القرائح وإكداء المائح والماتح

١١٤

جمع أذياله وولانا قذاله وقال ما كل سوداء تمرة ولا كل صهباء خمرة فاعتلقنا
به اعتلاق الحرباء بالأعواد وضربنا دون وجهته بالأسداد وقلنا له إن جوا
الشق أن يحاص وإلا فالقصاص القصاص فلا تطمع في أن تخرج وتنهز الفتق
وتبرج فلوى عنانه راجعا ثم جثم بمكانه راصعا وقال أما إذ استثرتموني
بالبحث فسأحكم حكم سليمان في الحرث اعلموا يا ذوي الشمائل الأدبية
والشمول الذهبية أن وضع الأحاجي لامتحان الألمعية واستخراج الخبيئة الخفية
وشرطها أن تكون ذات مماثلة حقيقية وألفاظ معنوية ولطيفة أدبية فمتى نافت
هذا النمط ضاهت السقط ولم تدخل السفط ولم أركم حافظتم على هذه الحدود
ولا ميزتم بين المقبول والمردود فقلنا له صدقت فكل لنا من لبابك وأفض علينا
من عبابك فقال أفعل لئلا يرتاب المبطلون ويظنوا بي الظنون ثم قابل ناظورة القوم وقال ٥

يا من سما بذكاء في الفضل وأري الزناد
ماذا يماثل قولي جوع أمد براد

ثم ضحك إلى الثاني وأنشد

يا ذا الذي فاق فضلا ولم يدنسه شين
ما مثل قول المحاجي ظهر أصابته عين

ثم لحظ الثالث وأنشا يقول :

يا من تبلج فكره مثل النقود الجايزه

ما مثل قولك للذي حاجيت صادف جايزه

ثم أتلع ليتي الرابع وقال :

أيا مستنبط الغامض من لغز وإضمار

ألا اكشف لي ما مثل تناول ألف دينار

ثم رمى الخامس بصره وأنشد :

يا أيها ذا الألمعي أخو الذكاء المنجلي

ما مثل أهمل حليه بين هديت وعجل

ثم التفت لفت السادس وقال :

يا من تقصر عن مداه خطا مجاريه وتضعف

ما مثل قولك للذي أضحى يحاجيك اكفف اكفف

ثم خلج السابع بحاجبه وأنشد :

يا من له فطنة تجلت ورتبة في الذكا جلت

بين فما زلت ذا بيان ما مثل قولي الشقيق أفلت

ثم استنصت الثامن وأنشده :

يا من حدايق فضله مطلولة الأزهار غضه

ما مثل قولك للمحاجي ذي الحجى ما اختار فضه

ثم حدج التاسع ببصره وقال :

يا من يشار إليه في القلب الذكي وفي البراعه

أوضح لنا ما مثل قولك للمحاجي دس جماعه

قال الراوي فلما انتهى إلى غمز زندتي وأنشا يقول :

يا من له النكت التي يشجي الخصوم بها وينكت

أنت المبين فقل لنا ما مثل قولك خال اسكت

ثم قال قد أنهلتكم وأمهلتكم وإن شئتم أن أعلكم عللتكم قال فألجانا لهب الغلل إلى استسقاء العلل فقال لست كمن يستاثر على نديمه ولا ممن يسمنه في أديمه ثم كر على الأول وأنشده

يا من إذا أشكل المعمى جلته أفكاره الدقيقه

إن قال يوما لك المحاجي خذ تلك ما مثله حقيقه

ثم ثنى جيده إلى الثاني وقال :

يا من بدا بيانه عن فضله مبيّنا مجليا

ماذا مثال قولهم حمارُ وحشٍ زيّنا حُليا

ثمّ أوحى الى الثالث بلحظه وقال :.

يا من غدا في فضله وذكائه كالأصمعي

ما مثل قولك للذي حاجيت أنفق تقمع

ثمّ حملق الى الرابع وقال :.

يا من اذا ما عويص حجا أنار ظلامه

ماذا يماثل قولي استنشِ ريح مدامه

ثمّ أومض الى الخامس وقال :.

يا من تنزّه فهمه عن أن يُروّي أو يشكّا

ما مثل قولك للذي أضحى يحاجي غطّ هلكى

ثمّ أقبل قبل السادس وأنشد :.

يا أخا الفطنة التي بان فيها كماله

سار بالليل مدّة أيّ شيء مثاله

ثمّ نحا بصره الى السابع وقال :.

يا من تحلّى بفهم أقام في الناس سوقه

لك البيان فبيّن ما مثل الخبّ فروقه

ثمّ قصد قصد الثامن وأنشد :.

يا من تبوّأ ذروة في الفضل فاقت كلّ ذروه

ما مثل قولك أعط ابريقًا بلوح بغير عروه

ثمّ ابتسم الى التاسع وقال :.

يا من حوى حسن الدرابة والبيان بغير شكّ

ما مثل قولك للمحاجي ذي الذكاء النور ملكي

ثمّ قبض بجمعه على زندي وقال :.

يا من سما بثقوب فطنته في المشكلات ونور كوكبه

ماذا مثال صغير جحفلة بيننه تبيانا نم بجه

قال الحرث بن همّام فلمّا أطربنا بما سمعناه وطالبنا بكشف معناه قلنا له لسنا من خيل هذا الميدان ولا لنا بحلّ هذه العقد يدان فان أنت مننت وان كتمت غممت فظلّ يشاور نفسه ويقلّب قدحه حتّى هان بذل الماعون عليه فأقبل حينئذ على الجماعة وقال سأعلمكم ما لم تكونوا تعلمون ولا ظننتم أنّكم تعلمون فأوكوا عليه الأوعية وروضوا

بِهِ الأندية ثم أخذ في تفسيرٍ صقل به الأذهان واستفرغ معه الأردان
حتى أضحت الأفهام أنور من الشمس والأكمام كأن لم تغن بالأمس ولما
هم بالمفر سيل عن المقر فتنفس كما تتنفس الثكول ثم أنشأ يقول ٥

كل شعب لي شعب وبه ربعي رحب   غير أني بسروج مستهام القلب صب
هي أرضي البكر والجو الذي منه المهب   وإلى ربعها الغناء دون الروض أصبو
ما حلا لي بعدها حلو ولا اعذوذب عذب

قال الراوي فقلت لأصحابي هذا أبو زيد السروجي الذي أذنا ملح الأحاجي
وجعلت أصف لهم حسن توشيته وانقياد الكلام لمشيئته ثم التفت فإذا به
قد طمر ونأى بما قمر فعجبنا مما صنع ولم ندر أين سكع وصقع ٥

تفسير الأحاجي المودعة هذه المقامة

أما جوع أمد بزاد فمثله طوامير وأما ظهر أصابته عين
فمثله مطاعين وأما صادف جائزة فمثله الفاصلة وأما
تناول ألف دينار فمثله هادية وأما أهمل حلية فمثله
الغاشية وأما اكفف اكفف فمثله مه مه وأما
مهمه

الشقيق أفلت فمثله الأخطار وأما ما الختان فضة فمثله أبارقة
لأن الرقة من أسماء الفضة وقد نطق بها النبي صلى الله عليه وسلم فقال
في الرقة ربع العشر وأما دين جماعة فمثله طائفة وأما
خالي اسكت فمثله خالصه لأنك وأما خذ تلك فمثله هاتيك
وأما حمار وحش بنا فمثله فرازين لأن الفرا حمار الوحش ومنه الخبر
كل الصيد في جوف الفرا وأما قوله أنفق تمتع فمثله منتهم لأن
الأمر من مان يمون من ومضارع وهمت تهم وأما استنشق ريح مدامة
رحراح
فمثله رح راح لأن الأمر من شم الرائحة رح وأما غط هلكى فمثله
صن بورا لأن البور هم الهلكى وفي القرآن وكنتم قوما بورا وأما سار
صنبور
بالليل مدة فمثله سراحين وأما أحب فروقة فمثله مق لاع
مقلاع
لأن الأمر من ومق يمق مق واللاع الجبان يقال فلان هاع لاع إذا
كان جبانا جزوعا وأما أعط إبريقا يلوح بغير عروة فمثله أسكوب
لأن الأوس العطاء والأمر منه أس والكوب الإبريق بغير عروة وأما الثور
ملكي فمثله اللآلي لأن اللآ على وزن القنا ثور الوحش وأما صغير
جحفلة فمثله مكاشفة لأن المكا الصغير قال الله تعالى وما كان

لأنك إذا ناديت مضافا
إلى نفسك جاز لك حذف
الياء وإثباتها ساكنة ومحركة
وقد حذف ها هنا حرف
النداء كما حذفه في أصل الأحجية
وصه بمعنى اسكت ٥

صلاتهم عند البيت إلا مكاءً وتصدية والأصل في المكاء المد ولكنه

قصره في هذه الأحجية كما حذف همزة الفرا في أحجيته وكلا الأمرين من

قصر الممدود وحذف همز المهموز جائز ۝ ع

المقامة السابعة والثلثون

حكى الحرث بن همام قال أصعدت إلى صعدة وأنا ذو شطاطٍ كالصعدة

واشتدادٍ يبذّ بنات صعدة فلما رأيت نضرتها وعينت خضرتها سألت

خابر الرواة عمن تحويه من السراة لأتخذه جذوةً في الظلمات ونجدةً في

الظلامات فنُعت لي بها قاضٍ رحيب الباع خصيب الرباع تميمي النسب والطباع

فلم أزل أتقرب إليه بالإلمام وأتنفق عليه بالإجمام حتى صرت صدى صوته

وسلمان بيته وكنت مع اشتيار شهده واستنشاق زنده أشهد مشاجر

الخصوم وأستقري بين المعصوم منهم والموصوم فبينما القاضي جالس للإسجال

في يوم المحفل والاحتفال إذ دخل شيخ بالي الرياش بادي الارتعاش فتبصّر

المحفل تبصّر نقّادٍ ثم زعم أن له خصماً غير منقادٍ فلم يكن إلا كضوء شرارٍ

أو وحي إشارةٍ حتى أُحضر غلام كأنه ضرغام فقال الشيخ أيّد الله القاضي

وعصمه من التغاضي إن ابني هذا كالقلم الرديّ والسيف الصديّ جهل أوصاف

الإنصاف ورضع أخلاف الخلاف إن أقدمت أحجم وإن أعربت أعجم وإن

أذكيت أخمد ومتى شويت رمّد مع أني كفلته مذ دبّ إلى أن شبّ وكنت له

ألطف من زِرٍّ وربٍّ فأكبر القاضي ما شكا إليه وأطرق به من حواليه ثم قال

أشهد أن العقوق لأحد الثكلين ولرُبّ عقمٍ أقرّ للعين فقال الغلام وقد أمعضه

هذا الكلام والذي نصب القضاة للعدل وملّكهم أعنة الفضل إنه

ما دعا قطّ إلا أمّنت ولا ادّعى إلا آمنت ولا لبّى إلا وأحرمت ولا أورى إلا

وأضرمت بيد أنه كمن يبغي بيض الأنوق ويطلب الطيران من النوق فقال له

القاضي وبم أعنتك وامتحن طاعتك فقال له إنه مذ صفر من المال ومُني

بالإمحال يسومني أن أتلمّظ بالسؤال وأستمطر سحب النوال ليفيض شربه الذي

غاض وينجبر من حاله ما انهاض وقد كان حين أخذني بالدرس وعلّمني أدب النفس

أشرب قلبي أن الحرص متعبة والطمع معيبة والشره متخمة والمسألة ملأمة

ثم أنشدني من فلق فيه ونحت قوافيه ۝

ارض بأدنى العيش واشكر عليه ... شكر من القلّ كثير لديه

وجانب الحرص الذي لم يزل ... يحطّ قدر المترقّي إليه

وحام عن عرضك واستبقه كما يحامي الليث عن لبدته

واصبر على ما ناب من فاقة صبر اولي العزم واغمض عليه

ولا ترق ماء المحيا ولو خولك المسؤول ما في يديه

فالحر من ان قذيت عينه اخفى قذى جفنيه عن ناظريه

ومن اذا اخلق ديباجه لم ير ان يخلق ديباجتيه

قال فعبس الشيخ وكهر وابتدر الى ابنه وهر وقال له صه يا عقق يا من هو الشجى والشرق ويلك اتعلم امك البضاع وظئرك الارضاع لقد حككت العقرب بالافعى واستنت الفصال حتى القرعى ثم كانه ندم على ما فرط من فيه وجدته المقة على تلافيه فرنا اليه بعين عاطف وخفض له جناح ملاطف وقال ويك يا بني ان من امر بالقناعة وزجر عن الضراعة هم ارباب البضاعة واولوا المكسبة بالصناعة فاما ذوو الضرورات فقد سوغوا المحظورات ويبك جهلت هذا التاويل ولم يبلغك ما قيل البيت

الذي عارض اباه وقال وملحا باه ع

لا تقعدن على ضر ومسغبة لكي يقال عزيز النفس مصطبر

وانظر بعينك هل ارض معطلة من النبات كارض حفها الشجر

فعد عما يشين الاغنياء به فاي فضل لعود ما له ثمر

وارحل ركابك عن ربع ظميت به الى الجناب الذي يهمي به المطر

واستنزل الري من در السحاب فان بلت يداك به فليهنك الظفر

وان رددت فما في الرد منقصة عليك قد رد موسى قبل والخضر

قال فلما راى القاضي تنافي قول الفتى وفعله وتحليه بما ليس من اهله نظر اليه بعين غضبى وقال اتميميا مرة وقيسيا اخرى اف لمن ينقض ما يقول ويتلون كما تتلون الغول فقال الغلام والذي جعلك مفتاحا للحق وفتاحا بين الخلق لقد انسيت مذ اسيت وصدئ ذهني مذ صديت على انه اين الباب الفتح والعطا السرح وهل بقي من يتبرع بالملح واذا استطعم يقول ها فقال له القاضي مه فمع الخواطي سهم صايب وما كل برق خلب فميز البروق اذا شمت ولا تشهد الا بما علمت فلما تبين للشيخ ان القاضي قد غضب للكرام واعظم تبخيل جميع الانام علم انه سيفض كلمته ويظهر اكرومته فما كذب ان نصب شبكته وشوى في الحريق شكنته وانشا يقول ٥

يا ايها القاضي الذي علمه وحلمه ارسخ من رضوى

قد ادعى هذا على جهله ان ليس في الدنيا اخو جدوى

وما أدري أنك من معشر عطاؤهم كالمن والسلوى
فجذ بما يشينه مستحييا لما افترى من كذب الدعوى
وأنثني جذلان أثني بما أوليت من جدوى ومن عدوى

قال فهش القاضي لقوله وأجزل له من طوله ثم لفت وجهه إلى الغلام وقد نصل له بسهم الملام وقال له أرأيت بطل زعمك وخطأ وهمك فلا تعجل بعدها بذم ولا تنحت عودا قبل عجم وإياك وتأبيك من مطاوعة أبيك فإنك إن عدت لعقه حاق بك مني ما تستحقه فسقط الفتى في يده ولاذ بحقو والده ثم نهض يحفد وتبعه الشيخ ينشد

من ضامه أو ضاره دهره فليقصد القاضي في صعده
سماحه أزرى بمن قبله وعدله أتعب من بعده

قال الراوي فحرت بين تعريف الشيخ وتنكيره إلى أن حرف المسير فأجشمت النفس باتباعه ولو إلى رباعه لعلي أظهر على أسراره وأعرف شجرة نجاره فنبذت عند ذلك العلق وانطلقت حيث انطلق ولم يزل يخطو وأعقب ويبعد وأقرب إلى أن تراءى الشخصان وحق التعارف على الخلصان فأبدى حينئذ الاهتشاش ورفع الارتعاش وقال من كاذب أخاه فلا عاش فعرفت

وانزعت

عند ذلك أنه السروجي بلا محالة ولا حؤول حالة وسارعت إليه لأصافحه وأستعرف سانحه وبارحه فقال دونك ابن أخيك البر وتزكى ومبرّ فلم يعد الفتى أن افتر ثم فر كما فر فعدت وقد استبنت عينهما ولكن أين هما

المقامة الثامنة والثلاثون

حكى الحارث بن همام قال حبب إلي مذ ثبتت قدمي ونفث قلمي أن أتخذ الأدب شرعة والاقتباس منه نجعة فكنت أنقب عن أخباره وخزنة أسراره فإذا ألفيت منهم بغية الملتمس وجذوة المقتبس شددت يدي بغرزه واستنزلت منه زكاة كنزه على أني لم ألق كالسروجي في غزارة السحب ووضع الهناء مواضع النقب إلا أنه أسير من المثل وأسرع من القمر في النقل وكنت لهوى ملاقاته واستحسان مقاماته أرغب في الاغتراب وأستعذب السفر الذي هو قطعة من العذاب فلما تطوحت إلى مرو ولا غرو بشرني بملقاه زجر الطير والفأل الذي هو بريد الخير فلم أزل أنشده في المحافل وعند تلاقي القوافل فلا أجد عنه مخبرا ولا أرى له أثرا ولا عثيرا حتى غلب اليأس الطمع وانزوى التأميل وانقمع فإني لذات يوم بحضرة والي مرو وكان ممن جمع الفضل

والسرو إذ طلع أبو زيد في خلق مملاق وخلق ملاق فحيا الوالي تحية
المحتاج إذا لقي رب التاج ثم قال له اعلم وقيت الذم وكفيت الهم أن
من عذقت به الأعمال أعلقت به الآمال ومن رفعت له الدرجات
رفعت إليه الحاجات وأن السعيد من إذا قدر وواتاه القدر أدى زكاة
النعم كما يؤدي زكاة النعم والتزم لأهل الحرم كما يلتزم للأهل والحرم
وقد أصبحت بحمد الله عميد مصرك وعماد عصرك ترجى الركائب إلى حرمك
وترجى الرغائب من كرمك وتنزل المطالب بساحتك وتستنزل الراحة
من راحتك وكان فضل الله عليك عظيما ثم إني شيخ ترب بعد الإتراب
وعدم الإعشاب حين شاب قصدتك من محلة نازحة وحالة رازحة آمل
من بحرك دفعة ومن جاهك رفعة والتأميل أفضل وسائل السائل ونائل
النائل فأوجب لي ما يجب عليك وأحسن كما أحسن الله إليك وإياك أن تلوي
عذارك عمن أزدارك وأم دارك أو تقبض راحتك عمن امتاحك وامتار
بسماحك فوالله ما مجد من جمد ولا رشد من حشد بل اللبيب من إذا وجد
جاد وإذا بدأ بعائدة عاد والكريم من إذا استوهب الذهب لم يهب أن
يهب ثم أمسك يرقب أكل غرسه ويرصد مطيبة نفسه وأحب الوالي

أن يعلم هل نطفته ثمد أم القريحة مدد فأطرق يروي في استنباط زنده
واستشفاف فرنده والتبس على أبي زيد سر صمته وارتجاء صلته فتوغر غضبا
وأنشد مقتضبا ٥

لا تحقرن أبيت اللعن ذا أدب لأن بدا خلق السربال مسبروتا
ولا تضع لأخي التأميل حرمته أكان ذا لسن أو كان سكيتا
وانفح بعرفك من وافاك مختبطا وانعش بغوثك من ألفيت منكوتا
فخير مال الفتى مال أشاد له ذكرا تناقله الركبان أو صيتا
وما على المشتري حمدا بموهبة غبن ولو كان ما أعطاه ياقوتا
لولا المروءة ضاق العذر عن فطن إذا اشرأب إلى ما جاوز القوتا
لكنه لابتناء المجد جد ومن حب السماح ثنى نحو العلى ليتا
وما تنشق نشر الشكر ذو كرم إلا وأزرى بنشر المسك مفتوتا
والحمد والبخل لم يقض اجتماعهما حتى لقد خيل ذا ضبا وذا حوتا
والسمح في الناس محبوب خلائقه والجامد الكف ما ينفك ممقوتا
وللشحيح على أمواله علل يوسعنه أبدا ذما وتبكيتا
فجد بما جمعت كفاك من نشب حتى يرى مجتدي جدواك مبهوتا

وخذ نصيبك منه قبل رائعة من الزمان تريك العود منحوتا
فالدهر أنكد من أن تستمر به حال تكرهتها تلك الحال أم شيتا
فقال له الوالي تالله لقد أحسنت فأي ولد الرجل أنت فنظر إليه عن عرض ثم
أنشد وهو معرض ۞
لا تسأل المرء من أبوه ورز خلاله ثم صله أو فاصرم
فما يشين السلاف حين حلا مذاقها كونها ابنة الحصرم
قال فقربه الوالي لبيانه الفاتن حتى أحله مقعد الخاتن ثم فرض له
من سيوب نيله ما آذن بطول ذيله وقصر ليله فنهض عنه بردن ملآن
وقلب جذلان وتبعته حاذيا حذوه وقافيا خطوه حتى إذا خرج من بابه
وفصل عن غابه قلت له هنئت بما أوتيت ومليت ما أوليت فأسفر وجهه
وتلالا وولى الشكر لله تعالى ثم خطر اختيالا وأنشد ارتجالا ۞
من يكن نال بالحماقة حظا أو سما قدره لطيب الأصول
ففضلي انتفعت لا بفضولي وبقولي ارتفعت لا بقبولي
ثم قال تعسا لمن جدب الأدب وطوبى لمن جد فيه ودأب ثم ودعني
وذهب وأودعني اللهب ۞

... الله تعالى

المقامة التاسعة والثلاثون

حدث الحارث بن همام قال لهجت مذ اخضر إزاري وبقل عذاري بأن أجوب
البراري على ظهور المهاري أنجد طورا وأسلك تارة غورا حتى فليت المعالم
والمجاهل وبلوت المنازل والمناهل وأدميت السنابك والمناسم وأنضيت
السوابق والرواسم فلما مللت الإصحار وقد سنح لي أرب بصحار ملت إلى
اختبار التيار واختيار الفلك السيار فنقلت إليه أساودي واستصحبت
زادي ومزاودي ثم ركبت فيه ركوب حاذر ناذر عاذل لنفسه وعاذر
فلما شرعنا في القلعة ورفعنا الشرع بسرعة سمعنا من شاطئ المرسى
حين دجا الليل وأغسى هاتفا يقول يا أهل ذا الفلك القويم المزجى في البحر
العظيم بتقدير العزيز العليم هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم فقلنا
له أقبسنا نارك أيها الدليل وارشدنا كما يرشد الخليل الخليل فقال
تستصحبون ابن سبيل زاده في زبيل وظله غير ثقيل وما يبغي سوى مقيل
فأجمعنا على الجنوح إليه وأن لا نبخل بالماعون عليه فلما استوى على الفلك
قال أعوذ بمالك الملك من مسالك الهلك ثم قال إنا روينا في الأخبار
المنقولة عن الأحبار أن الله تعالى ما أخذ على الجهال أن يتعلموا حتى أخذ على

العلماء أن تعلموا أن معي لعوذة عن الأنبياء مأخوذة وعندي لكم نصيحة
براهينها صحيحة وما وسعني الكتمان ولا من شيمتي الحرمان فتدبروا القول
وتفهموا واعملوا بما تعلمون وعلموا ثم صاح صيحة المباهي وقال أتدرون
ما هي هي والله حرز السفر عند مسيرهم في البر والبحر والجنة من الغم
إذا جاش موج اليم وبها استعصم نوح يوم الطوفان ونجا من معه من
الحيوان على ما صدعت به آي القرآن ثم قرأ بعد أساطير تلاها وزخارف
جلاها وقال اركبوا فيها بسم الله مجراها ومرساها ثم تنفس تنفس المغرمين
أو عباد الله المكرمين ثم قال أما أنا فقد قمت فيكم مقام المبلغين ونصحت
لكم نصح المبالغين وسلكت بكم محجة الراشدين فاشهد اللهم وأنت خير
الشاهدين قال الحرث بن همام فأعجبنا بيانه البادي الطلاوة وعجت له
أصواتنا بالتلاوة وآنس قلبي من جرسه معرفة عين شمسه فقلت له بالذي
سخر البحر اللجي ألست السروجي فقال بلى وهل يخفى ابن جلا فأحمدت
حينئذ السفر وسفرت عن نفسي إذ سفر ووجدت بلقيانه وجد المثري
بعقيانه واستبشرت بمناجاته استبشار الغريق بنجاته ولم نزل نسير
والجو صحو والبحر زهو والعيش صفو والزمان لهو إلى أن عصفت الجنوب

وعصفت الجنوب ونبى السير ما كان وجاء الموج من كل مكان فملنا
لهذا الحدث الثائر إلى إحدى الجزائر لنريح ونستريح ريثما تواتي الريح
فتمادى اعتياص المسير حتى نفد الزاد غير اليسير فقال لي أبو زيد إنه
لن يجتنى العود بالقعود فهل لك في استثارة السعود بالصعود فقلت
إني لك لأتبع من ظلك وأطوع من نعلك فنهدنا إلى الجزيرة على ضعف
المريرة لنرتكض في امتراء الميرة وكلانا لا يملك فتيلا ولا يهتدي فيها
سبيلا فأقبلنا نجوب خلالها ونتفيأ ظلالها حتى أفضينا إلى قصر مشيد
له باب من حديد ودونه زمرة من عبيد فناسمناهم لنتخذهم سلما إلى
الارتقاء وأرشية للاستقاء فألفينا كلا منهم كئيبا حسيرا حتى خلناه
كسيرا أو أسيرا فناديناهم أيتها الغلمة ما هذه الغمة فلم يجيبوا النداء
ولا فاهوا ببيضاء ولا سوداء فلما رأينا نارهم نار الحباحب وخبرهم خبر
السباسب قلنا شاهت الوجوه وقبح اللكع ومن يرجوه فابتدر إلينا خادم
قد علته كبرة وعرته عبرة وقال يا قوم لا توجعونا عتبا ولا توسعونا سبا
فإنا لفي حزن شامل وشغل عن الحديث شاغل فقال له أبو زيد نفس خناق
البث وانفث إن قدرت على النفث فإنك ستجد مني عرافا كافيا ووصافا

شافيا فقال اعلم أن رب هذا القصر هو قطب هذه البقعة وسناه هذه
الرقعة إلا أنه لم يخل من كمد لخلوه من ولد ولم يزل يستكرم المغارس
ويتخير من المغارس النفائس إلى أن بشر بحمل عقيلته وآذنت بثقلته
بفسيلة فنذرت له النذور وأحصيت الأيام والشهور فلما حان النتاج
وصيغ له الطوق والتاج عسر مخاض الوضع حتى خيف على الأصل والفرع
فما فينا من يعرف قرارا ولا يطعم النوم إلا غرارا ثم أجهش بالبكاء
وأعول وردد الاسترجاع وطول فقال له أبو زيد اسكن يا هذا
واستبشر وأبشر بالفرج وبشر فعندي عزيمة الطلق التي انتشر سمعها
في الخلق فتبادرت الغلمة إلى مولاهم مبشرة بانكشاف بلواهم فلم يكن إلا
كلا ولا حتى خرج من هلم بنا إليه فلما دخلنا عليه ومثلنا بين يديه
قال لأبي زيد ليهنك منالك إن صدق مقالك ولم يفل فالك فاستحضر
قلما مبريا ومدادا محريا وزعفرانا قد ديف في ماء ورد نظيف فما
إن رجع النفس حتى أحضر ما التمس فسجد أبو زيد وعفر وسبح واستغفر
ثم أخذ القلم واستحنفر وكتب على الزبد بالمزعفر

أيها ذا الجنين إني نصيح لك والنصح من شروط الدين

أنت مستعصم بكن كنين وقرار من السكون مكين

ما ترى فيه ما يروع من إلف مداج ولا عدو مبين

فمتى ما برزت منه تحولت إلى منزل الأذى والهون

وترى أي الشقاء الذي تلقى فتبكي له بدمع هتون

فاستدم عيشك الرغيد وحاذر أن تبيع المحقوق بالمظنون

واحترس من مخادع لك يرقيك ليلقيك في العذاب المهين

ولعمري لقد نصحت ولكن كم نصيح مشبه بظنين

ثم إنه طمس المكتوب على غفلة وتفل عليه مائة تفلة وشد الزبد في خرقة
حرير بعدما ضمخها بعبير وأمر بتعليقها على فخذ الماخض وأن لا تعلق بها
يد حائض فلم يك إلا كلا وآن شارب أو فواق حالب حتى اندلق شخص الولد
الخصيصي الزبد بقدرة الواحد الصمد فامتلأ القصر حبورا واستطير عميده
وعبيده سرورا وأحاطت الجماعة بأبي زيد تثني عليه وتقبل يديه وتتبرك
بمساس طمريه حتى خيل إلي أنه القرني أويس أو الأسدي دبيس ثم
انثال عليه من جوائز المجازاة ووصائل الصلات ما قيض له الغنى وبيض وجه
المنى ولم يخل من أن ينتابه الدخل مذ نتج السخل إلى أن أعطى البحر الأمان

وتسنى الإتمام إلى عمان فاكتفى أبو زيد بالنحلة وتأهب للرحلة فلم يسمح الوالي بحركته بعد تجربة بركته بل أوعز بضمه إلى خزانته وأن تطلق يده في خزانته قال الحرث بن همام فلما رأيته قد مال إلى حيث يكسب المال أخنيت عليه بالتعنيف وهجنت له مفارقة المألف والأليف فقال

إليك عني واستمع مني

لا تصبون إلى وطن فيه تضام وتمتهن

وارحل عن الدار التي تعلي الوهاد على القنن

واهرب إلى كن يقي ولو أنه حضنا حضن

وجب البلاد فأيها أرضاك فاختره وطن

واربأ بنفسك أن تقيم بحيث يغشاك الدرن

ودع التذكر للمعاهد والحنين إلى السكن

واعلم بأن الحر في أوطانه يلقى الغبن

كالدر في الأصداف يستزرى ويبخس في الثمن

ثم قال حسبك ما استمعت وحبذا أنت لو اتبعت فأوضحت له معاذيري وقلت كن عذيري فعذر واعتذر وزودني حتى لم يذر ثم شيعني تشييع الأقارب

إلى أن ركبت في القارب فودعته وأنا أشكو الفراق وأذمه وأود لو هلك الجنين وأمه

المقامة الأربعون وتعرف بالتبريزية

أخبر الحرث بن همام قال أزمعت التبريز من تبريز حين نبت بالذليل والعزيز وخلت من المجير والمجيز فبينا أنا في إعداد الأهبة وارتياد الصحبة لقيت أبا زيد السروجي ملتفا بكساء ومحتفا بنساء فسألته عن خطبه وإلى أين يسرب مع سربه فأومأ إلى امرأة منهن باهرة السفور ظاهرة النفور وقال تزوجت هذه لتؤنسني في الغربة وترحض عني قشف العزبة فلقيت منها عرق القربة تمطلني بحقي وتكلفني فوق طوقي فأنا منها نضو وجى وحلف شجو وشجى وها نحن قد تساعينا إلى الحاكم ليضرب على يد الظالم فإن انتظم بيننا الوفاق وإلا فالطلاق والانطلاق قال فملت إلى أن أخبر لمن الغلب وكيف يكون المنقلب فجعلت شغلي دبر أذني وصحبتهما وإن كنت لا أغني فلما حضرا القاضي وكان ممن يرى فضل الإمساك ويضن بنفاثة السواك جثا أبو زيد بين يديه وقال أيد الله القاضي وأحسن إليه إن مطيتي هذه أبية القياد كثيرة الشراد مع أني أطوع لها من بنانها وأحنى عليها

من جنانها فقال لها القاضي ويحك أما علمت أن النشوز يغضب الرب ويوجب
الضرب فقالت إنه ممن يدور خلف الدار ويأخذ الجار بالجار فقال له القاضي
تبا لك أتبذر في السباخ وتستفرخ حيث لا إفراخ اغرب عني لا نعم عوفك
ولا أمن خوفك فقال أبو زيد إنها ومرسل الرياح لأكذب من سجاح فقالت
بل هو ومن طوق الحمامة وجنح النعامة أكذب من أبي ثمامة حين مخرق
باليمامة فزفر أبو زيد زفير الشواظ واستشاط استشاطة المغتاظ
وقال لها ويلك يا دفار يا فجار يا غصة البعل والجار أتعمدين في الخلوة
لتعذيبي وتبدين في الحفلة تكذيبي وقد علمت أني حين بنيت عليك ورنوت
إليك ألفيتك أقبح من قردة وأيبس من قدة وأخشن من ليفة وأنتن من
جيفة وأثقل من هيضة وأقذر من حيضة وأبرز من قشرة وأبرد من
قرة وأحمق من رجلة وأوسع من دجلة فسترت عوارك ولم أبد عارك
على أنه لو حبتك شيرين بجمالها وزبيدة بمالها وبلقيس بعرشها وبوران
بفرشها والزباء بملكها ورابعة بنسكها وخندف بفخرها والخنساء
بشعرها في صخرها لأنفت أن تكوني قعيدة رحلي وطروقة فحلي قال
فتذمرت المرأة وتنمرت وحسرت عن ساعدها وشمرت وقالت له يا ألأم

من مادر وأشأم من قاشر وأجبن من صافر وأطيش من طامر أترميني بشنارك
وتفري عرضي بشفارك وأنت تعلم أنك أحقر من قلامة وأعيب من بغلة أبي
دلامة وأفضح من حبقة في حلقة وأحير من بقة في حقة وهبك الحسن
البصري في لفظه ووعظه والشعبي في علمه وحفظه والخليل في عروضه
ونحوه وجريرا في غزله وهجوه وقسا في فصاحته وخطابته وعبد الحميد
في بلاغته وكتابته وأبا عمرو في قراءته وإعرابه والأصمعي في روايته عن
أعرابه أتظنني أرضاك إماما لمحرابي وحساما لقرابي لا والله ولا بوابا
لبابي ولا عصا لجرابي فقال لهما القاضي أراكما شنا وطبقة وحدأة
وبندقة فاترك أيها الرجل اللدد واسلك في سيرك الجدد وأما أنت
فكفي عن سبابه وقري إذا أتى البيت من بابه فقالت المرأة والله ما أسجن
عنه لساني إلا إذا كساني ولا أرفع له شراعي دون إشباعي فحلف أبو زيد
بالمحرجات الثلاث أنه لا يملك سوى أطماره الرثاث فنظر القاضي في قصتهما
نظر الألمعي وأفكر فكرة اللوذعي ثم أقبل عليهما بوجه قد قطبه ومجن
قد قلبه وقال لهما ألم يكفكما التسافه في مجلس الحكم والإقدام على
ارتكاب هذا الجرم حتى ترافيتما من فحش المقاذعة إلى خبث المخادعة

وايم الله لقد أخطأت استكما الحفرة ولم يصب سهمكما الثغرة فإن
أمير المؤمنين أعز الله ببقائه الدين نصبني لأقضي بين الخصماء لا لأقضي
دين الغرماء وبحق نعمته التي أحلتني هذا المحل وملكتني العقد والحل
لئن لم توضحا لي جلية خطبكما وخبيئة خبكما لأنددن بكما في الأمصار
ولأجعلنكما عبرة لأولي الأبصار فأطرق أبو زيد إطراق الشجاع ثم قال له سماع سماع

أنا السروجي وهذي عرسي ... وليس كفء البدر غير الشمس
وما تنافى أنسها وأنسي ... ولا تناءى ديرها عن قسي
ولا عدت سقياي أرض غرسي ... لكننا منذ ليال خمس
نصبح في ثوب الطوى ونمسي ... لا نعرف المضغ ولا التحسي
حتى كأنا لخفوت النفس ... أشباح موتى نشروا من رمس
فحين عز الصبر والتأسي ... وشفنا الضر الأليم المس
قمنا لسعد الجد أو للنحس ... هذا المقام لاجتلاب فلس
والفقر يلحي الحر حين يرسي ... إلى التحلي بلباس اللبس
فهذه حالي وهذا درسي ... فانظر إلى يومي وسل عن أمسي
وأمر بجبري إن تشأ أو حبسي ... ففي يديك صحتي ونكسي

فقال له القاضي ليثب أنسك ولتطب نفسك فقد حق لك أن تغفر خطيئتك
وتوفر عطيتك فنشزت الزوجة عند ذلك واستطالت وأشارت إلى الحاضرين وقالت

يا أهل تبريز لكم حاكم ... أوفى على الحكام تبريزا
ما فيه من عيب سوى أنه ... يوم الندى قسمته ضيزى
قصدته والشيخ نبغي جنى ... عود له ما زال مهزوزا
فسرح الشيخ وقد نال من ... جدواه تخصيصا وتمييزا
وردني أخيب من شائم ... برقا خفا في شهر تموزا
كأنه لم يدر أني التي ... لقنت الشيخ الأراجيزا
وأنني إن شئت غادرته ... أضحوكة في أهل تبريزا

فلما رأى القاضي تحزر أحاجيهما وانصلات لسانيهما علم أنه قد مني منهما
بالداء العياء والداهية الدهياء وأنه متى منح أحد الزوجين وصرف الآخر صفر
اليدين كان كمن قضى الدين بالدين أو صلى المغرب ركعتين فطلسم وطرسم
وبرطم وهمهم وغمغم ثم التفت يمنة وشامة وتململ كآبة وندامة وأخذ
يذم القضاء ومتاعبه ويعدد شوائبه ونوائبه ويفند طالبه وخاطبه
ثم تنفس كما يتنفس الحزب وانتحب حتى كاد يفضحه النحيب وقال إن هذا

لشيء عجيب أأرشق في موقف بسهمين أألزم في قضية مغرمين أأطيق
أن أرضي الخصمين ومن أين ومن أين ثم عطف إلى حاجبه المنفذ لما أربه
وقال ما هذا يوم حكم وقضاء وفصل وإمضاء هذا يوم الاغتمام هذا يوم
الاهتمام هذا يوم الاغترام هذا يوم البحران هذا يوم الخسران هذا يوم
عصيب هذا يوم نصاب فيه ولا نصيب فأرحني بالله من هذين المهذارين
واقطع لسانهما بدينارين ثم فرق الأصحاب وأغلق الباب وأشع أنه يوم
مذموم وأن القاضي فيه مهموم لئلا يحضرني خصوم قال فأمن الحاجب
على دعائه وتباكى لبكائه ثم نقد أبا زيد وعرسه المثقالين وقال
لهما أشهد أنكما لأحيل الثقلين لكن احترما مجالس الحكام واجتنبا
فيها فحش الكلام فما كل قاض قاضي تبريز ولا كل وقت تسمع الأراجيز فقالا له مثلك
من حجب وشكرك قد وجب ونهضا وقد حظيا بدينارين وأصليا قلب القاضي نارين ٥

تفسير ما تضمنت هذه المقامة

من الألفاظ اللغوية والأمثال العربية

قوله لقيت منها عرق القربة يضرب هذا المثل لمن يلقى شدة من الأمر الذي
يزاوله كما أن حامل القربة يلقى جهدا حتى يعرق ؛ وقوله جعلته

دبر أذني يعني اطرحته وهو كقوله تعالى فنبذوه وراء ظهورهم ؛ وقوله
أكذب من سجاح يعني التي تنبأت في عهد مسيلمة الكذاب وسارت إليه
لتناظره وتختبره ثم آمنت به ووهبت نفسها له وهذا الاسم مشتق من
السجاحة وهي السهولة ومنه قولهم ملكت فأسجح وهو مبني على الكسر
مثل حذام وقطام لكونه من الأسماء المعدولة ؛ وقولها أكذب من
أبي ثمامة هذه كنية مسيلمة الكذاب وكان تنبأ باليمامة ومخرق بها
إلى أن سار إليه خالد بن الوليد فقتله ؛ وقوله لا نعم عوفك العوف
الحال والعوف أيضا الذكر ويدعا للباني على أهله فيقال له نعم عوفك
وقوله يا دفار يا فجار هذان الاسمان معدولان عن دافرة وفاجرة والدفر
النتن وبه سميت الدنيا أم دفر وكل ما سمي بصفة غالبة ثم عدل بها
إلى فعال بني على الكسر عند النداء كقولك يا لكاع يا خباث يا دفار يا فجار
ولا يجوز استعمال ذلك في غير النداء إلا في ضرورة الشعر كقول الشاعر ٥

أطوف ما أطوف ثم آوي إلى بيت قعيدته لكاع

وقوله أحمق من رجلة فهي ضرب من الحمض تنبت في مجاري السيل فيجترفها
وأما قولها ألأم من مادر فهو رجل من بني هلال بن عامر كان اتخذ حوضا

ليسقي إبله فلما رويت سلح فيه ومدر بسلحه لئلا ينتفع به من بعده ؞ وأما
قولها أشأم من قاشر فإنه كان فحلا في بعض قبائل سعد بن زيد مناة ما
طرق إبلا إلا أماتت وقيل المراد به العام المجدب وسمي قاشرا لقشره
وجه الأرض من النبات ؞ وأما قولها أجبن من صافر فقد اختلف في
تفسيره فقال بعضهم عني به كل ما يصفر من الطير وخص بالجبن لكثرة ما
يتقيه من جوارح الجو ومصايد الأرض وقيل إنه طائر بعينه إذا جنه
الليل تعلق ببعض الأغصان ولم يزل يصفر طول ليلته خوفا من أن ينام فيؤخذ
وقيل إنه الذي يصفر بالمرأة لريبة فهو يجبن وقت صفيره مخافة أن
يظهر على أمره وقيل إن المراد به المصفور به وهو الذي ينذر بالصفير
ليهرب فعلى هذا القول فاعل هاهنا بمعنى مفعول كقوله تعالى من ماء دافق
أي مدفوق وكقولهم راحلة بمعنى مرحولة وهو كثير في كلامهم وقد جاء
مفعول بمعنى فاعل كقوله تعالى حجابا مستورا أي ساترا ؞ وأما قولها
أطيش من طامر فالمراد به البرغوث ويسمى طامر بن طامر لكثرة وثوبه
وأما قول القاضي أراكما شنا وطبقة وحدأة وبندقة فإنه أراد به
أن كلا منكما كفو لصاحبه ومقاوم له ولكل واحد من المثلين تفسير مختلف

فيه ؞ فأما شن وطبقة فإن العلماء مختلفون في معنى قولهم وافق شن طبقة
فقال الأكثرون إنهما قبيلتان فشن هو ابن أفصى بن دعمي بن جديلة بن
أسد بن ربيعة بن نزار وطبقة حي من إياد وكانت طبقة لا تطاق فأوقعت
بها شن فانتصفت منها وقال بعضهم كان شن رجلا من دهاة العرب وكان
ألزم نفسه ألا يتزوج إلا بامرأة تلائمه فكان يجوب البلاد في ارتياد طلبته
فصاحبه رجل في بعض أسفاره فلما أخذ منهما السير قال له شن أتحملني أم
أحملك فقال له الرجل يا جاهل هل يحمل الراكب الراكب فأمسك وسارا
حتى أتيا على زرع فقال له شن أترى هذا الزرع قد أكل أم لا فقال له
يا جاهل أما تراه في سنبله فأمسك إلى أن استقبلتهما جنازة فقال له
شن أترى صاحبها حيا أم لا فقال له ما رأيت أجهل منك أتراهم يحملون
إلى القبر حيا ثم إنهما وصلا إلى قرية الرجل فصار به إلى منزله وكانت له
بنت تسمى طبقة فأخذ يطرفها بحديث رفيقه فقالت له ما نطق إلا بصواب
ولا استفهمك إلا عما يستفهم عن مثله ؞ أما قوله أتحملني أم أحملك
فإنه أراد أتحدثني أم أحدثك حتى نقطع الطريق بالحديث ؞ وأما قوله
أترى هذا الزرع أكل أم لا فإنه أراد هل استسلف أربابه ثمنه أم لا ؞

نسخه بالصواب

وأما استفهامه عن حياة صاحب الجنازة فإنه أراد به أخلف عقبًا يحيى ذكره به
أم لا فلما خرج إلى الرجل حدثته بتأويل ابنته كلامه فخطبها إليه فزوجه إياها
وسار بها إلى قومه فلما خبروا ما فيها من الدهاء والفطنة قالوا وافق شن طبقة
فسارت مثلًا ؛ وحكي أن الأصمعي سئل عن تفسير هذا المثل فقال أظن
الشن وعاء من أدم كان قد استشن فلما اتخذ له غطاء وافقه ضرب فيه هذا
المثل ؛ وأما حدأة وبندقة فإنه يقال في المثل المضروب لمن يفزع
بعدوه أو يبلى بنظير حدأ حدأ وراك بندقة وكان الأصل حدأة بإثبات
الهاء فرخم في النداء وقد اختلف في المراد بهما فقيل هما الطائر المعروف
وبندقة الرامي وقيل إن حدأة وبندقة قبيلتان من سعد العشيرة فأغارت
حدأة وكانت تنزل بالكوفة على بندقة وكانت تنزل باليمن فنالت منها ثم كرت
بندقة على حدأة فأنحت عليها ؛ وروى بعضهم حدا حدا غير مهموز على
مثال عصا وقفا وزعم أنه اسم القبيلة ؛ وأما قوله أخطأت استكما
الحفرة فإن هذا المثل يضرب لمن يخطئ في مقصده ويضع الشيء في غير موضعه
وأما قوله طلسم وطرسم فمعنى طلسم كره وجهه ومعنى طرسم أي أطرق
وقوله اخرنطم وبرطم أي غضب وقطب وقيل معنى اخرنطم أي غضب مع تكبر

ومعنى برطم أي غضب مع تعبس وقوله همهم وغمغم أي لم يبين الكلام ۝

المقامة الحادية والأربعون

أخبر الحرث بن همام قال أطعت دواعي التصابي في غلواء شبابي فلم أزل
زيرًا للغيد وأذنًا للأغاريد إلى أن وافى النذير وولى العيش النضير فقرمت
إلى رشد الانتباه وندمت على ما فرطت في جنب الله ثم أخذت في كسع الهنات
بالحسنات وتلافي الهفوات قبل الفوات فملت عن مغاداة الغادات إلى ملاقاة
التقاة وعن مقاناة القينات إلى مداناة أهل الديانات وآليت ألا أصحب
إلا من نزع عن الغي وفاء منشره إلى الطي وإن ألفيت من هو خليع الرسن مديد
الوسن ناءيت داري عن داره وفررت من عره وعاره فلما ألقتني الغربة
بتنيس وأحلتني مسجدها الأنيس رأيت به ذا حلقة مليحة ونظارة مزدحمة
وهو يقول بجأش مكين ولسان مبين مسكين ابن آدم وأي مسكين ركن
من الدنيا إلى غير ركين واستعصم منها بغير مكين وذبح من حبها بغير سكين يكلف
بها لغباوته ويكلب عليها لشقاوته ويعتد فيها لمفاخرته ولا يتزود منها لآخرته
أقسم بمن مرج البحرين ونور القمرين ورفع قدر الحجرين لو عقل ابن آدم لما نادم

ولو أفكر فيما قدّم لبكى الدم، ولو ذكر المكافاة لاستدرك ما فات
ولو نظر في المآل الحسن قبح الأعمال، يا عجبا كل العجب لمن يقتحم ذات اللهب
في اكتناز الذهب، وخزن النشب لذوي النسب، ثم من البدع العجيب أن يعظك
وخط المشيب، ويؤذن شمسك بالمغيب، ولست ترى أن تنيب وتهذب
المعيب، ثم اندفع ينشد إنشاد من رشده

يا ويح من أنذره شيبه ... وهو على غي الصبى منكمش
يعشو إلى نار الهوى بعدما ... أصبح من ضعف القوى يرتعش
ويمتطي اللهو ويعتده ... أوطأ ما يفترش المفترش
لم يهب الشيب الذي ما رأى ... نجومه ذو اللب إلا دهش
ولا انتهى عما نهاه النهى ... عنه ولا بالى بعرض خدش
فذاك إن مات فسحقا له ... وإن يعش فهو كمن لم يعش
لا خير في محيا امرئ نشره ... كنشر ميت بعد عشر نبش
وحبذا من عرضه طيب ... يروق حسنا مثل برد رقش
فقل لمن قد شاكه ذنبه ... هلكت يا مسكين أو تنتعش
فأخلص التوبة تطمس بها ... من الخطايا السود ما قد نقش

وعاشر الناس بخلق رضي ... ودار من طاش ومن لم يطش
ورش جناح الحر إن حصه ... زمانه لا كان من لم يرش
وأنجد الموتور ظلما فإن ... عجزت عن إنجاده فاستجش
وانعش إذا ناداك ذو كبوة ... عساك في الحشر به تنتعش
واشرب بكأس النصح مني وجد ... بفضلة الكأس على من عطش

قال فلما فرغ من مكيانه وقضى إنشاد أبياته نهض صبي قد شدن وأعرى
البدن وقال يا ذوي الحصاة والإنصات إلى الوصاة قد وعيتم الإنشاد وفهمتم
الإرشاد فمن نوى منكم أن يقبل ويصلح المستقبل فليبن ببري عن نيته
ولا يعدل عني بعطيته فوالذي يعلم الأسرار ويغفر الإصرار إن سري لكما ترون
وإن وجهي ليستوجب الصون فأعينوني رزقتم العون قال وأخذ الشيخ فيما
يعطف عليه القلوب ويسني له المطلوب حتى أنبط جفره واعشوشب قفره
فلما أن ترع الكيس انصلت يميس ويحمد تنيس ولم يحل للشيخ المقام بعد
ما انصاع الغلام فاستنفع الأيدي للدعاء ثم تحلحل للانكفاء قال الراوي
فارتحت إلى أن أعجمه وأحل مترجمه فتبعته وهو يشتد في سمته ولا يفتق
رتق صمته فلما أمن المفاجي وأمكن التناجي لفت جيده إلي وسلم تسليم البشاشة

علي ثم قال أرأيت ذاك الشويدن فقلت إي والمؤمن المهيمن فقال إنه
فتى السروجي ومخرج الدر من اللجي فقلت أشهد إنك لشجرة ثمرته وشواظ
شرارته فصدق كهانتي واستحسن إبانتي ثم قال هل لك في أبيات أبيت
لتنازع كأس الكميت فقلت له ويحك أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم
فافتر افترار متضاحك ومن غير مماحك ثم بدا له أن تراجع إلي وقال

احفظها عني وعِ ٥

اصرف بصرف الراح عنك الأسى ... وروح القلب ولا تكتئب
وقل لمن لامك فيما به ... تدفع عنك الهم قبل اتئب

ثم قال أما أنا فسأنطلق إلى حيث أصطبح وأغتبق وإذا كنت لا تصحب ولا تلايم
من يطرب فلست إلى رفيق ولا طريقك إلى طريقي فخل سبيلي وتنكب ولا
تنقر عني ولا تنقب ثم ولى مدبرا ولم يعقب ؛ قال الحارث بن همام فالتهبت
وجدا عند انطلاقه ووددت لو لم ألاقه ٥

المقامة الثانية والأربعون

حكى الحارث بن همام قال ترامت بي مرامي النوى ومساري الهوى إلى أن صرت
ابن كل تربة وأخا كل غربة إلا أني لم أكن أقطع واديا ولا أشهد ناديا

إلا لاقتباس الأدب المسلي عن الأشجان المغلي قيمة الإنسان حتى عرفت بأني
الشنشنة وتناقلتها عني الألسنة وصارت أعلق بي من الهوى ببني عذرة
والشجاعة بآل أبي صفرة فلما ألقيت الجران بنجران واصطفيت بها الخلان
والجيران تخذت أنديتها معتمري وموسم متفكهي ومستمري فكنت أتعهدها
صباح مسا وأظهر فيها على ما سر وسا فبينما أنا في ناد محشود ومحفل مشهود
إذ جثم لدينا ذو عليه هدم فحيا تحية ملق بلسان ذلق ثم قال يا بدور المحافل
وبحور النوافل قد بين الصبح لذي عينين وناب العيان مناب عدلين فما ذا
ترون فيما ترون أتحنون على العون أم تنأون إذ تدعون فقالوا له تالله لقد غظت
ورمت أن تنبط نغضت فناشدهم الله عما ذا صدهم حتى استوجب زجرهم
فقالوا كنا نتناضل بالألغاز كما يتناضل يوم البراز فما لك إن شئت من
المنضول والحق هذا الفضل بمنط الفضول فلبسته لبس القوم وحزوه بأسنة
اللوم وأخذ هو يتنصل من هفوته ويتندم على فوهته وهم مضبون على مؤاخذته
وملبون زجر أخي منابذته إلى أن قال لهم يا قوم إن الاحتمال من كرم الطبع فعدوا
عن اللذع والقذع ثم هلم إلى أن نلغز ونحكم المبرز فسكن عند ذلك توقدهم
وانحلت عقدهم ورضوا بما شرط عليهم ولهم واقترحوا أن يكون أولهم

فأمسك ريثما يعقد شسع أو يشد نسع ثم قال اسمعوا وقيتم الطيش ومليتم العيش وأنشد ملغزاً في مروحة الخيش

وجارية في سيرها مشمعلة ولكن على إثر المسير قفولها
لها سائق من جنسها يستحثها على أنه في الاحتثاث رسيلها
ترى في أوان القيظ تنطف بالندى ويبدو إذا ولى المصيف نحولها

ثم قال وهاكم يا أولي الفضل ومراكز العقل وأنشد ملغزاً في حابول النخل

ومنتسب إلى أم تنشا أصله منها
يعانقها وقد كانت نفته برهة عنها
به يتوصل الجاني ولا يلحى ولا ينها

ثم قال ودونكم الخفية العلم المعتكرة الظلم وأنشد ملغزاً في القلم

ومأموم به عرف الإمام كما باهت بصحبته الكرام (يعني الكاتبين)
له إذ يرتوي طيشان صاد ويسكن حين يعروه الأوام
ويذري حين يستسقي دموعاً يرقن كما يروق الابتسام

ثم قال وعليكم بالواضحة الدليل الفاضحة ما قيل وأنشد ملغزاً في الميل

وما ناكح أختين جهراً وخفية وليس عليه في النكاح سبيل

متى يغش هذي يغش في الحال هذه وإن مال يعل لم يجن بميل
يزيدهما عند المشيب تعهداً وبراً وهذا في البعول قليل

ثم قال وهذه يا ذوي الألباب معيار الآداب وأنشد ملغزاً في الدولاب

وجاف وهو موصول وصول ليس بالجافي
غريق بارز فاعجب له من راسب طافي
يسح دموع مهضوم ويهضم هضم متلاف
ويخشى منه جدته ولكن قلبه صافي

قال فلما رشق بالخمس التي تنسق قال يا قوم تدبروا هذه الخمس واعقدوا عليها الخمس ثم رأيكم وضم الذيل أو الازدياد من الكيل فاستفزت القوم شهوة الزيادة على ما أشربوا من البلادة فقالوا له إن وقوفنا دون حدك لنفحنا عن استيراء زندك فإن أتممت عشراً فمن عندك فاهتز اهتزاز من فلج سهمه وانخزل خصمه ثم افتتح النطق بالبسملة وأنشد ملغزاً في المرملة

ومسرورة مغمومة طول دهرها وما هي تدري ما السرور ولا الغم
تقرب أحياناً لأجل جنينها وكم والد لولاه طلقت الأم
وتبعد أحياناً وما حال عهدها وإبعاد من لم يستحل عهده ظلم

إذا قصر الليل استلذ وصالها وإن طال فالإعراض عن وصلها نعم
لها ملبس بادٍ أنيق مبطن بما يزدري لكن لها يزدري الحكم

ثم كشر عن أنيابه الصفر وأنشد ملغزاً في الظفر ٥

ومرهوب الشبا نامٍ وما يرعى ولا يشرب
يرى في العشر دون النحر فاسمع وصفه واعجب

ثم تخازر تخازر العفريت وأنشد ملغزاً في طاقة الكبريت ٥

وملحقوقين تبدي وتخفي وما منهما إذا أفكرت بد
لها رأسان مشتبهان جداً وكل منهما لأخيه ضد
تعذب إن هما خضبا وتلغى إذا عدما الخضاب ولا تعد

ثم تخمط تخمط القرم وأنشد ملغزاً في حلب الكرم ٥

وما شيء إذا فسدا تحول غيه رشدا
وإن هو راق أوصافاً أثار الشر حيث بدا
زكي العرق والده ولكن بئس ما ولدا

ثم اعتضد عصا التسيار وأنشد ملغزاً في الطيار ٥

وذي طيشة شقه مايل وما عابه بهما عاقل
يرى أبداً فوق علية كما يعتلي الملك العادل
تساوي لديه الحصا والنضار وما يستوي الحق والباطل
وأعجب أوصافه إن نظرت كما ينظر الكيس الفاضل
تراضى الخصوم به حاكماً وقد عرفوا أنه مايل

قال فظلت الأفكار تهيم في أودية الأوهام وتجول جولان المستهام إلى أن طال الأمد وحصحص الكمد فلما رآهم يرتئون ولا يسنا ويقضون النهار بالمنى قال يا قوم إلام تنظرون وحتام تنظرون ألم يأن لكم استخراج الخبي واستسلام الغبي فقالوا له تالله لقد أغوصت ونصبت الشرك فاقتنصت فتحكم كيف شئت وحز الغنم والصيت ففرض عن كل معمى فرضاً واستخلصه منهم نضاً ثم فتح الأقفال ووسم الأغفال وحاول الانجفال فاعتلق به مدرة القوم وقال لا لبسة بعد اليوم فانتسب قبل الانطلاق وهبها متعة الطلاق فأطرق حتى قلنا مريب وأنشد والدمع يجيب ٥

سروج مطلع شمسي وربع لهوي وأنسي
لكن حرمت نعيمي بها ولذة نفسي
واعتضت منها اغتراباً أمر يومي وأمسي

ما لي مقرٌّ بأرضٍ ولا قرارٌ لعيسي
يوماً بنجدٍ ويوماً بالشامِ أُضحي وأُمسي
أُزجي الزمانَ بقوتٍ منغَّصٍ مستخسِّ
ولا أبيتُ وعندي فلسٌ ومن لي بفلسِ
ومن يعش مثلَ عيشي باعَ الحياةَ ببخسِ

ثم إنه اختزن خلاصةَ النضِّ ونضا ناضياً في الأرضِ فناشدناه أن يعودَ وأسنينا له الوعودَ فلا وأبيك ما رجع ولا الترغيبُ له نجع ٥

بلغت قراءة على ابيه الله تعالى

المقامة الثالثة والأربعون

أخبر الحارثُ بن همّامٍ قال هفا بي البينُ المطوِّحُ والسيرُ المبرِّحُ إلى أرضٍ يضلُّ بها الخرّيتُ وتفرَقُ فيها المصاليتُ فوجدتُ ما يجد الحائرُ الوحيدُ ورأيتُ ما كنتُ منه أحيدُ إلا أني شجّعتُ قلبي المزءودَ ونسأتُ نضوي المجهودَ وسرتُ سيرَ الضاربِ بقدحٍ المستسلمِ للحينِ ولم أزل بين وخدٍ وذميلٍ وإجازةِ ميلٍ بعد ميلٍ إلى أن كادت الشمسُ تجبُ والضياءُ يحتجبُ فارتعتُ لإظلالِ الظلامِ واقتحامِ جيشٍ حامٍ ولم أدرِ أأكفتُ الذيلَ وأرتبطُ أم أعتمدُ الليلَ وأختبطُ

[illegible] المقامات

وبينا أنا أقلّبُ العزمَ وأمتخضُ الحزمَ تراءى لي شبحُ جملٍ مستذرٍ بجبلٍ فتوسّمته قعدةَ مرتحلٍ وقصدته قصدَ مستبحٍ فإذا الظنُّ كهانةٌ والركوبةُ عيرانةٌ والمرتحلُ قد ازدمل ببجادِه واكتحل برقادِه فجلستُ عند راسِه حتى هبَّ من نعاسِه فلما ازدهر سراجاه وأحسَّ بمن فاجاه نفر كما ينفرُ المريبُ وقال أخوك أم الذيبُ فقلتُ بل خابطُ ليلٍ ضلَّ المسلكَ فأضئ لي أقدحْ لك فقال ليسرَّ عنك همُّك فربَّ أخٍ لم تلده أمُّك فانسرى عند ذلك إشفاقي وسرى الوسنُ إلى آماقي فقال عند الصباحِ يحمدُ القومُ السرى فهل ترى ما أرى فقلتُ إني لك لأطوعُ من حذائك وأوفقُ من غذائك فقرّظ مجيئتي وتبجّح بصحبتي ثم احتملنا مجدّين وارتحلنا مدلجين ولم نزل نعاني السرى ونعاصي الكرى إلى أن بلغ الليلُ غايتَه ورفع الفجرُ رايتَه فلما أسفر الصبحُ الفاضحُ ولم يبقَ إلا واضحٌ توسّمتُ رفيقَ رحلتي وسميرَ ليلتي فإذا هو أبو زيدٍ مطلبُ الناشدِ ومعلّمُ الراشدِ فتهادينا تحيّةَ المحبّين إذا التقيا بعد البينِ ثم تباثثنا الأخبارَ وبعيري يتخبّطُ من الكلالِ وراحلتُه تزفُّ زفيفَ الرئالِ فأعجبني اشتدادُ أسرِها وامتدادُ صبرِها وأخذتُ أستشفُّ جوهرَها وأسأله من أين تخيّرَها فقال إن لهذه الناقةِ خبراً حلوَ المذاقةِ مليحَ السياقةِ فإن

الأسرار وتناثثنا

أحببت استماعه فأنخ وإن لم تشأ فلا تنخ فأنخت لقوله نضوي وأهدفت
السمع لما يروي فقال اعلم أني استعرضتها بحضرموت وكابدت في تحصيلها
الموت وما زلت أجوب عليها البلدان وأطير بها الطيران إلى أن وجدتها
عبر أسفار وعدة قفار لا يلحقها العنا ولا تواهقها وجنا ولا تدري ما
الهنا فأرصدتها للخير والشر وأحللتها محل البر السر فاتفق أن ندت
منذ مدة وما لي سواها قعدة فاستشعرت الأسف واستشرفت التلف
ونسيت كل رزء سلف ومكثت ثلاثا لا أستطيع انبعاثا ولا أطعم النوم
إلا حثاثا ثم أخذت في استقراء المسالك وتفقد المسارح والمبارك وأنا
لا أستنشي منها ريحا ولا أستغشي بأسا مريحا وكلما ادكرت مضاها في السير
وانبراها لمباراة الطير لاعني الادكار واستهوتني الأفكار فبينما أنا في
جو بعض الأحياء إذ سمعت من شخص متبعد وصوت متجرد من ضلت له مطية
حضرمية وطية جلدها قد وسم وعرها قد حسم وزمامها قد ضفر وظهرها
كأن كسر ثم جبر تبز الماشية وتعين الناشية وتقطع المسافة النائية
وتظل أبدا لك مدانية لا يعتورها الونا ولا يعترضها الوجا ولا تحوج إلى
العصا ولا تعصي فيمن عصى قال أبو زيد فحنني الصوت إلى الصائت وبشرني

بتدرك الفايت فلما أفضيت إليه وسلمت عليه قلت له سلم المطية وتسلم العطية
فقال وما مطيتك غفرت خطيتك قلت ناقة جثتها كالهضبة وذروتها كالقبة
وحلبها ملء العلبة وكنت أعطيت بها عشرين اختلت بين بين فاستزدت الذي
أعطي ودريت أنه أخطا قال فأعرض حين سمع صفتي وقال لست بصاحب
لقطتي فأخذت بتلابيبه وأصررت على تكذيبه وهممت بتمزيق جلابيبه وهو يقول
يا هذا ما مطيتي بطلبتك فاكفف من غربك ودع عن سبك وإلا فقاضني
إلى حكم هذا الحي البريء من الغي فإن أوجبها لك فتسلم وإن زواها عنك فلا
تتكلم فلم أر دوا أقصى ولا مساغ عصى إلا أن أتي الحكم ولو لكم فانخرطنا
إلى شيخ زكين النصبة أنيق العصبة يونس منه سكون الطاير وأن ليس بالجائر
فاندرأت أتظلم وأنا ألم وصاحبي مرم لا ينبس ثم حتى إذا نثلت كنانتي
وقضيت من القصص لباتي أبرز نعلا زنيه الوزن محذوة لمسلك الحزن
وقال هذه التي عرفت وإياها وصفت فإن كانت هي التي أعطي بها عشرين وها
هو من المبصرين فقد كذب في دعواه وكبر ما افتراه إلا أن يمد قذاله
وتبين مصداق ما قاله فقال الحكم اللهم غفرا وجعل يقلب النعل بطنا وظهرا
ثم قال أما هذه النعل فنعلي وأما مطيتك ففي رحلي فانهض لتسلم ناقتك وافعل الخير

بحسب طاقتك فقمت وقلت

أقسم بالبيت العتيق ذي الحرم / والطائفين العاكفين في الحرم

إنك نعم من إليه تحتكم / وخير قاض في الأعاريب حكم

فاسلم ودم دوم النعام والنعم

فأجاب من غير روية ولا عقد نية وقال

جزيت عن شكرك خيرا يا ابن عم / إذ لست أستوجب شكرا يلتزم

شر الأنام من إذا استقضى ظلم / ثم من استرعي فلم يرع الحرم

فذان والكلب سواء في القيم

ثم إنه نفذ بين يدي من سلم الناقة إلي ولم يمن علي فرحت أجر ذيل الطرب
وأقول بالعجب قال الحرث بن همام فقلت له تالله لقد أطرفت وهرفت
بما عرفت فناشدتك الله هل لقيت أسحر منك بلاغة وأحسن للفظ
صياغة فقال اللهم نعم فاسمع وانعم كنت عزمت حين أتممت على أن
أتخذ ظعينة لتكون لي معينة فحين تعين الخطب وكاد الأمر يستتب
أفكرت فكر المتحير من الوهم المتأمل كيف مسقط السهم وبت ليلتي أناجي
القلب المعذب وأقلب العزم المذبذب إلى أن أجمعت على أن أسحر

وأشاور أول من أبصر فلما قوضت الظلمة أطنابها وولت الشهب أذنابها
غدوت غدو المتعرف وابتكرت ابتكار المتعيف فانبرى لي يافع في وجهه
شافع فتيمنت بمنظره البهيج واستفتيته في التزويج فقال أوتبغيها
عوانا أم بكرا تعانى فقلت اختر لي ما ترى فقد ألقيت إليك العرى فقال
إلي التبيين وعليك التعيين فاسمع أنا أفديك بعد حفظ أعاديك أما
البكر فالدرة المخزونة والبيضة المكنونة والثمرة الباكورة والسلافة
المذخورة والروضة الأنف والطوق الذي ثمن وشرف لم يدنسها لامس
ولا استغشاها لابس ولا مارسها عابث ولا وكسها طامث ولها الوجه
الحيي والطرف الخفي واللسان العيي والقلب النقي ثم هي الدمية الملاعبة
واللعبة المداعبة والغزالة المغازلة والملحة الكاملة والوشاح الطاهر
القشيب والضجيع الذي يشب ولا يشيب وأما الثيب فالمطية
المذللة واللهنة المعجلة والبغية المسهلة والطبة المعللة والقرينة
المتحببة والحليلة المتقربة والصناع المدبرة والفطنة المختبرة ثم إنها
عجالة الراكب وأنشوطة الخاطب وقعدة العاجز ونهزة المبارز عريكتها
لينة وعقلتها هينة ودخلتها متبينة وخدمتها مزينة وأقسم لقد صدقت

في النعتين وأجليت المهاتين فبأيهما هام قلبك وعلى أيهما قام زبك قال
أبو زيد فرأيته جندلة يتقيها المراجم وتدمى منها المحاجم إلا أني قلت له
كنت سمعت أن البكر أشد حبا وأقل خبا قال لعمري قد قيل هذا ولكن كم
قول آذى ويحك أما هي المهرة الأبية العنان والمطية البطية الإذعان
والزندة المتعسرة الاقتداح والقلعة المستصعبة الافتتاح ثم إن مؤونتها
كثيرة ومعونتها يسيرة وعشرتها صلفة ودالتها مكلفة ويدها خرقاء وفتنتها
صماء وعريكتها خشناء وليلتها ليلاء وفي رياضتها عناء وعلى خبرتها غشاء
وطالما أخزت المنازل وفركت المغازل وأحنقت الهازل وأضرعت الفنيق
البازل ثم إنها التي تقول أنا ألبس وأجلس فاطلب من يطلق ويحبس فقلت له
فما ترى في الثيب يا أبا الطيب فقال ويحك أترغب في فضالة المآكل وثمالة
المناهل واللباس المستبذل والوعاء المستعمل والذواقة المتطرفة والخراجة
المتصرفة والوقاح المتسلطة والحكرة المتسخطة ثم كلمتها كنت وصرت
وطالما بغي علي فنصرت وشتان بين اليوم وأمس وأين القمر من الشمس وإن كانت
الحنانة البروك والطماحة الهلوك فهي الغل القمل والجرح الذي لا يندمل
فقلت له فهل ترى أن أرهب وأسلك هذا المذهب فانتهرني انتهار المؤدب

عند زلة المتأدب ثم قال ويلك أتقتدي بالرهبان وقد استبان الحق أف لك
ولوهن رأيك وتبا لك ولأوليك أتزهد بعدما سمعت بأن لا رهبانية في الإسلام
ولا حدثت بما نكح نبيك عليه السلام ثم أما تعلم أن القرينة الصالحة
ترب بيتك وتلبي صوتك وتغض طرفك وتطيب عرفك وبها ترى قرة عينك
وفرحة قلبك وخلد ذكرك وتعلة يومك وغدك فكيف رغبت عن سنة
المرسلين ومتعة المتأهلين وشرعة المحصنين ومجلبة المال والبنين والله
لقد ساءني فيك ما سمعت من فيك ثم أعرض إعراض المغضب ونزا نزوان
العنظب فقلت له قاتلك الله أتنطق متسخرا أو تبدع متحيرا فقال أظنك
تدعي الخبرة لتجلد عميرة وتستغني عن المهيرة فقلت له قبح الله ظنك ولا
أشب قرنك ثم زحت عنه مزاح الخزيان وتبت من مشاورة الصبيان
قال الحرث بن همام فقلت له أقسم بمن أنبت الأيك إن الجهل منك وإليك
فأغرب في الضحك وطرب طرب المنهتك ثم قال العق العسل ولا تسل فأخذت
أشهب في مدح الأدب وأفضل ربه على ذي النشب وهو ينظر إلى نظر
المستجهل ويغضي عني إغضاء المتمهل فلما أسرفت قال لي صه واسمع مني وافقه

يقولون إن جمال الفتى وزينته أدب راسخ

وما إن رزين سوى المكثرين ومن طود سودده شامخ
فأما الفقير فخير له من الأدب القرص والكامخ
وأي جمال له أن يقال أديب يعلم أو ناسخ

ثم قال ستضح لك صدق لهجتي واستنارة حجتي وسرنا لا نألو جهدا ولا نستفيق
جهدا حتى إذا أدانا السير إلى قرية عزب عنها الخير فدخلناها للارتياد وكلانا
منفض من الزاد فما إن بلغنا المحط والمناخ المختط أو لقينا غلام لم يبلغ
الحنث وعلى عاتقه ضغث فحياه أبو زيد تحية المسلم وسأله وقفة المتفهم
فقال وعم تسأل وفقك الله قال أيباع هاهنا الرطب بالخطب قال لا والله
قال ولا البلح بالملح قال كلا والله قال ولا الثمر بالسمر قال هيهات والله
قال ولا العصيدة بالقصيدة قال اسكت عافاك الله قال ولا الدقيق بالمعنى
الدقيق قال أين يذهب بك أرشدك الله قال ولا الثريد بالشعر الفريد
قال عد عن هذا أصلحك الله واستحلى أبو زيد تراجع السؤال والجواب
والتكايل من هذا الجراب ولمح الغلام أن الشوط بطين والشيخ شيطين
فقال له حسبك يا شيخ فقد عرفت فنك واستبنت أنك فخذ الجواب
صبرة واكتف به خبرة أما بهذا المكان فلا يشترى الشعر بشعيرة ولا

النثر بنثارة ولا القصص بقصاصة ولا الرسالة بغسالة ولا حكم لقمان بلقمة
ولا أخبار الملاحم بلحمة وأما جيل هذا الزمان فما فيهم من يميح إذا أصيغ
له المديح ولا من يجيز إذا أنشد الأراجيز ولا من يغيث إذا أطربه الحديث
ولا من يمير ولو أنه أمير وعندهم أن مثل الأديب كالربع الجديب إن لم تجد
الربع ديمة لم تكن له قيمة ولا دانته بهيمة وكذا الأديب إن لم يعضده نشب
فأدبه نصب وحزمه حطب ثم انصلت يعدو وولى يحدو فقال لي
أبو زيد أعلمت أن الأدب بار وولت أنصاره الأدبار فبؤت له بتحسين
البصيرة وسلمت عليه بحكم الضرورة فقال دعنا الآن من المصاع وخض
في حديث القصاع واعلم أن الأسجاع لا تشبع من جاع فما التدبير فيما
يمسك الرمق ويطفي الحرق فقلت الأمر إليك والزمام بيديك فقال
أرى أن ترهن سيفك لتشبع جوفك وضيفك فناولنيه وأقم لأنقلب
إليك بما تلتقم فأحسنت به الظن وقلدته السيف والرهن فما لبث أن ركب
الناقة ورفض الصدق والصداقة فمكثت مليا أرتقبه ثم نهضت أتعقبه وكنت كمن [illegible]

المقامة الرابعة والأربعون

حكى الحرث بن همام قال عشوت في ليلة داجية الظلم فاحمة اللمم الى نار تضرم
على علم وتخبر عن كرم وكانت ليلة جوها مقرور وجيبها مزرور ونجمها
مغموم وغيمها مركوم وأنا فيها أصرد من عين الحرباء والعنز الجرباء فلم أزل
أنض عنسي وأقول طوبى لك ولنفسي الى أن بصر الموقد آلي وتبين ارقالي
فانحدر يعدو الجمزى وينشد من نجزاه

حييت من خابط ليل سار — هداه بل أهداه ضوء النار
الى رحيب الباع رحب الدار — مرحب بالطارق المعتار
ترحاب جعد الكف بالدينار — ليس بمزور عن الزوار
ولا بمغتام القرى ميخار — إذا اقشعرت ترب الأقطار
وضنت الأنواء بالأمطار — فهو على بؤس الزمان الضاري
جم الرماد مرهف الشفار — لم يخل في ليل ولا نهار
من نحر وار واقتداح وار

ثم تلقاني بمحياه وصافحني براحة أريحية واقتادني الى بيت عشاره تخور
وأعشاره تفور وولائده تمور وموائده تدور وبأكنافه أضياف قد جلبهم
جالبي وقلبوا في قالبي وهم يجتنون فاكهة الشتاء ويمرحون مرح ذوي الفتاء

فأخذت مأخذهم في الاصطلاء ووجدت بهم وجد الثمل بالطلاء ولما أن
سري الخصر وانسري الحصر أتينا بموائد كالهالات جوفا والروضات فوفا
وقد شحنت بأطعمة الولائم وحمين من العائب واللائم فرفضنا ما قيل في البطنة
ورأينا الإمعان فيها من الفطنة حتى إذا اكتلنا بصاع الحطم وأشفينا على
خطر التخم تعاورنا مشوش الغمر ثم تبوأنا مقاعد السمر وأخذ كل منا
يشول بلسانه وينشر ما في صوانه ما عدا شيخا مشتهبا فوداه مخلولقا
برداه فإنه ربض حجرة وأوسعنا هجرة فغاظنا تجنبه الملتبس وموجبه المعذور
فيه مؤنبه إلا أنا ألنا له القول وخشينا في المسئلة العول وكلمنا منا أن
يفيض كما فضنا أو يفيض فيما أفضنا أعرض إعراض العلية عن الأرذلين وتلا
إن هذا إلا أساطير الأولين ثم كأن الحمية هاجته والنفس الأبية ناجته
فبدلف وازدلف وخلع الصلف وبذل أن يتلافى ما سلف ثم استرعى سمع
السامر واندفع كالسيل الهامر وقال

عندي أعاجيب أرويها بلا كذب — عن العيان فكنوني أبا العجب
رأيت يا قوم أقواما غذاؤهم — بول العجوز وما أعني ابنة العنب

بول العجوز لبن البقرة والعجوز أيضا من أسماء الخمر

ومستنين من الأعراب قوتهم أن يشتووا الخرقة تغني من السغب

الخرقة القطعة من الجراد

وكاتبين وما خطت أناملهم حرفا ولا قرؤوا ما خط في الكتب

الكاتبون الخرازون يقال كتب السقاء والمزادة إذا خرزهما

وكتب البغلة والناقة إذا جمع بين شفريها وخاطهما بحلقة أو سير

لا تأمنن فزاريا خلوت به على قلوصك واكتبها بأسيار

وتابعين عقابا في مسيرهم على تكميهم في البيض واليلب

العقاب الراية وكانت راية النبي صلى الله عليه تسمى العقاب

ومنتدين ذوي نبل بدت لهم نبيلة فانتدوا منها إلى الهرب

النبيلة الجيفة ومنه نبل البعير إذا مات وأروح

وعصبة لم تر البيت العتيق وقد حجت جثيا بلا شك على الركب

معنى حجت جثيا أي غلبت بالحجة مجادلين جاثين على الركب وجثي جمع جاث

ونسوة بينما أدلجن من حلب صبحن كاظمة من غير ما تعب

كاظمة في هذا الموضع كاظمة الغيظ

ومدلجين سروا من أرض كاظمة وأصبحوا حين لاح الصبح في حلب

أي أصبحوا يحلبون اللبن

وقادرين متى ما شاء صنعهم وقصروا فيه قالوا الذنب للحطب

القادر الطابخ والقدير المطبوخ في القدر

ويافعا لم يلامس قط غانية شاهدته وله نسل من العقب

النسل هاهنا العدو ومنه قوله تعالى من كل حدب ينسلون والعقب مؤخر القدم

وشائبا غير مخف للمشيب بدا في البدو وهو فتي السن لم يشب

الشائب هاهنا مازج اللبن والمشيب اللبن الممزوج

يقال مشوب ومشيب

ومرضعا بلبان لم يفه فمه رأيته في شجار بين السبب

الشجار المحفة ما لم تكن مظللة فإن ظللت فهي الهودج

والسبب هاهنا الحبل ومنه قوله تعالى فليمدد بسبب إلى السماء

وزارعا ذرة حتى إذا حصدت صارت غبيراء يهواها أخو الطرب

الغبيراء السكر المتخذ من الذرة وفي الحديث إياكم

والغبيراء فإنها خمر العالم وتسمى أيضا السكركة

وراكضا وهو مغلول على فرس قد غل أيضا وما ينفك من خبب

المغلول هاهنا العطشان وغُلّ أي عطش

وذا إطلاقٍ يقتاد راحلةً مستعجلاً وهو مأسورٌ أخو كرب

المأسور الذي يجد الأسر وهو احتباس البول

وجالساً ماشياً تهوي مطيته به وما في الذي أوردت من ريب

الجالس الآتي نجداً والماشي الذي كثرت ماشيته

وعليه فسر بعضهم قوله تعالى أن امشوا فيها كأنه

دعا لهم بالنماء وكثرة الماشية

وجابئاً أجذم الكفين ذا خرسٍ فإن عجبتم فكم في الخلق من عجب

الجابئ هاهنا الذي إذا مشى حرك منكبيه وفحج بين ركبتيه

وذا شطاطٍ كصدر الرمح قامته صادفته بمنى يشكو من الحدب

الحدب ما ارتفع من الأرض

وساعياً في مسرات الأنام يرى إقراحهم مأثماً كالظلم والكذب

إقراحهم إثقالهم ومنه قوله عليه السلام لا يترك في الإسلام

مفرح أي مثقل

ومغرماً بمناجاة الرجال له وما له في حديث الخلق من أرب

الخلق هاهنا الكذب ومنه قوله تعالى إن هذا إلا خلق الأولين

وذا ذمامٍ وفت بالعهد ذمته ولا ذمام له في مذهب العرب

الذمام الثاني جمع ذمة وهي البئر القليلة الماء وعنى

بالمذهب المسلك أي ما له آبار قليلة الماء بالبدو

وذا قوى ما استبانت قط لينته ولينه مستبين غير محتجب

اللين النخل الدقل ومنه قوله تعالى ما قطعتم من لينة

وساجداً فوق فحلٍ غير مكترثٍ بما أتى بل يراه أفضل القرب

الفحل الحصير المتخذ من فحال النخل

وعاذراً مولماً من ظل يعذره مع التلطف والمعذور في صخب

العاذر الخاتن والمعذور المختون

وبلدة ما بها ماء لمغترفٍ والماء تجري عليها جري منسرب

البلدة الفرجة بين الحاجبين وتسمى أيضاً البلجة

وقرية دون أفحوص القطا شحنت بديلمٍ عيشهم من خلسة السلب

القرية بيت النمل والديلم النمل الكثير

وكوكباً يتوارى عند رؤيته الإنسان حتى يرى في أمنع الحجب

نسخة البيضاء

الكوكب النكتة البيضاء التي تحدث في العين والإنسان هاهنا إنسان العين

وروثة قومت ما لا له خطر ونفس صاحبها بالمال لم تطب

الروثة مقدم الأنف

وصحفة من نضار خالص شربت بعد المكاس بقيراط من الذهب

النضار هاهنا شجر النبع وقول بعض التابعين

لا بأس بأن يشرب في قدح النضار عنى به هذا

ومستجيشا بخشخاش ليدفع ما أظله من أعاديه فلم يجب

الخشخاش الجماعة عليهم دروع وأسلحة

وطالما مر بي كلب وفي فمه ثور ولكنه ثور بلا ذنب

الثور القطعة من الأقط

وكم رأى ناظري فيلا على جمل وقد تورك فوق الرحل والقتب

الفيل الرجل الفائل الرأي

وكم لقيت بعرض البيد مشتكيا وما اشتكى قط في جد ولا لعب

المشتكي المتخذ شكوة وهي القربة الصغيرة

وكنت أبصرت كرازا لراعية بالدو ينظر من عينين كالشهب

١٤٣

البلدة المعروفة

الكراز الكبش يحمل عليه الراعي أداته

وكم رأت مقلتي عينين ما أوهما يجري من الغرب والعينان في حلب

الغرب مجرى الدمع والعينان المقلتان

وصادعا بالقنا من غير أن علقت كفاه يوما برمح لا ولم يثب

القنا ارتفاع الأنف وتحدب وسطه وصدع به أي كشفه

وكم نزلت بأرض لا نخيل بها وبعد يوم رأيت البسر في القلب

البسر جمع بسرة وهي الماء الحديث العهد بالمطر والقلب جمع قليب

وكم رأيت بأقطار الفلا طبقا يطير في الجو منصبا إلى صبب

الطبق القطعة من الجراد

وكم مشايخ في الدنيا رأيتهم مخلبين ومن يخلو من العطب

المخلب الذي أبطأ شيبه

وكم بدا لي وحش يشتكي سغبا بمنطق ذلق أمضى من القضب

الوحش الرجل الجائع

وكم دعاني مستنبح فحادثني وما أخل وما أخللت بالأدب

المستنبح الجالس على نجوة وهي المكان المرتفع الذي يظن أنه يجاوك

وكم أخذت قلوصي تحت جنبذة تظل ما شئت من عرب ومن عرب

الجنبذة القبة والعرب جمع عروب وهي المرأة المتحببة إلى زوجها

وكم نظرت إلى من سر ساعته ودمعه مستهل القطر كالسحب

سر أي قطع سرره وسرره وسمي ما يبقى بعد القطع السرة

وكم رأيت قميصا ضر صاحبه حتى اشتكى وأوهى الأعضاء والعصب

القميص الدابة الكثيرة القماص

وكم إزار لو ان الدهر أتلفه لجف لبد حيث اليبس مضطرب

الإزار المرأة ومنه قول الشاعر

فدى لك من أخي ثقة إزاري

هذا وكم من أفانين معجبة عندي ومن ملح تلهي ومن نخب

فإن فطنتم للحن القول بان لكم صدقي وفود لكم طلعي على رطبي

وإن شدهتم فإن العار فيه على من لا يميز بين العود والخشب

قال الحارث بن همام فطفقنا نخبط في تقليب قريضه وتأويل معاريضه وهو يلومنا على الخطأ بالشح ويقول ليس بعشكم فادرجوا إلى أن تعير التناجي واستحكم الارتتاج فألقينا إليه المقادة وخطبنا منه الإفادة فوقفنا

بين الطمع واليأس وقال الإيناس قبل الإبساس فعلمنا أنه ممن يرغب في الشكم ويرتشي في الحكم وساءنا أن نتعرض للغرم أو نخيب بالرغم فأحضر ناقة عيدية وحلة سعيدية وقال لم نأخذهما أجلا ولا ترزأ أصلا في زيالا فقال أشهد أنها شنشنة أخزمية وأريحية حاتمية ثم قابلنا بوجه بشره يشف ونضرته ترف وقال يا قوم إن الليل قد اجلوذ والنعاس قد استحوذ فافزعوا إلى المراقد واغتنموا راحة الراقد لتستربوا نشاطا وتبتغوا انشاطا فتعوا ما أفسر ويتسهل لكم المتعسر فاستصوب كل ما رآه وتوسد وسادة كراه فلما وسنت الأجفان وأغفت الضيفان وثب إلى الناقة فرحلها ثم ارتحلها وقال مخاطبا لها

سروج يا ناق فسيري وخدي — وأدلجي وأوبي وأسئدي
حتى تطا خفاك من عاها الندي — فتنعمي حينئذ وتسعدي
وتأمني أن تتهمي أو تنجدي — إيه فدتك النوق جدي واجهدي
وافري أديم فدفد ففدفد — واقتنعي بالنسج عند المورد
ولا تحطي دون ذاك المقصد — فقد حلفت حلفة المجتهد
بحرمة البيت الرفيع العمد — أنك إن أحللتني في بلدي
حللت مني بمحل الولد

قال فعلمت أنه السروجي الذي اذا باع انباع واذا املأ الصاع انصاع
ولما انبلج صباح اليوم وهب النوام من النوم أعلمتهم أن الشيخ حين
أغشاهم السبات طلقهم البتات وركب الناقة وفات فأخذهم ما
قدم منه وما حدث ونسوا ما طاب منه بما خبث ثم انشعبنا في كل مشعب
وذهبنا تحت كل كوكب ؞

قال القسم بن علي قد فسرت سر كل لغز نحته ولم أبعد على من يقرأه
كشفه وقد بقيت ألفاظ اشتملت عليها هذه المقامة ربما التبس تفسيرها
على بعض من تقع إليه فأحببت إيضاحها له ليكفى حيرة الشبهة وكلفة الفكرة
ووصمة البحث والمسألة وبالله الاستعانة والقوة ٥ قوله عشوت إلى
نار يعني تنورتها فقصدتها فإن لم تقصدها قلت عشوت عنها كقوله تعالى
ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين أي من يعرض ؞
وقوله وكنت أصرد من عين الحرباء والعنز الجرباء هذان المثلان يضربان
لمن يبلغ منه البرد وذلك لأن الحربا تدور أبدا مع الشمس وتستقبلها بعينها
والعنز الجربا لا تدفا في الشتاء لقلة شعرها وذكر بعضهم أن العنز الجربا
تصحيف المثل الأول ؞ وقوله بخروان يعني الجمل المكتنز شحما الكثير مخا ؞

شرح المقامات

وقوله عشاره تخور واعشاره تفور العشار النوق الحوامل والأعشار
البرمة العظيمة كأنها شعبت لعظمها يقال برمة أعشار وجفنة أعشار
وثوب أسمال وبرد أخلاق وحبل أرمام ووصف الجماعة منها كوصف الواحد
وقوله فاكهة الشتاء كنى به عن النار ومنه قول بعض المحدثين ٥
النار فاكهة الشتاء فمن يرد أكل الفواكه شاتيا فليصطل
وقوله موايد كالهالات يعني دارات القمر ودارة الشمس تسمى الطفاوة وقوله
مشوش الغمر يعني المنديل يقال مش يده بالمنديل أي مسحها ومنه قول امرئ القيس
نمش بأعراف الجياد أكفنا إذا نحن قمنا عن شواء مضهب
وقوله مشتهبا فوداه أي صارا من الشيب في لون الأشهب ومنه قول امرئ القيس
قالت لجيسنا لما جئتها شاب بعدي رأس هذا واشتهب
وقوله ربض حجرة يعني ناحية يقال في المثل لمن يشارك في الرخاء ويجانب
عند البلاء يرتع وسطا ويربض حجرة ؞ وقوله فاسترعى سمع السامر
يعني السمار لأن السامر اسم للجمع كالحاضر اسم للحي النازلين على الماء
كالباقر اسم لجماعة البقر وقال بعض أهل اللغة هو اسم البقر مع رعاتها
واشتقاق السامر من السمر وهو ظل القمر مأخوذ من السمرة فلما كان غالب

أحوال السماء أنهم يتحدثون في ظل القمر اشتق لهم اسم منه وإلى هذا يرجع
قولهم لا أكلمه القمر والسمر ، وقوله ليس بعشك فادرجي هذا مثل يضرب
لمن يتعاطى ما لا ينبغي له والعش ما يكون في شجر فإن كان في حائط أو كهف
جبل فهو وكر ، وقوله الإيناس قبل الإبساس هذا مثل أيضا ومعناه أنه
ينبغي أن يونس الإنسان ثم يكلف وأصله أن حالب الناقة يونسها حين يروم
حلبها ثم يبس بها للحلب والإبساس أن يقول لها بس بس لتسكن وتدر وإذا
كانت الناقة تدر على الإبساس سميت البسوس ، وقوله يرغب في الشكم
الشكم ما أعطيته على سبيل المجازاة فإن أعطيت مبتديا فهو الشكد ، وقوله
يا أبا مثوانا يعني المضيف الذي أووا إليه وثووا عنده ، وقوله ناقة عيدية
قيل إنها منسوبة إلى فحل منجب اسمه عيد وقيل هي منسوبة إلى فخذ من مهرة
اسمه عيد وكانت مهرة وعيد تتخذ انجاب الإبل فنسبت إليهما ، وقوله
حلة سعيدية هي منسوبة إلى سعيد بن العاص وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
كساه وهو غلام حلة فنسب جنسها إليه ، وقوله لا ترزأ أضيافي زبالا
أي لا ترزأهم شيئا وإن قل والأصل في الزبال ما تحمله النملة بفيها ، وقوله
شنشنة أخزمية أشار به إلى المثل الذي ضرب به جد حاتم بن عبد الله بن سعد

بن الحشرج بن أخزم الطائي حين نشأ حاتم وتقيل أخلاق جده أخزم في الجود فقال
شنشنة أعرفها من أخزم ، وتمثل عقيل بن علفة به حين قال ٥
إن بني ضرجوني بالدم   من يلق آساد الرجال يكلم   شنشنة أعرفها من أخزم
ومن ادعى أن المثل له فقد سها فيه ، وقوله اجلوذ أي أسرع في الذهاب
ومثله اخروط ، وقوله وثب إلى الناقة فرحلها يعني شد عليها الرحل وبه
سميت الراحلة لأنها فاعلة بمعنى مفعولة كقوله تعالى في عيشة راضية أي مرضية
وقوله من ماء دافق أي مدفوق والراحلة تقع على الناقة والجمل ودخول الهاء
فيها للمبالغة مثل داهية وراوية ، وقوله ارتحلها أي ركبها وفي الحديث
أن النبي صلى الله عليه وسلم سجد فركبه الحسن عليه السلام فأبطأ في سجوده
فلما قضى الصلاة قال إن ابني ارتحلني فكرهت أن أعجله ، وقوله ورحلها
أي أزعجها وأشخصها وأخذ بها في الرحيل ومنه الخبر تخرج عند اقتراب
الساعة نار من قعر عدن ترحل الناس ، وقوله ادلجي وأوبي وأسئدي
الإدلاج أن تسير الليل كله والاسم منه الدلجة بفتح الدال والادلاج
بالتشديد أن تسير من آخره والاسم منه الدلجة بضم الدال وقيل إن الدلجة
بفتح الدال وضمها بمعنى واحد والتأويب سير النهار كله والإسآد أن تسير

ليلاً ونهاراً ؛ والنشح أن تشرب دون الري ؛ وقوله فلخذهم ما قدم وما
جدث يقال ذلك لمن يستولي عليه الهم والدال من حدث تضم في هذا الموضع
وحده لتوافق لفظ قدم فإن أفرد حدث عن قدم وجب فتح الدال من حدث
ومثله قولهم هنأني ومرأني تحذف الألف من مرأني إذا ذكر مع هنأني
فإن أفردته وجب أن تقول أمرأني الشيء ؛ وقوله ذهبنا تحت كل كوكب
هذا المثل يضرب لمن تختلف في السفر طرقهم وتتباين سبلهم ٥

المقامة الخامسة والأربعون

أخبر الحرث بن همام قال كنت أخذت عن أولي التجاريب أن السفر مرآة الأعاجيب
فلم أزل أجوب كل تنوفة وأقتحم كل مخوفة حتى اجتليت كل أطروفة فمن أعجب
ما لمحته وأغرب ما استملحته أن حضرت قاضي الرملة وكان من أرباب الدولة
والصولة وقد ترافع إليه بال في بال وفتاة ذات جمال فهم الشيخ بالكلام
وتبيان المرام فمنعته الفتاة من الإفصاح وخسأته عن النباح ثم نضت
عنها فضلة الوشاح وأنشدت بلسان السليطة الوقاح ٥
يا قاضي الرملة يا ذا الذي في يده التمرة والجمرة

والظهارات والظهاير والظهران ثم الظران والأرعاظ
الظهارات جمع ظهارة ضد البطانة والظهاير جمع
ظهيرة نصف النهار والظهران جمع ظهار وهو ما
ظهر من ريش السهم والظران الحجارة والأرعاظ
جمع رعظ وهو مدخل النصل في السهم ٥ ١١٥
وعكاظ والظعن والمظ والحنظل والقارظان والأوشاظ
المظ رمان البر والقارظ جاني القرظ وهو النبات
المدبوغ به والأوشاظ الأخلاط والجماعات ٥
وظراب الظران والشنظف الباهظ والجعظري والجواظ
الظراب الربا الصغار واحدها ظرب والظران ٥
الحجارة المحددة واحدها ظرر والجعظري
المنتفخ بما ليس عنده والجواظ الفاجر وقيل الأكول
والشنظف المحتال
والظرابين والحناظب والعنظب ثم الظيان والأرعاظ
الظرابين جمع ظربان وهي دابة لا يطاق فسوها
ويجمع أيضاً على ظرابي بحذف النون والحناظب

ذكور الخنافس والعنظب ذكور الجراد والظيان
ياسمين البر والأرعاظ جمع رعظ وهو مدخل النصل في السهم

والشناظي والدلظ والظاب والظبظاب والعنظوان والجنعاظ

الشناظي نواحي الجبل والدلظ الدفع والظاب
الصخب وتبدل الباء منه ميما وقيل إن الظاب
والظام اسمان لسلف الرجل والعنظوان نبت
والظبظاب الداء يقال ما به ظبظاب كما يقال
ما به قلبة والجنعاظ الأحمق وقيل المتسخط عند الطعام

والشناظير والتعاظل والعظلم والبظر بعد والإنعاظ

الشناظير جمع شنظير وهو السيء الخلق والتعاظل
تلازم الجراد والكلاب عند السفاد والعظلم الخطمي

هي هذي سوى النوادر فاحفظها لتقفو آثار الحفاظ

واقض فيما صرفت منها كما تقضيه في أصله كقيظ وقاظوا

فقال له الشيخ أحسنت لا فض فوك ولا بر من يجفوك فوالله إنك مع الصبى
الغض لأحفظ من الأرض وأجمع من يوم العرض ولقد أوردتك وزففتك زلالي

اوردتكم زلالي

تحاكمهما فمكنه من نعليه وأحبولة من حبايل ختله فأحفظ القاضي ما سمع
وتلهب كيف خدع ثم قال للواشيين بهما قم فردهما ثم اقصدهما وصدهما فنهض
ينفض مذرويه ثم عاد يضرب أصدريه فقال له القاضي أظهرنا على ما نبثت
ولا تخف ما استخبثت فقال ما زلت أستقري الطرق وأستفتح الغلق إلى ٤٢
أن أدركتهما مصحرين وقد زما مطي البين فرغبتهما في العلل وكفلت لهما بنيل
الأمل فأشرب قلب الشيخ أن ييأس وقال الفرار بقراب أكيس وقالت هي بل
العود أحمد والفروقة ينكد فلما تبين الشيخ سفه رأيها وعز اجترايها أمسك
ذلاذلها ثم أنشأ يقول لها

دونك نصحي فاقتفي سبله ... واغني عن التفصيل بالجمله

طيري متى نفرت من نخلة ... وطلقيها بتة بتله

وحاذري العود إليها ولو ... سبلها ناطورها الأبله

فخير ما للص ألا يرى ببقعة ... فيها له عمله

ثم قال لي لقد عنيت فيما وليت فارجع من حيث جيت وقل للمرسلك إن شيت

رويدك لا تعقب جميلك بالأذى ... فتضحي وشمل المال والحمد منصدع

ولا تغضبن من رد سايل فما هو ... في مصوغ اللسان بمبتدع

وإن تك قد ساءتك مني خديعة فقبلك شيخ الأشعريين قد خدع

فقال القاضي قاتله الله فما أحسن شجونه وأحلى جده ومجونه ثم إنه أصحب زائره بردين وصرة من العين وقال له سر سير من لا يرى الالتفات إلى أن ترى الشيخ والفتاة فقبل يديهما بهذا الحباء وبين لهما انخداعي للأدباء قال الراوي فلم أر في الاغتراب كهذا العجاب ولا سمعت بمثله ممن جال وجاب ٥

المقامة السادسة والأربعون

حدث الحرث بن همام قال نزع بي إلى حلب شوق غلب وطلب يا له من طلب وكنت يومئذ خفيف الحاذ حثيث النفاذ فأخذت أهبة السير وخففت نحوها خفوف الطير ولم أزل مذ حللت ربوعها وارتبعت ربيعها أفلي الأيام فيما يشفي الغرام ويروي الأوام إلى أن أقصر القلب عن ولوعه واستطار غراب البين بعد وقوعه فأغراني البال الخلو والمرج الحلو بأن أقصد حمص لأصطاف ببقعتها وأستبر رقاعة أهل رقعتها فانسرعت إليها انسراع النجم إذا انقض للرجم فلما خيمت برسومها ووجدت روح نسيمها لمح طرفي شيخا قد أقبل هريره وأدبر غريره وعنده عشرة صبيان صنوان وغير صنوان فطاوعت في قصده

للحرص لا للخبر أدبا أهل حمص فهش لي حين وافيته وحيا بأحسن مما حييته فجلست لأبلو اجتناء نطقه وأكتنه كنه حمقه فما لبث أن أشار بعصيته إلى أكبر صبيته وقال له أنشد الأبيات العواطل واحذر أن تماطل فجثا جثوة ليث وأنشد من غير ريث ٥

أعدد لحسادك حد السلاح وأورد الآمل ورد السماح ج

وصارم اللهو ووصل المها وأعمل الكوم وسمر الرماح خ

واسع لإدراك محل سما عماده لا لادراع المراح ج

والله ما السؤدد حسو الطلا ولا مراد الحمد رود رداح خ

واها لحر صدره واسع وهمه ما سر أهل الصلاح خ

مورده حلو لسؤاله وماله ما سألوه مطاح خ

ما أسمع الآمل ردا ولا ماطله والمطل لؤم صراح خ

ولا أطاع اللهو لما دعا ولا كسا راحا له كأس راح ج

سوده إصلاحه سره وردعه أهواءه والطماح ج

وحصل المدح له علمه ما مهر العور مهور الصحاح ج

فقال له أحسنت يا بدير يا ابن الدبير ثم قال لتلوه المشتبه بصنوه ادن يا نوير يا قمر الدوير فدنا ولم يتباطا حتى حل منه مقعد المعاطى فقال له اجل الأبيات

العرائس وإن لم يكن نفائس فبرى القلم وقط ثم اتخذ اللوح وخط

فتنتني فجننتني تجني ... بتجن يفتن غب تجني

شغفتني بجفن ظبي غضيض ... غنج يقتضي تغيض جفني

غشيتني بزينتين فشفتني ... بزي يشف بين تثني

فطنت تجتبيني فجزت ... بنفث يشفي فخيب ظني

فنزت في تجني فشفتني ... بنشيج يشجي بفن ففن

فلما نظر الشيخ إلى ما حبره وتصفح ما زبره قال له بورك فيك من طلا كما بورك في لا ولا ثم هتف بأقرب يا قطرب فاقترب منه فتى يحكي نجم دجية أو تمثال دمية فقال له ارقم الأبيات الأخياف وتجنب الخلاف فأخذ القلم ورقم

اسمح فبث السماح زين ... ولا تخب آملا تضيف

ولا تجز رد ذي سؤال ... فتن أم في السؤال خفف

ولا تظن الدهور تبقي ... مال ضنين ولو تقشف

واحلم فخف الكرام يخفي ... وصدهم في العطا تعفف

ولا تخن عهد ذي وداد ... ثبت ولا تبغ ما تزيف

فقال له لا شلت يداك ولا كلت مداك ثم نادى يا غشمشم يا عطر منشم فلباه

١٥٠

غلام كدرة غواص أو جوذر قناص فقال له اكتب الأبيات المتائيم ولا تكن من المشائيم فتناول القلم المثقف وكتب ولم يتوقف

زينت زينب بقد يقد ... وتلاه ويلاه نهد يهد

جندها جيدها وظرف وطرف ... ناعس ناعس يجد بحد

قدها قد زها وتاهت وباهت ... وأغدت وأغرت بخد تخد

فأرقتني فأرقتني وشطت ... وسطت ثم نم وجد وجد

فدنت فديت وحنت وحيت ... مغضبا مغضبا يود يود

قال فجعل الشيخ يتأمل ما سطره ويقلب فيه نظره فلما استحسن خطه واستصح ضبطه قال له لا شل عشرك ولا استخشت نشرك ثم أهاب بفتى فتان يسفر عن أزهار بستان فقال له أنشد البيتين المطرفين المشتبهي الطرفين اللذين أسكتا كل نافث وأمنا أن يعززا بثالث فقال له اسمع لا وقر سمعك ولا هزم جمعك وأنشد من غير تلبث ولا تريث

سم سمة تحسن آثارها ... واشكر لمن أعطى ولو سمسمه

والمكر مهما اسطعت لا تأته ... لتقتني السودد والمكرمه

فقال له أجدت يا زغلول يا أبا الغول ثم نادى أوضح يا ياسين ما يشكل من

الغلول

ذوات السين فنهض ولم يتأن وأنشد بصوت أغن ٥

نفس الدواة ورسغ الكف مثبتة سيناهما إن هما خطا وإن درسا

وهكذي السين في قسب وباسقة والسخ والبخس واقسر واقبس قبسا

وفي تقسقست بالليل الكلام وفي مسيطر وشموس واتخذ جرسا

وفي قريس وبرد قارس فخذ الصواب مني وكن للعلم مقتبسا

قال له أحسنت يا نغيش يا صناجة الجيش ثم قال ثب يا عنبسة وبين الصادات

الملتبسة فوثب وثبة شبل مثار ثم أنشد من غير عثار ٥

بالصاد تكتب قد قصصت دراهما بأناملي وأصخ لتستمع الخبر

وبصقت أبصق والصماخ وصنجة والقص وهو الصدر واقتص الأثر

ونحصت مقلته وهذي قرصة وقد ارعدت منه الفريصة للخور

وقصرت هندا أي حبست وقد دنا فصح النصارى وهو عيد منتظر

وقرصته والخبز قارصة إذا حذت اللسان وكل ذلك مستطر

فقال له رعيا لك يا بني فلقد أقررت عيني ثم استنهض ذا لحية كالبيذق ونغشة

كالشوذق وأمره بأن يقف بالمرصاد ويسرد ما أجري على السين والصاد فنهض

يسحب برديه ثم أنشد مشيرا بيديه ٥

إن شئت بالسين فاكتب ما أبينه وإن تشأ فهو بالصادات يكتتب

مغس وفقس ومسطار وملمس وسالغ وسراط الحق والسقب

المغس الوجع المعترض في الجوف وهو بسكون الغين والفقس فقس البيضة والمسطار

الخمرة المزة ويقال لها المسطارة أيضا والملمس الذي يسقط من يدك ولا تشعر به

والسالغ آخر أسنان ذوات الظلف والسقب القرب ٥

والسامغان وصقر والسويق ومسلاق وعن كل هذا أفصح الكتب

السامغان جانبا الفم والمسلاق الشديد الصوت ومنه قوله تعالى سلقوكم

بألسنة حداد ؛ فقال له أحسنت يا خبقة يا عين بقة ثم نادى يا دغفل

يا أبا زنفل تقول العرب لمن تصغر إليه نفسه خبقة بالحاء غير معجمة ويقال

خبقة معجمة والزنفل الداهية وهو مشية المثقل فلباه فتى أحسن من بيضة

في روضة فقال ما عقد الأفعال التي آخرها حرف اعتلال فقال له اسمع لا صم

صداك ولا سمعت عداك ثم أنشد وما استرشد ٥

إذا الفعل يوما غم عنك هجاؤه فألحق به تاء الخطاب ولا تقف

فإن كان قبل التاء ياء فكتبه بياء وإلا فهو يكتب بالألف

ولا تحسب الفعل الثلاثي والذي تعداه والمهموز في ذاك يختلف

فطرب الشيخ لما أداه وعوذه وفداه ثم قال هلم يا قعقاع يا باقعة البقاع
فأقبل أحسن من نار القرى في عين ابن السرى ثم قال له اصدع بتمييز الظاء
من الضاد لتصدع أكباد الأضداد فاهتز لقوله واهتش وأنشد بصوت أجش

أيها السائلي عن الضاد والظاء لكيلا تضله الألفاظ
إن حفظ الظاءات يغنيك فاسمعها استماع امرئ له استيقاظ
هي ظمياء والمظالم والإظلام والظلم والظبى واللحاظ
والعظا والظليم والظبي والشيظم والظل واللظى والشواظ
والتظني واللفظ والنظم والتقريظ والقيظ والظما واللماظ
والحظى والنظير والظئر والجاحظ والناظرون والإيقاظ
والتشظي والظلف والعظم والظنبوب والظهر والشظا والشظاظ
والأظافير والمظفر والمحظور والحافظون والإحفاظ
والحظيرات والمظنة والظنة والكاظمون والمغتاظ
والوظيفات والمواظب والكظة والإنتظار والإلظاظ
ووظيف وظالع وعظيم وظهير والفظ والإغلاظ
ونظيف والظرف والظلف الظاهر ثم الفظيع والوعاظ

الظلف منع النفس عن المطامع

١٥٢

إليك أشكو جور بعلي الذي لم يحجج البيت سوى مبرزه
وليته لما قضى نسكه وخف ظهرا إذ رمى الجمره
كان على رأي أبي يوسف في صلة الحجة بالعمره
هذا على أني مذ ضمني اليه لم أعص له إمره
فمره إما ألفه حلوة ترضي وإما فرقه مره
من قبل أن أخلع ثوب الحيا في طاعة الشيخ أي مره

فقال له القاضي قد سمعت ما عزتك إليه وتوعدتك عليه فجانب ما عرك
وحاذر أن تفرك وتغرك فجثا الشيخ على ثفناته وفجر ينبوع نفثاته وقال

اسمع عدلك الذم قول امرئ يوضح فيما رابها عذره
والله ما أعرضت عنها قلى ولا هوى قلبي قضى نذره
وإنما الدهر عدا صرفه فابتزنا البدرة والبذره
فمنزلي قفر كما جيدها عطل من الجزعة والشذره
وكنت من قبل أرى في الهوى ودينه رأي بني عذره
فمذ نبا الدهر هجرت الذي يهجر إن عف أخو جدره
وملت عن حرثي لا رغبة عنه ولكن أتقي بذره

فلا تلم من هذه حالُه واعطف عليه واحتمل هذرَه
قال فانتضت المرأة من مقالها وانتصبت للحج جدالها وقالت له ويلك يا مُرَّ فعال
يا من هو لا طعام ولا طعان أتضيق بالولد ذرعاً وتكل أكولته مرعى لقد ضل فهمك
وأخطأ سهمك وسفهت نفسك وشقيت بك عرسك فقال لها القاضي أما أنتِ فلو
جادلت الخنساء لانثنت عنك خرساء وأما هو فإن كان صدق في زعمه وحجة دعوى
عدمه فله في همه بقية ما يشغل عن ذربه فاطرقت تنظر إليه ازوراراً ولا ترجع
جواباً حتى قلنا قد زجرها الخفر أو حاق بها الظفر فقال لها الشيخ تعساً لك
إن زخرفت أو كتمت ما عرفت فقالت وبخل وهل بعد المنافرة كتم أو تبقى لنا
على سر ختم وما فينا إلا من صدق وهتك صونه إذ نطق فليتنا لاقينا البكم
ولم نلق الحكم ثم التفعت بوشاحها وتباكت لافتضاحها وجعل القاضي يعجب
من خطبهما ويتعجب ويلوم لهما الدهر ويؤنب ثم أحضر من الورق ألفين وقال
أرضيا بهما الأجوفين وعاصيا النازغ بين الإلفين فشكراه على حسن السراح
وانطلقا وهما كالماء والراح وطفق القاضي بعد مسرحهما وتنائي شبحهما
يثني على أدبهما ويقول هل من عارف بهما فقال له عين أعوانه وخالصة خلصانه
أما الشيخ فالسروجي المشهود بفضله وأما المرأة فقعيدة رحله وأما

وتثقفكم تثقيف العوالي فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون
قال الحارث بن همام فعجبت لما أبدى من براعة مقرونة برقاعة وأوضح من خلاقة
ممزوجة بحماقة ولم يزل طرفي يصعّد فيه ويصوّب وينقّر عنه وينقّب وهو
كمن ينظر في ظلماء أو يسري في بهماء فلما استراب تنهّي واستبان تدلّهي حملق
إليّ وتبسم وقال لم يبق من تتوسم فنبهت للنحوي كلامه ووجدته أبا زيد عند
ابتسامه وأخذت ألومه على تدرعه النوكى وتخيّره حرفة الحمقى فكان وجهه
أُسِفَ رماداً أو أُشرب سواداً إلا أنه أنشد وما تمادى ٥

تخيّرت حمص وهدي الصناعة ... لأرزق حظوة أهل الرقاعة

الأرقع

فما يحظى في الدهر غير الوضيع ... ولا يوطن المال إلا بقاعه

ولا لأخي اللب من دهره ... سوى ما لعير ربيط بقاعه

ثم قال أما إن التعليم أشرف صناعة وأربح بضاعة وأنجح شفاعة وأفضل
براعة وربه ذو إمرة مطاعة وهيبة مشاعة ورعية مطواعة يستيطر تسيطر
أمير ويترتب ترتيب وزير ويتحكم تحكم قدير ويتشبه بذي ملك كبير لولا أنه
يخرف في أمد يسير ويتسم بحمق شهير ويسقط بعقل صغير ولا ينبئك مثل خبير
فقلت له تالله إنك لابن الأيام وعلم الأعلام والساحر اللاعب بالأفهام

المذلل له سبل الكلام ثم لم أزل معه مكتنفا بنادمته ومغترفا من سيل وابله
إلى أن غابت الأيام الغر ونابت الأحداث الغبر ففارقته ولعيني العبرة ٥

بلغت قراءة على ... أيده الله تعالى

المقامة السابعة والأربعون

حكى الحارث بن همام قال احتجت إلى الحجامة وأنا بحجر اليمامة فأرشدت
إلى شيخ يحجم بلطافة ويسفر عن نظافة فبعثت غلامي لإحضاره وأرصدت
نفسي لانتظاره فأبطأ بعدما انطلق حتى خلته قد أبق أو ركب طبقا عن طبق ثم
عاد عود المخفق مسعاه الكل على مولاه فقلت له ويلك أبطء فند وصلود
زند فزعم أن الشيخ أشغل من ذات النحيين وفي حرب أكثر من حنين
فخففت المشي إلى الحجام وحرت بين الإقدام والإحجام ثم رأيت ألا تعنيف على
من يأتي الكنيف فلما شهدت موسمه وشاهدت ميسمه رأيت شيخا هيئته
نظيفة وحركته خفيفة وعليه من النظارة أطواق ومن الزحام طباق
وبين يديه فتى كالصمصامة مستهدف للحجامة والشيخ يقول له أراك
قد أبرزت راسك قبل أن تبرز قرطاسك ولبيتني قبل الكد ولم تقل إلى أدالك
ولست ممن يبيع نقدا بدين ولا يطلب أثرا بعد عين فإن أنت رضخت بالعين

جثمت في الأخدعين وإن كنت ترى الشح أولى وحزن الفلس في النفس أحلى فاقرأ
عبس وتولى واغرب عني وإلا فقال الفتى والذي حرم صوغ المين كما حرم صيد
الحرمين إني لأفلس من ابن يومين فثق بسيل تلعتي وأنظرني إلى استعتي فقال
الشيخ ويحك إن مثل الموعود كغرس العود هو بين أن يبدله العطب أو
يدرك منه الرطب فما يدريني أأجتني من عودك الجنى أم أحصل منه على الضنا ثم
ما الثقة بأنك حين تستعد تستفي بما تعد وقد صار الغدر كالتحجيل في حلية
هذا الجيل فأرحني بالله من التعذيب وارحل إلى حيث يعوي الذيب فاستوى
الغلام إليه وقد استولى الخجل عليه وقال والله ما تخيس بالعهد غير
الخسيس الوغد ولا يرد غدير الغدر إلا الوضيع القدر ولو عرفت من أنا
لما أسمعتني الخنا ولكنك جهلت فقلت وحيث وجب أن تسجد بلت وما أقبح
الغربة والإقلال وأحسن قول من قال ٥

إن الغريب الطويل الذيل ممتهن ... فكيف حال غريب ما له قوت
لكنه ما تشين الحر موجعة ... فالمسك يسحق والكافور مفتوت
وطالما أصلي الياقوت جمر غضا ... ثم انطفى الجمر والياقوت ياقوت

فقال له الشيخ يا ويلة أبيك وعولة أهليك أأنت في موقف فخر بظهر ونسب

يشهد أم موقف جلد يكشط ووقفا يشرط وهب أن لك البيت كما ادعيت
أيحصل بذلك نجح قدرك لا والله ولو أن أباك أناف على عبد مناف أو
خالك داني عبد المدان فلا تضرب في حديد بارد ولا تطلب ما لست له بواجد
وباه إذا باهيت بموجودك لا بجدودك وبمحصولك لا بأصولك وبصفاتك
لا برفاتك وبأعلاقك لا بأعراقك ولا تطع الطمع فيذلك ولا تتبع الهوى
فيضلك ولله القائل لابنه حيث يقول ٥

بني استقم فالعود تنمي عروقه قويما ويغشاه إذا ما التوى التوى
ولا تطع الحرص المذل وكن فتى إذا التهبت أحشاؤه بالطوى طوى
وعاص الهوى المردي فكم من محلق إلى النجم لما أن أطاع الهوى هوى
وأسعف ذوي القربى فيقبح أن يرى على من إلى الحر اللباب انضوى ضوى
وحافظ على من لا يخون إذا نبا زمان ومن يرعى إذا ما النوى نوى
وإن تقدر فاصفح فلا خير في امرئ إذا اعتلقت أظفاره بالشوى شوى
وإياك والشكوى فلم ير ذا نهى شكا بل أخو الجهل الذي ما غوى عوى

فقال الغلام للنظارة بالعجيبة والطرفة الغريبة أنف في السماء واست في الماء
ولفظ كالصهباء وفعل كالحصباء ثم أقبل على الشيخ بلسان سليط وغيظ

سابعة عشر المقامات

١٥٥

مستشيط وقال أف لك من ضواغ باللسان زواغ عن الإحسان تأمر بالبر
وتعق عقوق الهر فإن يكن سبب تعنتك نفاق صنعتك فرماها الله
بالكساد وإفساد الحساد حتى ترى أفرغ من حجام ساباط وأضيق
رزقا من سم الخياط فقال له الشيخ بل سلط الله عليك بثر الفم وتبيغ
الدم حتى تلجأ إلى حجام عظيم الاشتطاط ثقيل الاشتراط كليل
المشراط كثير المخاط والضراط قال فلما تبين الفتى أنه يشكو
إلى غير مصمت ويزاول استفتاح باب مصمت أضرب عن رجع الكلام
واحتفز للقيام وعلم الشيخ أنه قد ألام بما أسمع الغلام فجنح
إلى سلمه وبذل أن يدع عن الحكمة ولا يبغي أجرا على حجمه وأبى الغلام
إلا المشي بدائه والهرب من لقائه وما زال إلا في حجاج وسباب ولزاز
وجذاب إلى أن ضج الفتى من الشقاق وتلا سورة الانشقاق فأعول
حينئذ لو فاته خسره وانعطاط عرضه وطمره وأخذ الشيخ يعتذر
من فرطاته ويغيض من عبراته وهو لا يصغي إلى اعتذاره ولا يقصر
عن استعباره إلى أن قال له فداك عمك وعداك ما يغمك أما
تسأم الإعوال أما تعرف الاحتمال ألم تسمع بمن قال وأخذ بقول من قال

احمد بحلمك ما يذكيه ذو سفهٍ من نار غيظك واصفح إن جنى جاني
فالحلم أفضل ما ازدان اللبيب به والأخذ بالعفو أحلى ما جنى جاني

فقال له الغلام أما إنك لو ظهرت على عيشي المنكد لعذرت في دمعي المنهمر ولكن هان على الأملس ما لاقى الدبر ثم كأنه نزع إلى الاستحياء فأقلع عن البكاء وفاء إلى الارعواء وقال للشيخ قد صرت إلى ما اشتهيت فارقع ما أوهيت فقال هيهات شغلت شعابي جدواي فشم بارق سواي ثم إنه نهض يستقري الصفوف ويستجدي الوقوف وينشد في ضمن ما هو يطوف

أقسم بالبيت الحرام الذي تهوي إليه الزمر المحرمه
لو أن عندي قوت يوم لما أمسيت بين المشراط والمحجمه
ولا ارتضت نفسي التي لم تزل تسمو إلى المجد بهذي السمه
ولا اشتكى هذا الفتى غلظة مني ولا شاكته مني حجمه
لكن صروف الدهر غادرنني كخابط في الليلة المظلمه
واضطرني الفقر إلى موقف من دونه خوض اللظى المضرمه
فهل فتى تبذل كرمه رقة علي أو تعطفه مرحمه

قال الحرث بن همام فكنت أول من أوى لبلواه ورقى لشكواه فنفحته بدرهمين وقلت لكما نا ولو كان ذا مين فابتهج بباكورة جناه وتفاءل بها لغناه ولم تزل الدراهم تنهال عليه وتنثال لديه حتى آل ذا غنيمة خضراء وحقيبة بجراء فارتجاه الفرح عند ذلك وهنا نفسه هنالك وقال للغلام هذا ربع أنت بذرته وحلب لك شطره فهلم لنقتسم ولا تحتشم فقاسمناه بينهما شق الأبلمة ونفضا متفقي الكلمة ولما انتظم عقد الاصطلاح وهم الشيخ بالرواح قلت له قد تبوغ دمي وتقلت إليك قدمي فهل لك في أن تحجمني وتكفكف ما دهمني فصوب طرفه في وصعد ثم ازدلف إلي وأنشد

كيف رأيت خدعتي وختلي ... وما جرى بيني وبين سخلي
حتى انثنيت فائزا بالخصل ... أرعى رياض الخصب بعد المحل
بالله يا مهجة قلبي قل لي ... هل أبصرت عيناك قط مثلي
يفتح بالرقية كل قفل ... ويستبي بالسحر كل عقل
ونمزج الجد بماء الهزل ... إن بكر الإسكندري قبلي
فالطل قد يبدو أمام الوبل ... والفضل للوابل لا للطل

قال فنبهتني أرجوزته عليه وأرتني أنه شيخنا المشار إليه فقرعته
على الابتذال والالتحاق بالأرذال فأعرض عما سمع ولم يبل بما قرع
وقال كل الحذاء يحتذي الحافي الوقع ثم فاصاني مفاصاة المهان
وانطلق وابنه كفرسي رهان

قال القسم بن علي قد أودعت هذه المقامة بضعة عشر
مثلا من أمثال العرب فسرت منها ما خلته يلتبس على من يقتبس
أما قوله أبطأ من فند فهو مولى عايشة بنت سعد بن أبي وقاص وكانت
بعثته بالمدينة ليقتبس لها نارا فقصد مصر وأقام بها سنة ثم جاءها
بعد السنة يشتد ومعه جمر فتبدد منه فقال تعست العجلة
وأما ذات النحيين فهي امرأة من تيم الله بن ثعلبة حضرت سوق عكاظ
ومعها نحيا سمن فاستخلى بها خوات بن جبير الأنصاري ليبتاعهما
منها ففتح أحدهما وذاقه ودفعه إليها فأخذته بإحدى يديها
ثم فتح الآخر وذاقه ودفعه إليها فأمسكته بيدها الأخرى
ثم غشيها وهي لا تقدر على الدفع عن نفسها لحفظها فم النحيين
وشحها على السمن فلما قام عنها قالت له لا هنأك فضرب بها المثل

فيمن شغل وهي في هذا المثل مفعولة لأنها شغلت وأكثر الأمثال
التي على أفعل تأتي من فعل الفاعل وأما قوله أنف في السماء
واست في الماء يضرب هذا المثل لمن يتكبر مقالا ويصغر فعالا
وأما قوله أفرغ من حجام ساباط فذكر أنه كان حجاما لازما
ساباط المداين يحجم الجندي بدانق نسيئة ومن تمام مرت به برهة
لا يقربه فيها أحد فكان يبرز أمه عند تمادي عطلته فيحجمها
لكيلا يقرع بالبطالة فما زال يحجمها حتى نزف دمها وماتت
وأما قوله يشكو إلى غير مصمت فهو مثل يضرب لمن لا يكترث بشأن
صاحبه ولا يبالي باستماع شكايته لأنه لو أشكاه لصمت
وأمسك عن الكلام ومنه قول الراجز يخاطب جملا له

إنك لا تشكو إلى مصمت   فاصبر على الحمل الثقيل أو مت

ونحو هذا المثل هان على الأملس ما لاقى الدبر وأما قوله
شغلت شعابي جدواي فالمراد به أنه ليس يفضل عني ما أصرفه إلى غيري
والشعاب النواحي واحدها شعب وقوله كل الحذاء يحتذي
الحافي الوقع معناه أن المجهود يقنع بما يجد والوقع أن تصيب

الحجارة القدم فتوهمتها فأما البعير الموقع فهو الذي تكثر آثار الدبر بظهره ٥

المقامة الثامنة والأربعون وتعرف بالحرامية

وهي أول مقامة أنشأها الشيخ الرئيس رحمه الله

روى الحرث بن همام قال ما زلت عن أبي زيد السروجي قال ما زلت
مذ رحلت عنسي وارتحلت عن عرسي وغرسي أحن إلى عيان البصرة
حنين المظلوم إلى النصرة لما أجمع عليه أرباب الدراية وأصحاب
الرواية من خصائص معالمها وعلمائها ومآثر مشاهدها وشهدائها
وأسأل الله أن يوطئني ثراها لأفوز بمتمناها وأن يمطيني قراها
لأقتري قراها فلما أحلنيها الحظ وسرح لي فيها اللحظ ٥
رأيت بها ما يملأ العين قرة ويسلي عن الأوطان كل غريب
فغلست في بعض الأيام حين نصل خضاب الظلام وهتف أبو المنذر
بالنوام لأخطو في خططها وأقضي الوطر من توسطها فأداني الاختراق
في مسالكها والانصلات في سككها إلى محلة موسومة بالاحترام
منسوبة إلى بني حرام ذات مساجد مشهودة وحياض مورودة ومبان
وثيقة ومغان أنيقة وخصائص أثيرة ومزايا كثيرة ٥

بها ما شئت من دين ودنيا وجيران تنافوا في المعاني
فمشغوف بآيات المثاني ومفتون برنات المثاني
ومضطلع بتلخيص المعاني ومطلع إلى تخليص عاني
وكم من قارئ فيها وقار أضر بالجفون وبالجفان
وكم من معلم للعلم فيها وناد للندى حلو المجاني
ومغنى ما تزال تغن فيه أغاريد الغواني والأغاني
فصل إن شئت فيها من يصلي وإما شئت فادن من الدنان
ودونك صحبة الأكياس فيها أو الكاسات منطلق العنان

قال فبينما أنا أنفض طرقها وأستشف رونقها وأعجب بتقويم قبلها
وأتعجب من تكاثر مساجدها وتقابلها إذ لمحت عند دلوك براح
وإظلال الرواح مسجدا مشتهرا بطرائقه مزدهرا بطوائفه وقد أجرى
أهله ذكر حروف البدل وجروا في حلبة الجدل فعجت نحوهم
لأستمطر نوءهم لا لأقتبس نحوهم فما كان إلا كقبسة العجلان حتى
ارتفعت الأصوات بالأذان ثم ردف التأذين بروز الإمام فأغمدت
ظبى الكلام وحلت الحبى للقيام وشغلنا بالقنوت عن استمداد القوت

وبالسجود عن استنزال الجود ولما قضينا صلاة الفرض وكاد الجمع
ينفض انبرى من الجماعة كهل حلو البراعة له مع السمت الحسن
ذلاقة اللسن وفصاحة الحسن فقال يا خيرة الذين اصطفيتهم
على أغصان شجرتي وجعلت خطتهم دار هجرتي واتخذتهم كرشي
وعيبتي أما تعلمون أن لبوس الصدق أبهى الملابس الفاخرة وأن فضوح
الدنيا أهون من فضوح الآخرة وأن الدين إمحاض النصيحة والإرشاد
عنوان العقيدة الصحيحة وأن المستشار مؤتمن والمسترشد بالنصح
قمن وأن أخاك هو الذي عذلك لا الذي عذرك وصديقك من صدقك
لا من صدّقك فقال له الحاضرون أيها الخل الودود والخدن المودود
ما سر كلامك الملغز وما شرح خطابك الموجز وما الذي تبغيه منا
لينجز فوالذي حبانا بمحبتك وجعلنا من صفوة أحبتك ما نألوك نصحا
ولا ندخر عنك نضحا فقال لقيتم خيرا ووقيتم ضيرا فإنكم من لا
يشقى بهم جليس ولا يصدر عنهم تلبيس ولا يخيب فيهم مظنون ولا يطوى
دونهم مكنون وسأبثكم ما حاك في صدري وأستفتيكم فيما عيل
له صبري اعلموا أني كنت عند صلود الزند وصدود الجد أخلصت

مع الله نية العقد وأعطيته صفقة العهد على أن لا أسبأ مداما ولا
أعاقر ندامى ولا أحتسي قهوة ولا أكتسي نشوة فسولت لي النفس المضلة
والشهوة المزلة أن نادمت الأبطال وعاطيت الأرطال وأضعت الوقار
وارتضعت العقار وامتطيت مطا الكميت وتناسيت التوبة تناسي الميت
ثم لم أقنع بما أتيته من المره في طاعة أبي مرة حتى عكفت على الخندريس في
يوم الخميس وبت صريع الصهباء في الليلة الغراء وها أنا بادي الكآبة
لرفض الإنابة نامي الندامة لوصل المدامة شديد الإشفاق من نقض الميثاق
معترف بالإسراف في عب السلاف

فيا قوم هل كفارة تعرفونها ... تباعد من ذنبي وتدني إلى ربي

قال أبو زيد فلما حل أنشوطة نفثته وفرغ من أشكاء بثته
ناجتني نفسي يا أبا زيد هذه نهزة صيد فشمر عن يد وأيد فنهضت من
مجثمي نهوض الشهم وانخرطت من الصف انخراط السهم وقلت

أيها الأروع الذي فاق مجدا وسوددا
والذي يبتغي الرشاد لينجو به غدا
إن عندي علاج ما بت منه مسهدا

فاستمعها عجيبة غادرتني مبلدا
أنا من ساكني سروج ذوي الدين والهدى
كنت ذا ثروة بها ومطاعا مسودا
مربعي مألف الضيوف وما لي لهم سدى
أشتري الحمد باللهى وأقي العرض بالجدا
لا أبالي بمنفس طاح في البذل والندى
أوقد النار باليفاع إذا النكس أخمدا
ويراني المؤملون ملاذا ومقصدا
لم يشم بارقي صد فانثنى يشتكي الصدا
لا ولا رام قابس قدح زندي فأصلدا
طالما ساعد الزمان وأضحت مسعدا
فقضى الله أن يغير ما كان عودا
بوأ الروم أرضنا بعد ضغن تولدا
فاستباحوا حريم من صادفوه موحدا
وحووا كل ما استتر بها لي وما بدا

فتطوحت في البلاد طريدا مشردا
أجتدي الناس بعد ما كنت من قبل مجتدى
وتري بي خصاصة أتمنى لها الردى
والبلا الذي به شمل أنسي تبددا
إن سبا ابنتي التي أسروها لتفتدى
فاستمع قصتي ومد إلى نصرتي يدا
وأجرني من الزمان فقد جار واعتدى
وأعني على فكاك ابنتي من يد العدى
فبذا تمحى المآثم عمن تمردا
وبه تقبل الإنابة ممن تزهدا
وهو كفارة لمن زاغ من بعد ما اهتدى
ولئن قمت منشدا فلقد قمت مرشدا
فاقبل النصح واغتنم في أجرا مخلدا
واسمح الآن بالذي يتسنى لتحمدا

قال أبو زيد فلما أتممت هذرمتي وتوهم المسؤول صدق كلمتي أغراه القرم

واوهم

والمقالة والشكر لمن علما

إلى الكرم بمواساتي ورغبة الكلف بحمل الكلف في مقاساتي
فرضخ لي على الحافرة ونضح لي بالعدة الوافرة فانقلبت إلي وكري فرحا
بنجح مكري قد حصلت من صوغ المكيدة على سوغ الثريدة ووصلت من
حول القصيدة إلى لوك العصيدة قال الحرث بن همام
فقلت له سبحان من أبدعك فما أعظم خدعك فاستغرب في الضحك
ثم أنشد ولم يرتبك ٥

عش بالخداع فأنت في دهر بنوه كأسد بيشه
وأدر قناة المكر حتى تستدير رحا المعيشه
وصد النسور فإن تعذر صيدها فاقنع بريشه
واجن الثمار فإن تفتك فرض نفسك بالحشيشه
وأرح فؤادك إن نبا دهر من الفكر المطيشه
فتغاير الأحداث يؤذن باستحالة كل عيشه

المقامة التاسعة والأربعون

حكى الحرث بن همام قال بلغني أن أبا زيد لما ناهز القبضة وابتزه قيد الهرم
النهضة أحضر ابنه بعد ما استجاش ذهنه وقال له يا بني إنه قد دنا
ارتحالي من الفناء واكتحالي بمرود الفناء وأنت بحمد الله ولي عهدي
وكبش الكتيبة الساسانية من بعدي ومثلك لا تقرع له العصا ولا
ينبه بطرق الحصا ولكن قد ندب إلى الإذكار وجعل صيقلا للأفكار
وإني أوصيك بما لم يوص به شيث الأنباط ولا يعقوب الأسباط فاحفظ
وصيتي وجانب معصيتي واحتذ مثالي وتذكر أمثالي فإنك إن استرشدت
بنصحي واستصبحت بصبحي طاب معاشك وطال انتعاشك وأمرع خانك
وارتفع دخانك وإن تناسيت سورتي ونبذت مشورتي قل رماد
أثافيك وزهد أهلك وزهطك فيك يا بني إني جربت حقائق الأمور
وبلوت تصاريف الدهور فرأيت المرء بنشبه لا بنسبه والفحص عن
مكسبه لا عن حسبه وكنت سمعت أن المعايش إمارة وتجارة وزراعة
وصناعة فمارست هذه الأربع لأنظر أيها أوفق وأنفع فما أحمدت منها
معيشة ولا استرغدت فيها عيشة أما فرص الولايات وخلس الإمارات
فكأضغاث الأحلام والفيء المنتسخ بالظلام وناهيك غصة بمرارة الفطام
وأما بضائع التجارات فعرضة للمخاطرات وطعمة للغارات وما أشبهها

بالطيور الطيارات. وأما اتخاذ الضياع والتصدي للازدراع فمنهكة
للأعراض وقيود عائقة عن الارتكاض وقلما خلا ربهما من إذلال أو رزق
روح بال. وأما حرف أولي الصناعات فغير فاضلة عن الأقوات
ولا نافقة في جميع الأوقات ومعظمها معصوب بشبيبة الحياة
ولم أر ما هو بارد المغنم لذيذ المطعم صافي المشرب وافي المكسب
إلا الحرفة التي وضع ساسان أساسها ونوع أجناسها وأضرم
في الخافقين نارها وأوضح لبني غبراء منارها فشهدت وقائعها معلما واخترت
سيماها ميسما إذ كانت المتجر الذي لا يبور والمنهل الذي لا يغور
والمصباح الذي يعشو إليه الجمهور ويستصبح به العمي والعور وكان
أهلها أعز قبيل وأسعد جيل لا يرهقهم مس حيف ولا يقلقهم سل سيف
ولا يخشون حمة لاسع ولا يدينون لدان ولا شاسع ولا يرهبون من برق ورعد
ولا يحفلون بمن قام وقعد أنديتهم منزهة وقلوبهم مرفهة وطعمهم معجلة
وأوقاتهم غير مجهلة أينما سقطوا لقطوا وحيثما انخرطوا خرطوا لا
يتخذون أوطانا ولا يتقون سلطانا ولا يمتازون عمن تغدو خماصا وتروح
بطانا فقال له ابنه يا أبه لقد صدقت فيما نطقت ولكنك رتقت وما

فتقت فبين لي كيف أقتطف ومن أين تؤكل الكتف فقال يا بني إن الارتكاض
بابها والنشاط جلبابها والفطنة مصباحها والقحة سلاحها فكن أجول من
قطرب وأسرى من جندب وأنشط من ظبي مقمر وأبسط من ذئب متنمر واقدح
زند جدك بجدك واقرع باب رزقك بسعيك وجب كل فج وخض كل لج
وانتجع كل روض وأدل دلوك إلى كل حوض ولا تسأم الطلب ولا تمل الدأب
فقد كان مكتوبا على عصا شيخنا ساسان من طلب جلب ومن جال نال
وإياك والكسل فإنه عنوان النحوس ولبوس ذي البوس ومفتاح المتربة ولقاح
المتعبة وشيمة الوكلة التكلة وشنشنة العجزة الجهلة وما اشتار العسل
من اختار الكسل ولا ملأ الراحة من استوطأ الراحة وعليك بالإقدام ولو
على الضرغام فإن جرأة الجنان تطلق العنان وتنطق اللسان وبها تدرك
الحظوة وتملك الثروة كما أن الخور صنو الكسل وسبب الفشل ومبطأة
للعمل ومخيبة للأمل ولهذا قيل في المثل من جسر أيسر ومن هاب خاب
ثم ابرز يا بني في بكور أبي زاجر الغراب وجرأة أبي الحارث الأسد وحزامة
أبي قرة الحرباء وختل أبي جعدة الذئب وحرص أبي عقبة الخنزير ونشاط
أبي وثاب الغزال ومكر أبي الحصين الثعلب وصبر أبي أيوب الجمل وتلطف
أبي غزوان الهر وتلون أبي براقش طائر ٥

واخلب بصوغ اللسان واخدع بسحر البيان وارتد السوق قبل الجلب وامتر
الضرع قبل الحلب وسائل الركبان قبل المنتجع ودمث لجنبك قبل المضطجع
واشحذ بصيرتك للعيافة وأنعم نظرك في القيافة فمن صدق توسمه طال
تبسمه ومن أخطأت فراسته أبطأت فريسته وكن يا بني خفيف الكل
قليل الدل زاغبا عن الغل قانعا من الوبل بالطل وعظم وقع الحقير واشكر
على النقير ولا تقنط عند الرد ولا تستبعد رشح الصلد ولا تيأس من روح
الله إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون وإذا خيرت بين ذرة
منقودة ودرة موعودة فمل إلى النقد وفضل اليوم على الغد فإن للتأخير
آفات وللعزائم بدوات وللعدات معقبات وبينها وبين النجز عقبات وأي عقبات ثم
وعليك بصبر أولي العزم ورفق ذوي الحزم وجانب خرق المشتط وتخلق
بالخلق السبط وقيد الدرهم بالربط وشب البذل بالضبط ولا
تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط ومتى نبا بك بلد
أو نابك فيه كمد فبت منه أملك واسرح عنه جملك فخير البلاد ما حملك
ولا تستثقل الرحلة ولا تكره النقلة فإن أعلام شريعتنا وأشياخ
عشيرتنا أجمعوا على أن الحركة بركة والطراة سفتجة وزروا على

من زعم أن الغربة كربة والنقلة مثلة وقالوا هي تعلة من اقتنع بالرذيلة
ورضي بالحشف وسوء الكيلة وإذا أزمعت الاغتراب وأعددت له العصا
والجراب فتخير الرفيق المسعد من قبل أن تصعد فإن الجار قبل الدار والرفيق قبل الطريق

خذها إليك وصية لم يوصها قبلي أحد
غرا أحاوية خلاصات المعاني والزبد
نقحتها تنقيح من محض النصيحة واجتهد
فاعمل بما مثلته عمل اللبيب أخي الرشد
حتى يقول الناس هذا الشبل من ذاك الأسد

ثم قال له يا بني لقد أوصيت واستقصيت فإن اقتديت فواها لك وإن
اعتديت فآها منك والله خليفتي عليك وأرجو ألا تخلف ظني فيك فقال له
ابنه يا أبه لا ثل عرشك ولا رفع نعشك فلقد قلت سددا وعلمت رشدا
وبنيت لي سوددا ونحلت ما لم ينحل والد ولدا ولئن أمهلت بعدك ولا
ذقت فقدك فلأتأدبن بآدابك الصالحة ولأقتدين بآثارك الواضحة
ولأقدحن بزنادك الوارية حتى يقال ما أشبه الليلة بالبارحة والغادية
بالرائحة فاهتز أبو زيد لجوابه وابتسم وقال من أشبه أباه فما ظلم
فابتهج

قال الحرث بن همام فأخبرت أن بني ساسان حين سمعوا هذه الوصايا
الحسان فضلوها على وصايا لقمن وحفظوها كما تحفظ أم القرآن حتى
أنهم يرونها إلى الآن أولى ما لقنوه الصبيان وأنفع لهم من نحلة العقيان

المقامة الخمسون

حكى الحرث بن همام قال أشعرت في بعض الأيام همًّا برّح بي استعاره ولاح
على شعاره وكنت سمعت أن غشيان مجالس الذكر تسرو غواشي الفكر فلم أر
لإطفاء ما بي من الجمرة إلا قصد الجامع بالبصرة وكان إذ ذاك آهل المساند
مشفوه الموارد يجتنى من رياضه أزاهير الكلام ويسمع في أرجائه صرير الأقلام
فانطلقت إليه غير وان ولا لاو على شان فلما وطئت حصاه واستشرفت أقصاه
ترآى لي ذو أطمار بالية فوق صخرة عالية وقد عصبت به عصب لا يحصى عديدهم
ولا ينادى وليدهم فابتدرت قصده وتوردت ورده ورجوت أن أجد شفائي
عنده ولم أزل أتنقل في المراكز وأتخطى للأكز والواكز إلى أن جلست تجاهه
وبحيث أمنت اشتباهه فإذا هو شيخنا السروجي لا ريب فيه ولا لبس يخفيه
فسرّى مرآه همي وأرفضت كتيبة غمي وحين رآني وبصر بمكاني قال يا أهل البصرة

رعاكم الله ووقاكم وقوّى تقاكم فما أضوع ريّاكم وأفضل مزاياكم بلدكم أوفى
البلاد طهرة وأزكاها فطرة وأفسحها رقعة وأمرعها نجعة وأقومها قبلة
وأوسعها دجلة وأكثرها نهرًا ونخلة وأحسنها تفصيلًا وجملة دهليز
البلد الحرام وقبالة البيت والمقام وأحد جناحي الدنيا والمصر المؤسس على
التقوى لم يتدنس ببيوت النيران ولا طيف فيه بالأوثان ولا سجد على أديمه
لغير الرحمن ذو المشاهد المشهودة والمساجد المقصودة والمعالم المشهورة
والمقابر المزورة والآثار المحمودة والخطط المحدودة به يلتقي الفلك والركاب
والحيتان والضباب والحادي والملاح والقانص والفلاح والناشب والرامح
والسارح والسابح وله آية المد الفائض والجزر الغائض وأما أنتم فمن لا
يختلف في خصائصهم اثنان ولا ينكرها ذو شنآن زجهما وكم أطوع رعية
لسلطان وأشكرهم لإحسان وزاهدكم أورع الخليقة وأحسنهم طريقة
وعالمكم علامة كل زمان والحجة في كل أوان ومنكم من استنبط علم
النحو ووضعه وابتدع ميزان الشعر واخترعه وما من فخر إلا ولكم فيه اليد
الطولى والقدح المعلى وأنتم به أحق وأولى ثم إنكم أكثر أهل الأرض مؤذنين
وأحسنهم في النسك قوانين وبكم اقتدي في التعريف وعرف التجمير في الشهر الشريف

وَلكم إذا قرّت المضاجع وهجع الهاجع تذكارٌ يوقظ النائم ويؤنس القائم

وما ابتسم ثغر فجرٍ ولا بزغ في بردٍ ولا حرٍّ إلا ولتأذينكم في الأسحار دويٌّ

كدويّ الريح في البحار وبهذا صدع عنكم النقل وأخبر النبي عليه السلام من قبل

وبيّن أنّ دويّكم بالأسحار كدويّ النحل فبشرى لكم ببشارة المصطفى وواهاً

لمصركم الذي عفا ولم يبق منه إلا شفا ثم إنه خزن لسانه وختم بيانه حتى حدج

بالأبصار وقرف بالإقصار فنفس نفّس من قيد القود أو ضبثت به براثن أسد

ثم قال أما أنتم يا أهل البصرة فما منكم إلا العلم المعروف ومن له المعرفة

والمعروف وأما أنا فمن عرفني فأنا ذاك وشرّ المعارف من آذاك ومن لم يثبت

عرفني فسأصدقه صفتي أنا الذي أنجد وأتهم وأيمن وأشأم وأصحر وأبحر

وأدلج وأسحر نشأت بسروج وربيت على السروج ثم ولجت المضايق وفتحت

المغالق وشهدت المعارك وألنت العرائك واقتدت الشوامس وأرغمت المعاطس

وأذبت الجوامد وأمعت الجلامد سلوا عني المشارق والمغارب والمناسم والغوارب

والمحافل والجحافل والقنابل والقبائل واستوضحوني من نقلة الأخبار ورواة

الأسمار وحداة الركاب وحذاق الكهان لتعلموا كم فجٍّ سلكت وحجابٍ هتكت ومهلكةٍ

اقتحمت وملحمةٍ ألحمت وكم ألبابٍ خدعت وبدعٍ ابتدعت وفرصٍ اختلست وأسدٍ افترست

وكم مجلوّ غادرته لقى وكامنٍ استخرجته بالرقى وحجرٍ سحرته حتى انصدع واستنبطت

زلاله بالخدع ولكن فرط ما فرط والغصن رطيب والفود غربيب وبرد الشباب

قشيب فأما الآن وقد استشنّ الأديم وتأوّد القويم واستنار الليل

البهيم فليس إلا الندم إن نفع وترقيع الخرق الذي قد اتسع وكنت رويت في

الآثار المسندة والأخبار المعتمدة أن لكم من الله تعالى في كل يوم نظرة

وأن سلاح الناس كلهم الحديد وسلاحكم الأدعية فقصدتكم أنضي الرواحل

وأطوي المراحل حتى قمت هذا المقام فيكم ولا منّ لي عليكم إذ ما سعيت إلا في

حاجتي ولا تعبت إلا لراحتي ولست أبغي أعطيتكم بل أستدعي أدعيتكم ولا

أسألكم أموالكم بل أستنزل سؤالكم فادعوا الله تعالى بتوفيقي للمتاب

والإعداد للمآب فإنه رفيع الدرجات مجيب الدعوات وهو الذي يقبل التوبة عن

عباده ويعفو عن السيئات ثم أنشد

أستغفر الله من ذنوبٍ   أفرطت فيهن واعتديت

كم خضت بحر الضلال جهلاً   ورحت في الغيّ واغتديت

وكم أطعت الهوى اغتراراً   واغتلت واختلت وافتريت

وكم خلعت العذار ركضاً   إلى المعاصي وما ونيت

فليتني كنت قبل هذا نسيا ولم اجترم ما جنيت　　فالموت للمجرمين خير من المساعي التي سعيت

يا رب عفوا فانت اهل للعفو عني وان عصيت

قال الراوي فطفقت الجماعة تمده بالدعا وهو يقلب وجهه في السما الى ان دمعت اجفانه
وبدا رجفانه فصاح الله اكبر بانت امارة الاستجابة وانجلت غشاوة الاسترابة فجزيتم
يا اهل البصيرة جزا من هدى من الحيرة فلم يبق في القوم الا من سر لسروره ورضخ له بميسوره
فقبل عفو برهم واطنب في شكرهم ثم انحدر من الصخرة يام شاطي البصرة فاعتقبته الى
حيث تخالينا وامنا التجسس علينا وقلت له لقد اغربت في هذه النوبة فما ابلك في التوبة
فقال اقسم بعلام الخفيات وغفار الخطيات ان شاني لعجاب وان دعا قومك لمجاب
فقلت زدني افصاحا زادك الله صلاحا فقال والله لقد قمت فيهم مقام المريب الخادع
ثم انقلبت بقلب المنيب الخاشع فطوبى لمن صغت قلوبهم اليه وويل لمن باتوا يدعون عليه
ثم ودعني وانطلق واودعني القلق فلم ازل اعاني لاجله الفكر واتشوف الى خبره ما
ذكر وكلما استنشيت خبره من الركبان وجواب البلدان كنت كمن جاور عجما او
نادى صخرا صما الى ان لقيت بعد تراخي الامد وتزايد الكمد ركبا قافلين من سفر
فقلت هل من مغربة خبر فقالوا ان عندنا لخبرا اغرب من العنقا واعجب من نظرة
الزرقا فسالتهم ايضاح ما قالوا وان يكيلوا لي كما اكتالوا فحكوا انهم المّوا

... المهملة استراق ... على العورات

66

بسروج بعد ما فارقها العلوج فراوا ابا زيدها المعروف قد لبس الصوف
وام الصفوف وصار بها الزاهد الموصوف فقلت اتعنون ذا المقامات
فقالوا انه الان ذو الكرامات فحفزني اليه النزاع ورايتها فرصة لا تضاع
فارتحلت رحلة المعد وسرت سير الجد حتى حللت بمسجده وقراره متعبده فاذا هو
قد نبذ صحبة اصحابه وانتصب في محرابه وهو ذو عباءة مخلولة وشملة موصولة فهبته
مهابة من دخل على الاسود والفيته ممن سيماهم في وجوههم من اثر السجود ولما فرغ من سبحته
حياني بمسبحته من غير ان نغم بحديث ولا استخبرني عن قديم ولا حديث ثم اقبل على اوراده
وتركني اعجب من اجتهاده واغبط من يهدي الله من عباده ولم يزل في قنوت وخشوع وسجود
وركوع واخبات وخضوع الى ان اكمل اقامة الخمس وصار اليوم امس ثم انكفى بي الى
بيته واسهمني من قرصه وزيته ثم نهض الى مصلاه وتخلى لمناجاة مولاه حتى اذا
التمع الفجر وحق للمتهجد الاجر عقب تهجده بالتسبيح ضجعة المستريح وجعل يرجع
بصوت فصيح

خل ادكار الاربع　　والمعهد المرتبع　　والظاعن المودع　　وعد عنه ودع

واندب زمانا سلفا　　سودت فيه الصحفا　　ولم يزل معتكفا　　على القبيح الشنيع

كم ليلة اودعتها مآثما ابدعتها لشهوة اطعتها في مرقد ومضجع
وكم خطى حثثتها في خزية احدثتها وتوبة نكثتها لملعب ومرتع
وكم تجرأت على رب السموات العلى ولم تراقبه ولا صدقت فيما تدعي
وكم غمطت بره وكم امنت مكره وكم نبذت امره نبذ الحذا المرقع
وكم ركضت في اللعب وفهت عمدا بالكذب ولم تراع ما يجب من عهده المتبع
فالبس شعار الندم واسكب شآبيب الدم قبل زوال القدم وقبل سوء المصرع
واخضع خضوع المعترف ولذ ملاذ المقترف واعص هواك وانحرف عنه انحراف المقلع
الام تسهو وتني ومعظم العمر فني فيما يضر المقتني ولست بالمرتدع
اما ترى الشيب وخط وخط في الراس خطط ومن يلح وخط الشمط بفوده فقد نعي
ويحك يا نفس احرصي على ارتياد المخلص وطاوعي واخلصي واستمعي النصح وعي
واعتبري بمن مضى من القرون وانقضى واخشي مفاجاة القضا وحاذري ان تخدعي
وانتهجي سبل الهدى وادكري وشك الردى وان مثواك غدا في قعر لحد بلقع
آها له بيت البلى والمنزل القفر الخلا ومورد السفر الالى واللاحق المتبع

بيت يرى من اودعه قد ضمه واستودعه بعد الفضاء والسعة قيد ثلاث اذرع
لا فرق ان يحله داهية او ابله او معسر او من له ملك كملك تبع
وبعده العرض الذي يحوي الحيي والبذي والمبتدي والمحتذي ومن رعى ومن رعي
فيا مفاز المتقي وربح عبد قد وقي سوء الحساب الموبق وهول يوم الفزع
ويا خسار من بغى ومن تعدى وطغى وشب نيران الوغى لمطعم او مطمع
يا من عليه المتكل قد زاد ما بي من وجل لما اجترحت من زلل في عمري المضيع
فاغفر لعبد مجترم وارحم بكاه المنسجم فانت اولى من رحم وخير مدعو دعي
قال فلم يزل يرددها بصوت رقيق ويصلها بزفير وشهيق
حتى بكيت لبكاء عينيه كما قد كنت من قبل ابكي عليه
ثم برز الى مسجده بوضوء تهجده فانطلقت ردفه وصليت مع من
صلى خلفه ولما انفض من حضر وتفرقوا اشغر بعد اخذ يهينم بدرسه
ويسبك يومه في قالب امسه وفي ضمن ذلك يرن ارنان الرقوب
ويبكي ولا بكاء يعقوب حتى استبنت انه قد التحق بالافراد

الز

واشرب قلبه هوى الانفراد فاخطرت بقلبي عزمة الارتحال
وتخليته للتخلي بتلك الحال فكأنه تفرس ما نويت او كوشف
بما اخفيت فزفر زفير الأواه ثم قرأ فاذا عزمت فتوكل على الله
فاسجلت عند ذلك بصدق المحدثين وايقنت ان في الامة
محدثين ثم دنوت اليه كما يدنو المصافح وقلت اوصني ايها
العبد الصالح فقال اجعل الموت نصب عينك وهذا فراق بيني
وبينك فودعته وعبراتي يتحدرن من المآقي وكانت هذه
خاتمة التلاقي قال الشيخ الامام القسم بن علي برد الله
مضجعه هذا آخر المقامات التي انشأتها بالاغترار وامليتها
بلسان الاضطرار وقد الجئت ان ارصدتها للاستعراض وناديت
عليها في سوق الاعراض هذا مع معرفتي بانها من سقط المتاع
ومما يستوجب ان تباع ولا تبتاع ولو غشيني نور التوفيق ونظرت
لنفسي نظر الشفيق لسترت عواري الذي لم يزل مستورا ولكن

كان ذلك في الكتاب مسطورا وانا استغفر الله مما
اودعتها من اباطيل اللغو واضاليل اللهو واسترشده الى ما يعصم
من السهو ويحظي بالعفو انه هو اهل التقوى واهل المغفرة
وولي الخيرات في الدنيا والآخرة ٥ نجزت المقامات
بتوفيق الله تعالى

امامي علي ثم سبطاه بعده   وزين العباد وهاد وصادق
وموسى ومولانا الرضا ومحمد   واني بحب العسكريين واثق
وقائم المهدي آخر سادتي   امام الهدى بالحق في الخلق ناطق
بحبهم ارجو النجاة من اللظى
عليهم صلوة الرب ما لاح بارق